محمد الهادي العروق

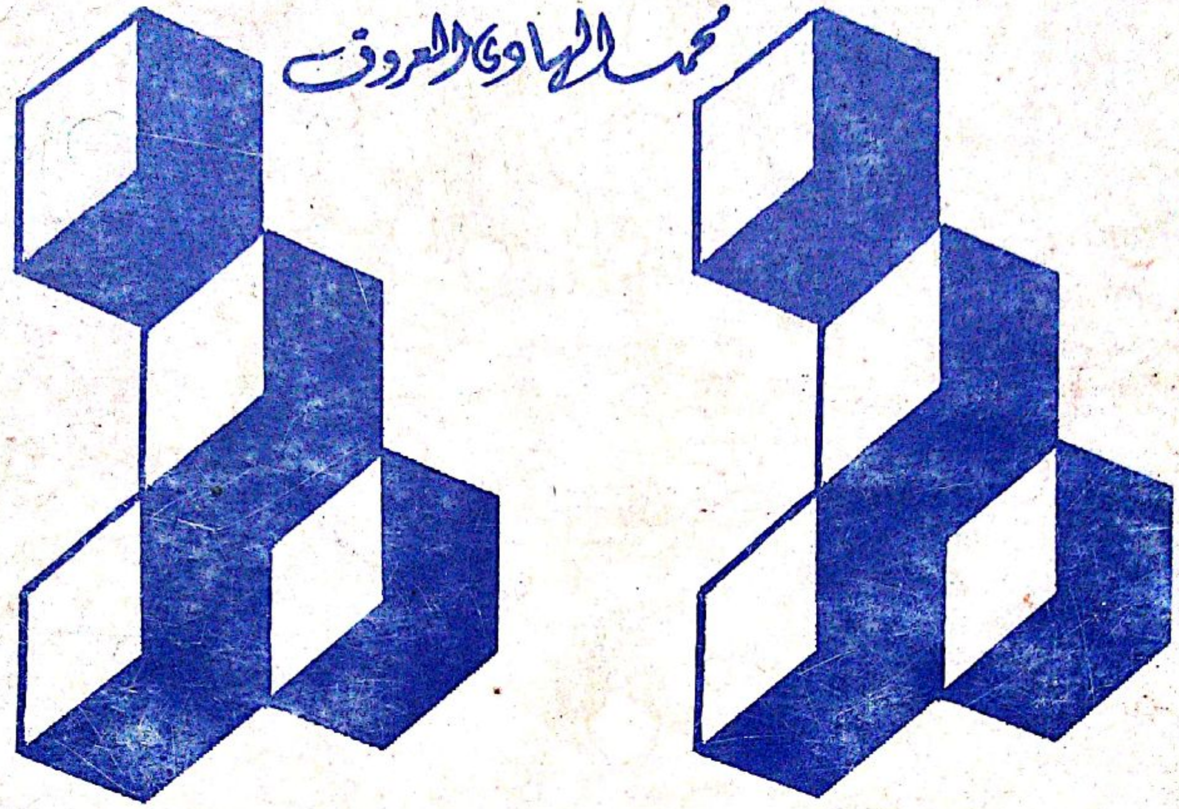

مدينة قسنطينة

دراسة في جغرافية العمران

ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر - 1984

ENAL.
Alger

عطاالله عزيزة
2018-11-26
عنابة

محمد الهادي العروق

مدينة قسنطينة

دراســة في جغرافية العمران

ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر - 1984

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعدّ جغرافية المدن من أكثر فروع الجغرافيا الحديثة ديناميكية فى مجال البحث رغم حداثة ميلادها ، ويعزى ذلك الى تزايد الدور الهائل الذى أصبحت تقوم به المدن ، خاصة بعد أن تضخمت أحجامها واتسع انتشارها ، وبعد أن أصاب بعضها من الهدم بل الخراب ما يحتم اعادة بنائها . وبذلك اتسع مجال جغرافية المدن فى العشرين سنة الاخيرة ، لتصبح علما قائما بذاته ، بعد أن أدخلت عليه اضافات جذرية من حيث الكيف والكم معا . ولتتحول الى أكثر الموضوعات الجغرافية حيوية نظرا لارتباطها بالمشكلات الحضرية المعقدة التي تواجهها المجتمعات المعاصرة ، وبالازمات الحضرية المستقبلية المتوقع بروزها في التجمعات البشرية الضخمة .

وهكذا فان اتجاه العالم نحو التحضر السريع ، واقامة المدن الجديدة على أسس تخطيطية أفضل ، أو اعادة تنظيمها ، استقطب اهتمام الباحثين من فروع علمية مختلفة كالجغرافية والاجتماع والانثروبولوجي ، والهندسة والتخطيط بحيث أصبحت شمولية الموضوعات التي تتناولها هذه العلوم المختلفة ، تشكل الركائز المعاصرة لدراسات وأبحاث المدن والتحضر ، ونتج عن التعاون بينها تطورات مهمة فى جغرافية المدن ، التي اكتسبت تجارب جديدة ، أصبحت بموجبها في وضع يؤهلها لتقديم خبراتها في عمليات تخطيط وتنظيم المدن ، وتقديم المقترحات القائمة على نتائج مستخلصة من أبحاث علمية منهجية .

والجدير بالملاحظة ، أن مثل هذه الدراسات والبحوث لا تزال بعد في مهدها فى الجزائر ، وخاصة تلك المكتوبة باللغة العربية ، على الرغم من أهمية هذه البحوث والدراسات وضرورتها ، بعد أن أصبحت مشكلات المدن مثار الاهتمام والقلق لدى الدولة ، الامر الذى دفع بها الى وضع استراتيجية للتخطيط للنمو الحضرى ، ضمن الخطة الوطنية للتنمية ، للقضاء على تضخم المدن ، وتحقيق

التوازن الجهوى واقامة المدن الجديدة. كما أدرجت الجامعات الجزائرية ضمن مناهجها، اختصاصات جديدة فى التهيئة العمرانية وتنظيم المدن.

واقتناعا منى بقيمة جغرافية المدن وأهميتها، وقع اختيارى على مدينة قسنطينة لتكون موضوع دراستى للحصول على درجة الماجستير، فقسنطينة ثالث المدن الجزائرية من حيث الاهمية السكانية والعمرانية والاقتصادية، وهي عريقة بتاريخها الحافل، حيث كانت على مر الزمن مركزا رئيسيا من مراكز الاهتمام من النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية والقيادية، أهلتها لفترة طويلة لان تكون عاصمة اقليمية ذات نفوذ ومكانة، ولذلك كانت ولا تزال مركزا اقليميا مهما.

ولقد اعتمد هذا البحث على ثلاثة أنواع من المصادر، هي:

أولا ــ المصادر التاريخية ــ حيث اطلع الباحث على أهم ما كتب عن تاريخ المدينة وحياتها العمرانية والاقتصادية والاجتماعية، منذ نشأتها حتى الاحتلال الفرنسى، أهمها ما كتبه المؤرخ الفرنسي وشيخ بلدية المدينة في الثلاثينيات ارنست مرسي E. Mercier ومحافظ متحف قسنطينة أندرى برتييه A. Berthier حول تاريخ المدينة، بالاضافة الى كتابات المؤرخين العرب من أمثال البكرى والادريسى وصالح العنترى وابن المبارك.

ثانيا ــ المصادر الاحصائية والخرائط والصور الجوية ــ وتتمثل في البيانات والاحصاءات الرسمية التى تصدرها الهيئات المختصة قبل وبعد الاستقلال، وأهمها بيانات المركز الوطني لاحصاء السكن والسكان، والدليل الاحصائي السنوى للجزائر الذى تصدره كتابة الدولة للتخطيط، وتقارير مصالح بلدية المدينة، والصندوق الجزائرى لتهيئة المدن، وسجلات غرفة التجارة والصناعة للمدينة، كما تم اعتماد تعداد ١٩٦٦ أساسا للدراسة، هذا بالاضافة الى التقارير والبيانات التي تنشرها مختلف الهيئات والوزارات بالدولة، وعدد من المجلات المتخصصة، أثبتت في قائمة مصادر الرسالة. كما اعتمد الباحث على عدد من الخرائط والصور الجوية، اهمها الخريطة الطوبغرافية، والخريطة الجيولوجية لمنطقة المدينة.

ثالثا ــ الدراسة الميدانية ــ وهى التي استند عليها البحث بالدرجة الاولى، واستهدفت أساسا ان يستوثق الباحث من صحة المعلومات التي حصل عليها من مختلف المصادر ومطابقتها مع الواقع. وغير خاف على أحد ما يعانيه الباحث في الحصول على المعلومات عن طرق العمل الحقلى من صعوبات في البلاد النامية والتعامل مع أشخاص لا يعرفون معنى البحث، ولكن الذى خفف من تلك الصعوبات

هو ان الباحث احد ابناء المدينة ، عايش نموها وتطورها والحياة اليومية لها لفترة طويلة ، واهتم بالعديد من مشاكلها فى اثناء قيامه بالتدريس كمعيد بجامعة المدينة وهذا ما سهل له التعامل مع الناس للحصول على البيانات والمعلومات التى حجبت عن العامة بحجة انها غير متوفرة او غير مصرح بتداولها . كما استفادت هذه الدراسة من بعض التحقيقات والمقابلات الشخصية ، وعمليات مسح استهدفت مؤسسات المدينة ومرافقها ، كان من نتائجها استكمال الكثير من البيانات الناقصة ، ووضع عدد من خرائط التوزيعات صممت خصيصا لغرض المسح الميدانى اهمها خريطة استخدامات الارض فى المنطقة المركزية وخرائط النفوذ الاقليمى للمدينة ، عن طريق العمل الحقلى وتوزيع استمارات استبيان وضعت خصيصا لهذا الهدف .

منهج الرسالة ومراحلها :

اولا ـ مرحلة البحث النظرى . وخلالها تم الاطلاع والاعداد لموضوع الرسالة بعناصرها ، عن طريق المطالعة والبحث فى كتب المدن والعمران ، لتكوين خلفية تساعد على استيعاب مختلف العناصر المرتبطة بالموضوع والسيطرة عليها ، وشملت هذه المرحلة قراءة عدد هام من الابحاث والرسائل الجامعية المنشورة وغير المنشورة ، وعدد من كتب الاحصاء والمناهج الكمية والكتب المتخصصة .

ثانيا ـ مرحلة العمل الميدانى ـ وخلالها تم جمع المادة العلمية ، والحصول على البيانات والاحصاءات من مكان الدراسة . وقد استغرقت هذه المرحلة وقتا طويلا وكللت بعدد من اللقاءات والمقابلات الشخصية والاستجوابات المختلفة ، لمختلف الجهات المعنية بالموضوع . كما اتبع الباحث طريقة البحث والاستخبار من اجل التوصل الى وضع خريطة استخدامات الارض فى منطقة الاعمال المركزية بالمدينة ، وهى اول خريطة من نوعها توضع لمنطقة الاعمال المركزية بالمدينة ، وذلك بعد أن تم توقيع البيانات المطلوبة على لوحات خريطة المنطقة المركزية مقياس ١/٢٥٠ بمساعدة طلبة قسم الجغرافيا بمعهد علوم الارض بجامعة قسنطينة بحكم ارتباط الباحث بالعمل كمعيد بهذا المعهد ، وقام بعد المسح الميدانى بفرز الاستمارات واللوحات لنقلها من لوحات الحقل الى الخريطة النهائية . كما قام الباحث بوضع استمارة استبيان وزعت على عدد من المؤسسات الهامة بالمدينة ، وتم تفريغها فى كشوف وتصنيفها فى جداول ، من اجل الوصول الى تحديد مجال نفوذ المدينة ، باستعمال عدد من المقاييس الوظيفية . كما قام الباحث بتطبيق بعض المناهج الكمية لاستنتاج الخصائص العامة لبعض الظاهرات ، كاسلوب العينة العشوائية لتحديد مصادر الهجرة ، ومقاييس التركز ومنحنى لورنتز لتشخيص الكثافة السكانية بالمدينة ، بالاضافة الى معاملات الارتباط بين عدد المحلات

التجارية وبعدها عن مركز المدينة ، ومعامل التنويع الصناعي ومقياس الفعالية الصناعية للمدينة ، .ومعامل ارتباط بيرسون ، بين البعد عن المركز وعمر المباني في المدينة ، ومعامل ارتباط الرتب لسبيرمان لمعرفة العلاقة بين المساكن المزودة بالمياه والمساكن المزودة بالكهرباء في المدينة . بالاضافة الى استعمال طريقة اختبارات الجار الاقرب . Nearest, Neighbor Analysis لتحديد أنماط توزيع الاسواق المركزية في مدينة قسنطينة ، وبعض تطبيقات الانحراف المعيارى ومقاييس التشتت والنزعة المركزية ، ومعاملات التوطن والتركز .

ثالثا – مرحلة تمثيل البيانات والكتابة – وفيها تم تبويب المادة وترتيبها ثم معالجتها بيانيا وتمثيلها فى رسوم وأشكال ، وتصميم الجداول واستخراج النسب لتسهيل عملية الربط والتحليل وغير ذلك من مقتضيات البحث .

وقد تضمنت الرسالة سبعة فصول هي :

أ – الفصل الاول – ويعالج البيئة الطبيعية للمدينة ومنطقتها ، لما لها من تاثيرات بالغة الاهمية في جوانب عديدة من حياة المدينة . حيث تمت دراسة الخصائص الطبيعية لمنطقة المدينة وأثرها في العمران ، ومدى ملاءمة الموضع وأثره في التخطيط بالاضافة الى المناخ بعناصره المختلفة وشبكة المياه ، وتأثير ذلك فى شكل المدينة ونموها وتركيبها الداخلى .

ب – **الفصل الثاني** – ويتناول النشأة والنمو حتى الوقت الحالى على خمسة مراحل هي : مرحلة النشأة ، ثم تطور المدينة في العهد الروماني والعهد الاسلامي والعهد التركي ، ثم العصر الحديث .

ج – **الفصل الثالث** – ويدرس سكان المدينة ، وتقييم الجوانب الديموغرافية فى حياتها ، والتي على ضوئها يمكن تحليل واستقصاء حقيقة الظواهر الحضرية المختلفة ، عن طريق التعرض لنمو السكان وتطورهم ، وتحديد الزيادة الطبيعية والهجرة . وكذا توزيعهم وكثافتهم ، ثم دراسة خصائصهم من حيث التركيب النوعي والعمرى والاقتصادى والاجتماعى .

د – **الفصل الرابع** – ويتناول التركيب الوظيفي واستخدامات الارض فى المدينة ، أى توضيح الكيفية التى استغل بها السكان أرض المدينة والنشاطات التى أقاموها عليها ، ومجالات العمل التى تولدت بسببها ، حيث تم التركيز على دراسة الوظائف التي تضرب بواسطتها المدينة جذورها فى الارض وتضمن البقاء لها ، كالتجارة والخدمات والصناعة ، وذلك بدرجة تتناسب مع الاهمية الوظيفية للمدينة ،

والتي تعتبر عنصرا من عناصر شخصيتها. وقد استخدم الباحث في هذا الموضوع بعض النظريات الحديثة في تحديد أنماط تشكيل المدن.

هـ - الفصل الخامس - ويتعرض لبنية المدينة وتركيبها الداخلي، عن طريق دراسة السكن وصفاته، وكثافة العمران، وبحث التجهيزات وشبكة المرافق العامة واهمية النقل والمواصلات الداخلية وعلاقتها بالشوارع وحركة المرور.

و - الفصل السادس - ويدرس اقليم المدينة، عن طريق تحليل الامتداد المساحي الصحيح لعدد من الصلات والارتباطات بين المدينة واقليمها، من اجل التوصل الى تحديد منطقة نفوذ المدينة والتعرف الى حدودها الاقليمية. وذلك بواسطة بعض المعايير والموءشرات الكمية لتحديد مجال هذا الاقليم وابراز مدى التفاعل القائم بينه وبين المدينة.

ز - الفصل الاخير - ويهتم بمستقبل المدينة، عن طريق دراسة شكل الخطة الحالية للمدينة، والمشاكل التي تعاني منها، وتحديد مراحل تخطيطها على ضوء مشروع تخطيطها العام الذى يرسم مستقبلها.

واختتم البحث بخاتمة تناولت أهم النتائج التي تم التوصل اليها، ثم التوصيات التي يقترحها الباحث لمعالجة مشكلات المدينة، متبوعة بقائمة المراجع والمصادر.

ولابد في الختام من الاعتراف بالجميل وفضل العون الذى لقيته من استاذى الدكتور عبد الفتاح وهيبه وجميع اساتذة قسم الجغرافيا بجامعة الاسكندرية. وان الكلمات لاصغر من أن تستوعب ما أريد التعبير عنه من معان تقف عاجزة هي الاخرى أمام الفضل الكبير الذى سأبقى مدينا به لهوءلاء الاساتذة وفي مقدمتهم استاذى الدكتور عبد الفتاح وهيبه، الذى قاد البحث بتوجيهاته السديدة وروحه العلمية، وسعة صدره، الى صورته النهائية. وقد وجدت فيه حقا ذلك المشرف والموجه العلمي الفذ، يخلق الفرص ويمنح الحرية الكاملة للباحث لكي يبدع ويأتي بالجديد.

وبالله توفيقي فهو نعم المولى ونعم النصير ،،،

محمد الهادى لعروق

١٩٨٠/٨/١٠

الفصـل الاول

بيئة المدينـة وموقعهـا

اولا ــ موقع مدينة قسنطينة :

ثانيا ــ موضع مدينة قسنطينة :

١ ــ الموضع •

٢ ــ العوامل المؤثرة في الموضع •

أ ــ مظاهر السطح •

ب ــ التركيب الجيولوجي •

ثالثا ــ مناخ مدينة قسنطينة :

١ ــ الحرارة •

٢ ــ الضغط الجوى والرياح •

٣ ــ الرطوبة والشمس والسحب •

٤ ــ الامطار •

رابعا ــ موارد المياه :

بيئة المدينة وموقعها

يهتم الجغرافي بدراسة التباين الارضي ، والعلاقات المكانية التي تربط بين الظواهر بنوعيها : الطبيعية والبشرية ، والتي تطبع كل منطقة بطابع متميز. والمدينة هي احدى الظواهر البشرية التي شغلت اهتمام الجغرافيين ، باعتبارها مركبا اجتماعيا وحضاريا كان للانسان الاثر الاول في نشأته. ومن هنا يبرز الاهتمام بدراسة العلاقات المتبادلة بين الظواهر المختلفة في اطارها المكاني ، كما تكمن اهمية دراسة البيئة الطبيعية للمدينة بما فيها من سلبيات وايجابيات ، وتأثيرها على شخصية المدينة بكل أبعادها.

أولا ــ موقع مدينة قسنطينة :

يعتبر الموقع من أهم الضوابط المؤثرة في دراسة المراكز العمرانية ومرد ذلك الى ما للموقع من تأثير مباشر في حياة الانسان واستقراره في اماكن محددة ، فاختلاف سطح الارض وتباينه تباينا واضحا ، يؤدى الى خلق قيم مكانية متفاوته ، يقوم الانسان باختيار الانسب منها لاغراضه السكنية. وان عدم التجانس هذا في تضاريس سطح الارض وفي صفاته المناخية والنباتية ، قد أدى الى تباين المواقع التي تقوم عليها مراكز الاستقرار البشرى. وأدى هذا الى أن تكون بعض المواقع أفضل من غيرها وأكثر حساسية وحيوية ، حيث يطلق عليها "الاماكن الحرجة والنقط الحساسة الحيوية على صفحة اللاندسكيب" بمعناه الطبيعي والبشرى(١) ولما كانت المدينة تعتمد على علاقتها الخارجية مع المناطق المحيطة بها ، فان أفضل المواقع هي التي تحقق أكبر قدر ممكن من تلك العلاقات ، وتعمل على ضمان تطورها وديمومتها. ورغم تطور دراسة المواقع ، الا أنها لا تزال غير كافية ولم تخضع بعد لتنصيف منهجي أو نوعي (٢).

---

(١) جمال حمدان "جغرافية المدن" القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٤٣٢

(٢) محمد عبداللطيف عصفور ــ ابراهيم البدوى الدراسة الميدانية في جغرافية العمران ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٢٨ .

ويمكن دراسة موقع مدينة قسنطينة من وجهتين هما :

١ ـ الموقع الفلكـي :

تقع مدينة قسنطينة فلكيا ، على خط عرض ٣٦ر٢٣ شمالا(٣) ، وخط طول ٧ر٣٥ شرقا ، وهي بذلك تحتل منطقة متميزة بالنسبة لشرق دولة الجزائر.

٢ ـ الموقع الاقليمـي :

من العناصر الهامة في موقع قسنطينة ، أنها تتوسط اقليم شرق الجزائر، وهو أحد الاقاليم الاقتصادية والسكانية الرئيسية في الدولة. فمن ناحية البعد العمراني لموقع المدينة ، يلاحظ أن المظاهر الجغرافية الطبيعية كالتضاريس والمورد المائى وخط الساحل والحد الشمالى للصحراء يقوم بدور كبير فى رسم هيكل شبكة المدن وتوزيعها وأحجامها في الجزائر. فثمة اطار من المدن ، يتمثل فى موانيء البحر وموانيء الصحراء ، يطوق اقليم شرق الوطن على طول ساحل البحر وحافة الصحراء (شكل رقم (١) يتوسطه خط للمدن الداخلية هو خط التل. ويلاحظ قرب موانيء الساحل من موانيء الصحراء في اقليم قسنطينة ، والتى تمت بينها علاقات تاريخية فى ميدان النقل والمواصلات والتبادل التجارى. وتقع مدينة قسنطينة على خط التل الذى يشكل العمود الفقرى في هيكل شبكة المدن في الجزائر. وهى مدينة قديمة التأسيس ، ارتبطت بأقليمها منذ القديم ، حيث كانت توجد تجمعات السكان فى شرق الجزائر وعلى سواحلها بالاضافة الى واحات الصحراء ، مما اكسب هذا الاقليم طابعا مميزا فى تكوينه الحضارى وتقاليده المدنية العريقة. كما أن التاريخ الاقتصادى ، قد أدى الى اكتساب اقليم قسنطينة جاذبية خاصة للسكان من الاقاليم المجاورة ، وهو أمر مستمر حتى الان. فقد كانت قسنطينة بفصل ميزات موضعها الدفاعية ، ووقوعها وسط اقليم غني اقتصاديا ، اهم ثغر لمورور القوافل ، والمحطة الثانية بعد قرطاجنة ، لكل التيارات التجارية المتنقلة من الشرق الى الغرب والعكس ، وأن تكون دائما مركز السلطة والحكم فى الاقليم.

---

(٣) تقع الجزائر بين خطى طول ٨ر٣٠° شرقا و ٢ر٢٠° غربا ، وخطى عرض ١٩° و ٣٧° شمالا.

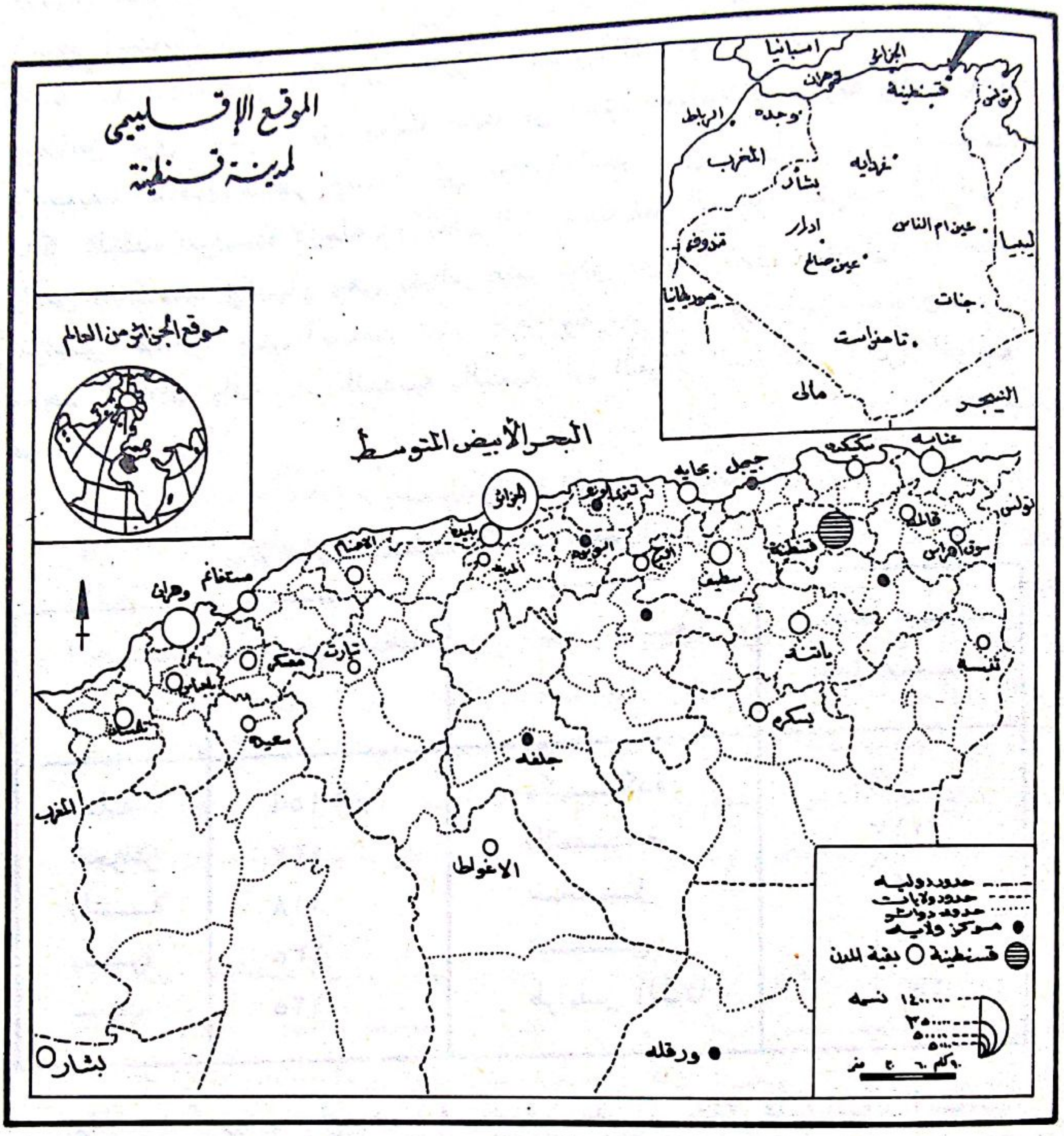

الموقع الإقليمي لمدينة قسنطينة
موقع الجزائر من العالم
اسبانيا
الجزائر
وهران
قسنطينة
تونس
الرباط
وجدة
المغرب
غرداية
بشار
عين ام الناس
ليبيا
ادرار
تندوف
عين صالح
موريطانيا
جنات
تامنراست
مالي
النيجر
البحر الأبيض المتوسط
عنابة
سكيكدة
جيجل
بجاية
تيزي وزو
البليدة
المدية
البويرة
برج
سطيف
قالمة
سوق اهراس
الاصنام
مستغانم
تيارت
معسكر
سيدي بلعباس
تلمسان
سعيدة
باتنة
تبسة
بسكرة
الجلفة
الاغواط
ورقلة
بشار
حدود دولية
حدود ولايات
حدود دوائر
مركز ولاية
قسنطينة
بقية المدن
١٤٠٠٠٠ نسمة
٣٥٠٠٠
٥٠٠٠
٥٠٠
٩٠ كلم ٦٠ ٣٠ صفر

شكل ١٥.

وتوضح خريطة الموقع الاقليمى (شكل ١) لمدينة قسنطينة. أنها تتوسط اقليم شرق الجزائر، حيث تبعد بمسافة ٢٤٥ كلم من الحدود الشرقية الجزائرية التونسية وحوالي ٤٣٧كلم من الجزائر العاصمة غربا، و٨٦ كلم عن سكيكدة على ساحل البحر الابيض المتوسط شمالا و٢٣٥ كلم عن بسكرة في الصحراء جنوبا فهى بطبيعة هذا الموقع المتوسط من تونس من ناحية، وبالنسبة لمناطق شرق الجزائر من ناحية ثانية، قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالبلاد المجاورة للحدود الشرقية للجزائر أولا، وبمناطق شرق الوطن ثانيا، بشبكة كثيفة من طرق المواصلات البرية والحديدية والجوية، أضافت عناصر جديدة الى موقعها النقلى برا وجرا، بحيث أصبحت تشكل العقدة الرئيسية لاتجاهات النقل التى تستقبلها المنطقة الشرقية للجزائر، والتى تقوم منها واليها، وهى بذلك تعتبر بحق بوابة الشرق الجزائرى والمنفذ الرئيسى للصحراء حتى أصبحت تمثل طبقة وظيفية عليا من حيث نوع ومستوى وحجم الوظائف والخدمات المدنية بالنسبة الى المراكز العمرانية الاخرى الواقعة فى فلكها.

جدول رقم (١)

موقع مدينة قسنطينة بالنسبة لبعض المدن (*)

المدينة	بعدها عن قسنطينة	المدينة	بعدها عن قسنطينة
عنابة	١٥٦ كلم	سكيكدة	٨٦
الجزائر	٤٣٧	قالمة	١١٧
باتنة	١١٨	جيجل	١٤٩
بسكرة	٢٣٥	تونس	٤٧٦
سطيف	١٢٥	طرابلس (ليبيا)	١٥٦٠

وثمة بعد آخر في موقع مدينة قسنطينة، يمكن أن نطلق عليه البعد السياسي، فقد مارست قسنطينة وظيفة العاصمة في مملكة نوميديا القديمة وفي بعض الدويلات الرومانية والاسلامية، قبل وقوعها تحت سيطرة الاتراك وظهور الدولة الجزائرية بوضعها الجغرافى الحالى بعد الاحتلال التركي، حيث أصبحت عاصمة "لبايليك

(*) الجدول من انشاء الباحث.

الشرقي" وهي الوظيفة التي احتفظت بها بعد الاحتلال الفرنسي وقيام الحكم الوطني بعد الاستقلال يخضع لها من الناحية الادارية والاقتصادية اقليم شاسع يضم الجزء الشمالي الشرقي من الجزائر وقسما من الصحراء، وقسنطينة اليوم اكبر مدن شرق الوطن وثالث مدن الجزائر حسب عدد السكان، والتي تعطى عام ١٩٧٧ للجزائر العاصمة ١ر٢٠٠ر٠٠٠ نسمة، ووهران ٤٩٠٧١٣ نسمة وقسنطينة ٣٥٥٠٥٩ نسمة، وهذا يعني أن قسنطينة يسكنها ١٧ر٣٥٪ من جملة سكان هذه المدن الرئيسية بالجزائر (*)

وهكذا فقد عملت كل الابعاد في موقع قسنطينة الاقليمى، لان تكون المدينة نقطة استراتيجية، ذات أهمية خاصة في عملية الاتصال بين المدن المختلفة داخل الوطن وخارجه، وأهلتها لان تكون مدينة تجارية تتميز بسوق استهلاكية كبيرة من أهم مظاهرها عملية التجميع والتوزيع .

ثانيا ــ موضع مدينة قسنطينة :

تقوم المدن فى أماكن معينة، لتؤدى خدمات ضرورية للمجتمع، يتغير نوعها بمرور الزمن ولكن الذى يحدد نوع الوظيفة التي قامت من أجلها المدينة، هو طبيعة المكان الذى تقوم عليه. وعلى هذا فان دراسة الموضع تعد عاملا فعالا في التعرف الى عناصر قيام المدينة، باعتبار أن نقطة الاساس والبدء فيها هي الوظيفة، ولان هذه العناصر تظل عاملا مجددا ومتحكما في الصورة الحالية للمدينة اذ أنه من الصعب جدا أن تترك المدينة موضعا نشأت فيه لم يعد ملائما الى موضع جديد يتفق مع القيم الحضارية والجغرافية الدارجة. فقانون المدن هو التلاؤم والتكيف ولو بثمن باهظ، ومعنى ذلك أن الماضي يظل بالضرورة كامنا فى المدينة الحاضرة .

وتقوم مظاهر السطح، بدور واضح في تحديد موضع مدينة قسنطينة حيث تقوم المدينة فوق بقعة تتصل فيها الهضاب العليا القسنطينية باقليم الساحل المشرف على البحر المتوسط، وحيث تشكل الجبال المرتفعة والسهول ظاهرة مميزة للخطوط الطبيعية التي يسير عليها النمو العام للمدينة، ويدين هذا الموضع بأهميته الى الثروات الطبيعية التي تزخر به، والتي تجعل منه أهم اقاليم انتاج الحبوب

(*) كما تضم مدينة قسنطينة حوالى ٥ر٦٪ من اجمالى سكان المدن فى الجزائر الذين يبلغ عددهم عام ١٩٧٧ حوالى ٦٣٤٦٣٦٨ وحوالى ٨٥ر٩٪ من اجمالى سكان المدن فى ولاية قسنطينة (٤١٣٥٦ نسمة) .

بالوطن، حتى جعل بعض الجغرافيين يطلقون عليه اسم "صومعة الغلال التي تطعم الجزائر".

١ ـ الموضع الذى نشأت عليه قسنطينة :

لدراسة موضع مدينة قسنطينة لابد لنا من الرجوع الى الماضي، الى الوقت الذى نشأت فيه المدينة، ودراسة البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك، والتي بغيرها لا يمكن أن نفهم لماذا اختير هذا المكان بالذات لقيام المدينة. فقسنطينة في بداية نشأتها تربعت فوق الصخرة على جانبي وادى الرمال وبومرزوق، تحف بها العوائق والانحدارات الشديدة من كل جهاتها، فأهم عامل حدد هذا الموضع اذن هو سهولة الدفاع عنها، بالاضافة الى توفر المياه الضرورية للشرب، وهذه مزايا تدخل على نفوس السكان الامن والامان. ومما زاد في أهمية هذا الموضع هو وجوده وسط منطقة مبادلات واسعة تقع على حافة اقليمين متكاملين هما الصحراء والتل، تمر بها كل القوافل والمسالك التجارية وهذا ما يعطى لموضع مدينة قسنطينة ميزة فريدة من نوعها، وهي أنه يجمع بين شروط الموضع التجارى البرى والموضع الحربي البرى، وهي شروط قلما اجتمعت فى موضع مدينة.

وهذه الميزة هي التي تفسر الدور الهام والخطير الذى اضطلعت به المدينة على مر العصور، والتي لولاها لكانت قسنطينة مجرد سوق محلية شبيهة في ذلك بمعظم المدن الداخلية التي ظهرت في شمال افريقيا (كتلمسان مثلا) والتي لم ترق الى المكانة التي وصلت اليها قسنطينة.

فأهميتها الدفاعية وسيطرتها على التجارة وحركة المبادلات، جعلت منها قاعدة لكل الدويلات المحلية، لها الاولوية السياسية وبالتالي القوة العسكرية. كما أن هذا الموضع الحصين عسكريا والمدعم بامكانات اقتصادية خاصة به، هو الذى يفسر ظاهرة الاستمرارية التي ميزت قسنطينة عن باقي المدن الجزائرية، حيث كانت على مر التاريخ مركز الثقل لكل الحضارات.

وهذا ما دفع بالعديد من المؤرخين الى الاعتقاد بأن قسنطينة لم تكن لتوجد، لولا أهمية موضعها، الذى جعلها تحظى بالافضلية على مواضع أخرى أكثر اغراء من الناحية الاقتصادية، وتتوفر على امكانيات أفضل للتوسع والتطور. ومما يؤكد هذا، أن الناظر للخريطة التوقيعية للمدينة (شكل رقم ٢) يلاحظ أن أفضل المواضع لقيام المدينة يمكن أن يكون على بعد حوالي ١٥ كلم الى

الجنوب من موضعها الحالي ، حيث توجد حاليا قرية الخروب ، هناك حيث تتوفر امكانيات التوسع حيث تتلاقى الطرق الطبيعية للمبادلات ، وحيث الاراضي الزراعية الخصبة ، أين يلتقي وادى الرمال وبومرزوق ، وأين تتجمع عناصر قيام سوق كبيرة ، وان كانت لا تتوفر بها الحماية الطبيعية الكافية .

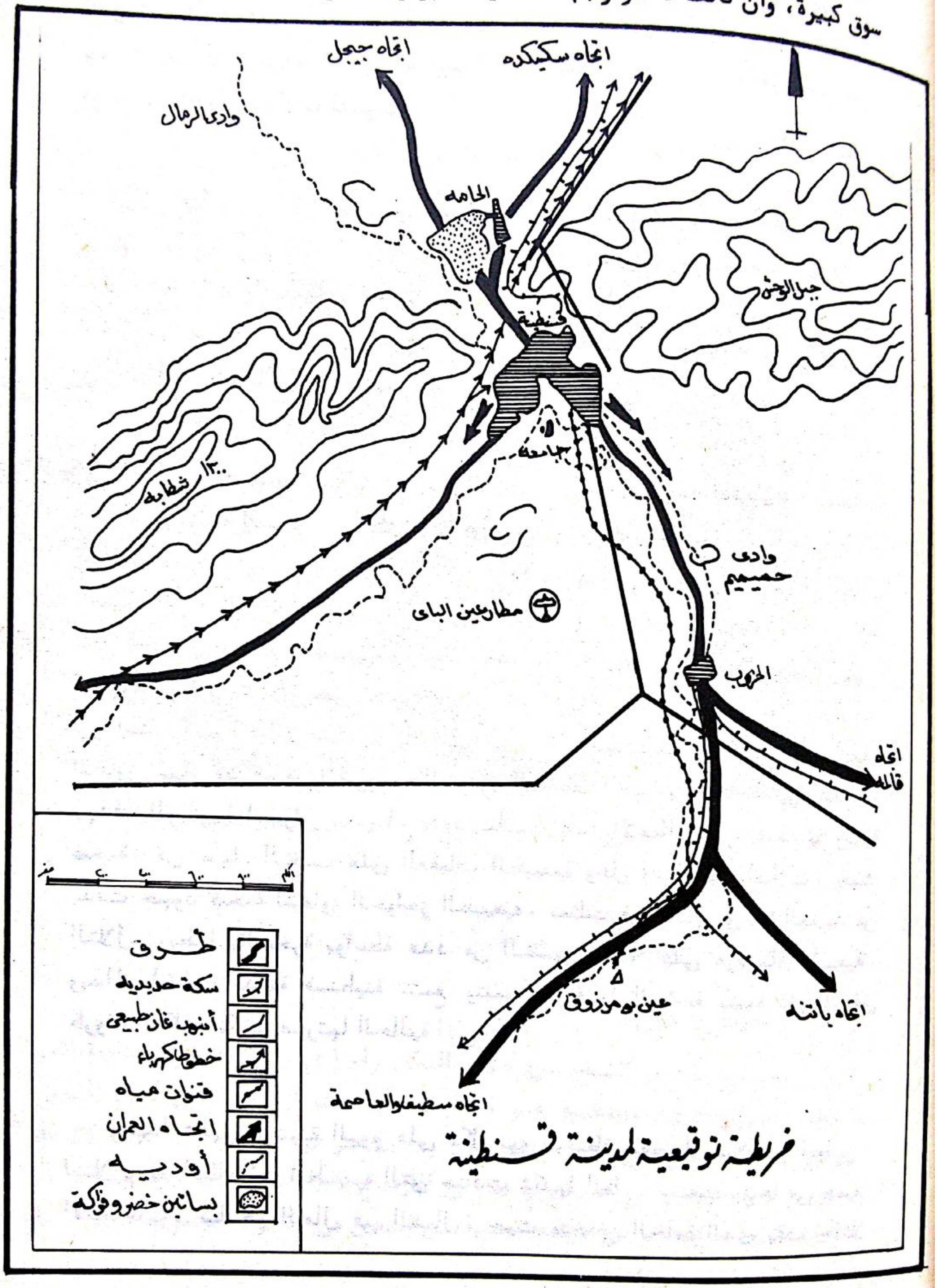
اتجاه جيجل
اتجاه سكيكده
وادى الرمال
الحامه
جبل الوحش
قسنطينة
١٣٠٠ شطابة
جامعة
وادى حميميم
مطار عين الباى
الخروب
اتجاه قالمة
عين بومرزوق
اتجاه باتنه
اتجاه سطيف والعاصمة
طرق
سكة حديدية
أنبوب غاز طبيعي
خطوط كهرباء
قنوات مياه
اتجاه العمران
أودية
بساتين خضر وفواكه

خريطة توقيعية لمدينة قسنطينة

شكل «٢»

ومعنى هذا أن الصخرة بميزة الحماية، زحزحت الموضع الاصلي والمنطقي لقيام المدينة. وليس من قبيل الصدفة اليوم أن تكون الخروب وليس قسنطينة اكبر سوق للمواشي والمواد الزراعية بالشرق الجزائرى، وأن تكون الخروب أيضا العقدة الرئيسية للطرق البرية والحديدية بالاضافة الى أن مطار المدينة يوجد على بعد ٣ كلم فقط منها. كما أن الخروب أيضا أقرب الى منابع بومرزوق التي تمون قسنطينة بالمياه الصالحة للشرب.

ومن هنا نلاحظ أن خصائص الموضع شديدة المحلية، وهو ما يفسر كيف أن موضع المدينة رغم الاغراءات الموضعية المتوفرة على مقربة منه، لم يتغير مع تغير الحضارات والمدنيات. وفي ضوء هذه الاعتبارات يمكن القول أن قسنطينة تعتبر من أمهات المدن في المغرب العربي، وأنها مدينة عريقة لم يتغير موضعها مع تغير المدنيات المتعاقبة عليها.

الا أن هذه الصفات المكانية التي حددت اختيار موضع قسنطينة، أصبحت تشكل في بداية العصور الحديثة عقبة في سبيل تطورها وتوسعها، اذ أصبح لا مفر لها في نموها أن تتعدى وتتخطى قيود وحدود موضعها الاصلي، وليس من قبيل الصدفة أن التطورات التي حدثت في السنوات الاخيرة كانت عبارة عن تحرك نحو احتلال الموضع الطبيعي والمنطقي للمدينة، أى باتجاه الجنوب نحو قرية الخروب. وأهم دليل على ذلك أن امتداد العمران يسير فى هذا الاتجاه، كما أن انشاء أهم منطقة صناعية بالمنطقة يقع الى الجنوب الشرقى، فى منتصف الطريق بين قسنطينة والخروب، كما أن المخطط العمرانى المستقبلي للمدينة يهدف الى ربط العمران بينهما. ولقد تطلبت هذه الاعمال خبرة هندسية وفنية ضخمة فى سبيل التغلب على العقبات الطبيعية وحل مشاكل المواصلات، حيث بذلت جهود ضخمة لتجاوز الحواجز الطبيعية، تمثلت في تسوية وردم العديد من التلال وربطها بالصخرة بواسطة عدد من الجسور للقضاء على عزلتها الطبيعية، وبذلك أخذت مدينة قسنطينة تتسع وتنمو بطريقتها الخاصة مكيفة نفسها وفق ظروف المكان لتأخذ صورتها الحالية الان.

ولهذا تظهر المدينة اليوم على شكل نوى مرتبطة ببعضها بشبكة من الطرق، لتتلاءم مع الظاهرات الطبيعية التي حددت شكلها العام، ومنعت نموها في جميع الاتجاهات، كما هو الحال في الشمال، حيث منخفض الحامة الذى يقف حائلا

دون نموها في هذا الاتجاه صورة رقم (٥)، وعلى هذا فان مدينة قسنطينة، ورثت كل هذه التناقضات الناتجة عن الاختلاف بين موضعها وموقعها، بين موضع دفاعي استراتيجي محدود من حيث امكانيات التوسع، وموقع مركزي مشجع للمبادلات يتطلب تطورا وتوسعا.

صورة ٢ منظر لخانق الرمال تحت جسر الشيطان

٢ ـ العوامل المؤثرة في موضع قسنطينة:

أ ـ مظاهر السطح:

من تتبع مظاهر السطح من خلال الشكل رقم (٣)، نلاحظ أن المنطقة التي تقوم عليها مدينة قسنطينة غير متجانسة من حيث ارتفاعها عن سطح البحر، فهي تكاد تنحصر بين خطي كنتور ٤٠٠ و ٨٠٠ متر في الشمال و ٨٠٠ر١٢٠٠ متر في الجنوب، أي أن السطح يأخذ في الارتفاع كلما اتجهنا نحو الجنوب، كما يلاحظ أن خطوط الكنتور تبتعد بعضها عن البعض في الاجزاء الجنوبية، ثم تأخذ في الاقتراب ناحية الشمال.

وهكذا نجد أن الصفة التضاريسية، هي أهم صفات الموضع الذى قامت فوقه المدينة وأهم المعالم التضاريسية في منطقة المدينة هي: ـ

١ ـ الهضاب العليا القسنطينية وهي المنطقة التي تقوم عليها المدينة.

٢ ـ اقليم التل أو الجهات التي تقع الى الشمال من مدينة قسنطينة.

١ ـ الهضاب العليا القسنطينية:

وهي المنطقة التي تقوم عليها المدينة، وهي عبارة عن مجموعة من الهضاب السهلية المرتفعة، تمتاز باتساعها الكبير وتوازن انحداراتها وهدوء معالم سطحها، وهي خليط من السهول النحتية ذات الاساسات اللينة من المارل، والسهول الردمية ذات الارسابات القارية والبحرية للميوبليوسين. وفي كل جهاتها تبرز حدور مغلفه بالطين تحمل فوقها تربة خصبة، تخترقها ضلوع من الكلس باتجاه جنوبي غربي وشمالي شرقي، وهي تتفق عموما مع التحدبات المصدوعة وغير المتماثلة، التي تعطى صفة الحوضية لاراضي هذه الجهات، والى توزيعها على شكل جيوب سهلية. وتتلقى هذه الجهات بين ٤٠٠ و ٥٠٠ ملم من الامطار سنويا، ومناخها شبه قارى تتداخل في تكوينه المؤثرات الصحراوية القادمة من الجنوب، والمؤثرات البحرية القادمة من الشمال. وهذه المنطقة كانت دائما منطقة مرور وأرض تبادل سمحت باحتكاك وتجانس مختلف الاجناس البشرية والحضارات التي قامت فوق أديمها، ولا زالت حتى الان منطقة التقاء بين سكان مناطق التل والصحراء. ولقد تسببت معركة التحرير الوطنية في انتقال جزء هام من سكان مناطق التل الى مشارف هذه المنطقة، لتكوين تجمعات عمرانية جديدة، أقامتها سلطات الاحتلال تحت اسم مراكز التجميع Centres de regroupements، تضخمت مع مرور الايام بسبب حركة النزوح الاجبارية، وتحولت الى محطات يستقر بها المهاجرون بحثا عن العمل في الاراضي الزراعية. كما يؤمها الرعاة القادمون من الجنوب ترافقهم قطعان الماشية، حيث تتحول الاراضي الزراعية الى مرعى كبير للقطعان القادمة من الاوراس والحضنة فى الجنوب خلال شهرى ابريل ومايو، وتنتج عن هذه الحركة مبادلات عديدة، يتبادل خلالها سكان الهضاب العليا والتل، القمح والاغنام بالخضر والفواكه القادمة من الشمال، والتمور والملابس الصوفية القادمة من الجنوب. كما تعبر بهذه المنطقة كل السلع والبضائع القادمة من العاصمة نحو الشمال والجنوب أو المتجهة اليها، وكذلك بين البحر والصحراء.

والسبب في ذلك أن ظاهرات السطح فى هذه المنطقة، عملت على أن تمتد أكبر وأهم طرق النقل البرى والحديدى بها. وتسببت هذه العوامل في نشوء

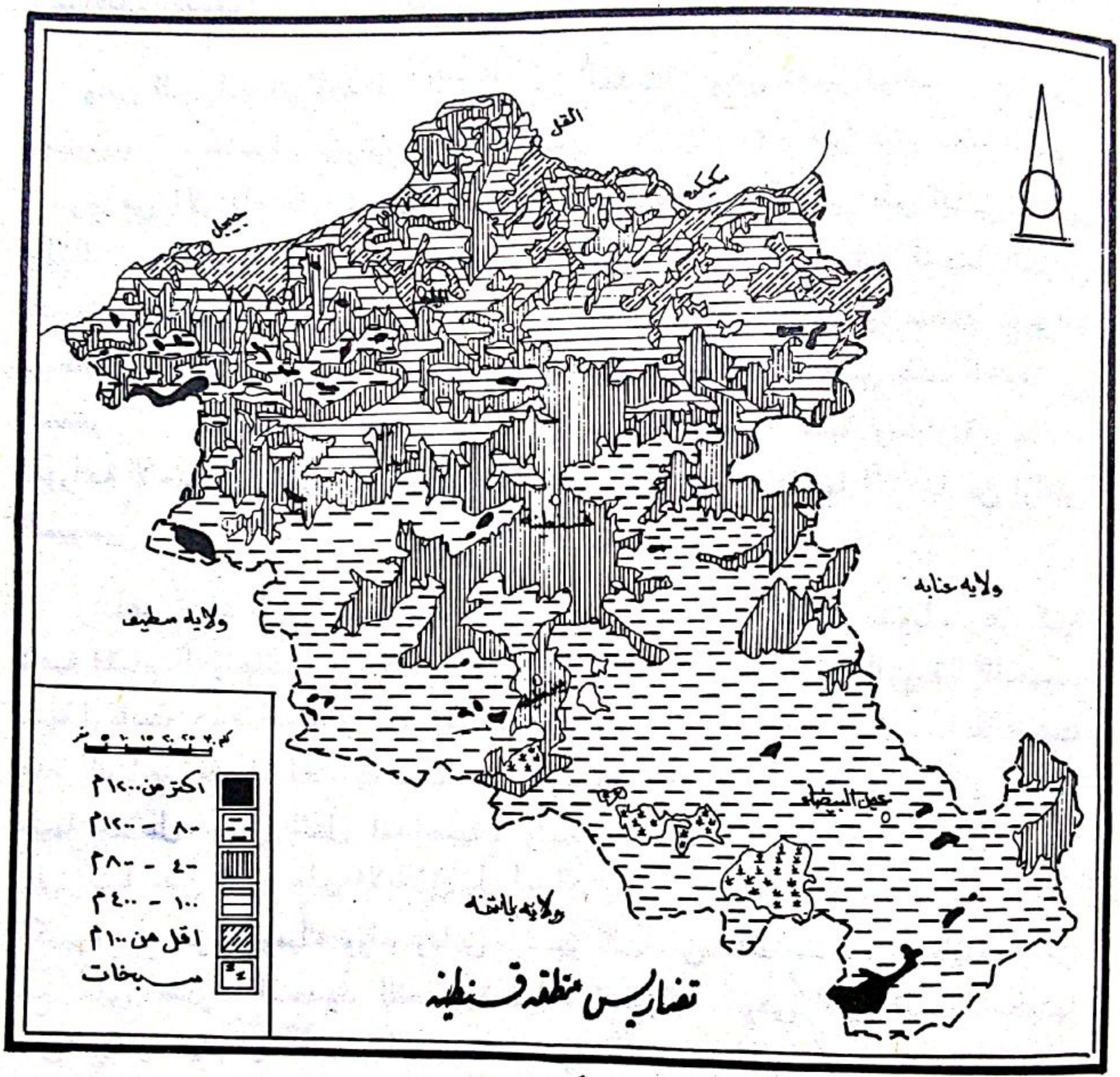
القل
سكيكدة
جيجل
ولاية عنابة
ولاية سطيف
عين البيضاء
ولاية باتنة
كم ٣٠ ٢٥ ٢٠ ١٥ ١٠ ٥ صفر
اكثر من ١٢٠٠م
٨٠٠ - ١٢٠٠م
٤٠٠ - ٨٠٠م
١٠٠ - ٤٠٠م
اقل من ١٠٠م
سبخات
تضاريس منطقة قسنطينة

شكل «٣»

عدد من مدن الاسواق تعيش اساسا على اقتصاديات التبادل التجارى بين اقليمين متكاملين هما الصحراء والتل، وهي في الغالب مدن متوسطة الحجم، تطورت من قرى استيطانية استعمارية ومراكز تجميع، وتضخمت بعد حرب التحرير بسبب ما استقطبته من نزوح سكان الارياف، وهي لذلك حافظت على طابعها المورفولوجي ذى الصفات الريفية الواضحة، وينطبق ذلك على مدن برج بوعريريج وباتنة وعين مليلة وعين البيضاء والخروب.

٢ ـ اقليم التـل :

وهى الجهات الواقعة الى الشمال من المدينة، وهي تظهر كوحدة مورفولوجية وجيولوجية متجانسة، يتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠ و ١٢٠٠ مترا فوق سطح البحر، تتدرج في الارتفاع كلما اتجهنا نحو الغرب، ترجع في تكوينها الى الزمن الثاني والثالث تغطيها في قسمها الغربي تكوينات الميوسين، وفي قسمها الشرقي تكوينات الغريس، تتداخل فيها ضلوع متوسطة الارتفاع وخاصة في منطقة فج مزالة وشطابة، وتسود في هذه الجهات صخور الشيست والمارل، وفوق هذه الطبقة من الصخر الام تكونت ترب كلسية، ثقيلة نوعا ما، ولكنها غنية ومتوازنة، صالحة للزراعة لاحتوائها على نسب هامة من خام الفسفات، نقلتها الاودية من اراضي الميوسين.

وتتلقى هذه الجهات حوالي ٥٠٠ الى ٧٠٠ ملم من الامطار سنويا، وهي كمية كافية لقيام الزراعات التي لا تعتمد على الرى، والتي لا تجهد التربة، كالحبوب ولهذا كانت هذه المناطق من اهم مناطق انتاج الحبوب بالجزائر. ولقد عاشت هذه المناطق معزولة لفترات طويلة من تاريخها، تدير ظهرها للبحر، الذى تحجبه عنها سلاسل جبال التل الداخلية، ولذلك حافظت على طابعها الريفي، ولم تظهر بها مدن هامة على الاطلاق بل اسواق ريفية متوسطة الاحجام كبوقاعه وعين الكبيرة وفج مزالة وميلة وواد زناتي، تسير كلها في فلك مدينة قسنطينة، التي تقع على مشارف الحدود الجنوبية لهذه الجهات، وهى التي قضت بسطوتها على امكانية قيام اية مدينة هامة بهذه الجهات.

أما بالنسبة للاشكال الارضية التفصيلية في مدينة قسنطينة ذاتها، فيمكننا التمييز بين عدد من الهضاب والتلال المرتفعة (بين ٥٣٤ و ٦٤٤م فوق سطح الارض) شكل رقم (٤) وشكل (٤) مكرر اهمها الصخرة، وهي عبارة عن كتلة كلسية ذات شكل مثلث غير منتظم الاضلاع، قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب، يحيط بها وادى الرمال من كل جهاتها باستثناء الشمال، الامر الذى يعطيها صورة شبه الجزيرة. وتتمكن الصخرة من كتلة كلسية بارزة، ارتفاعها الظاهرة ٣٠٠ متر.

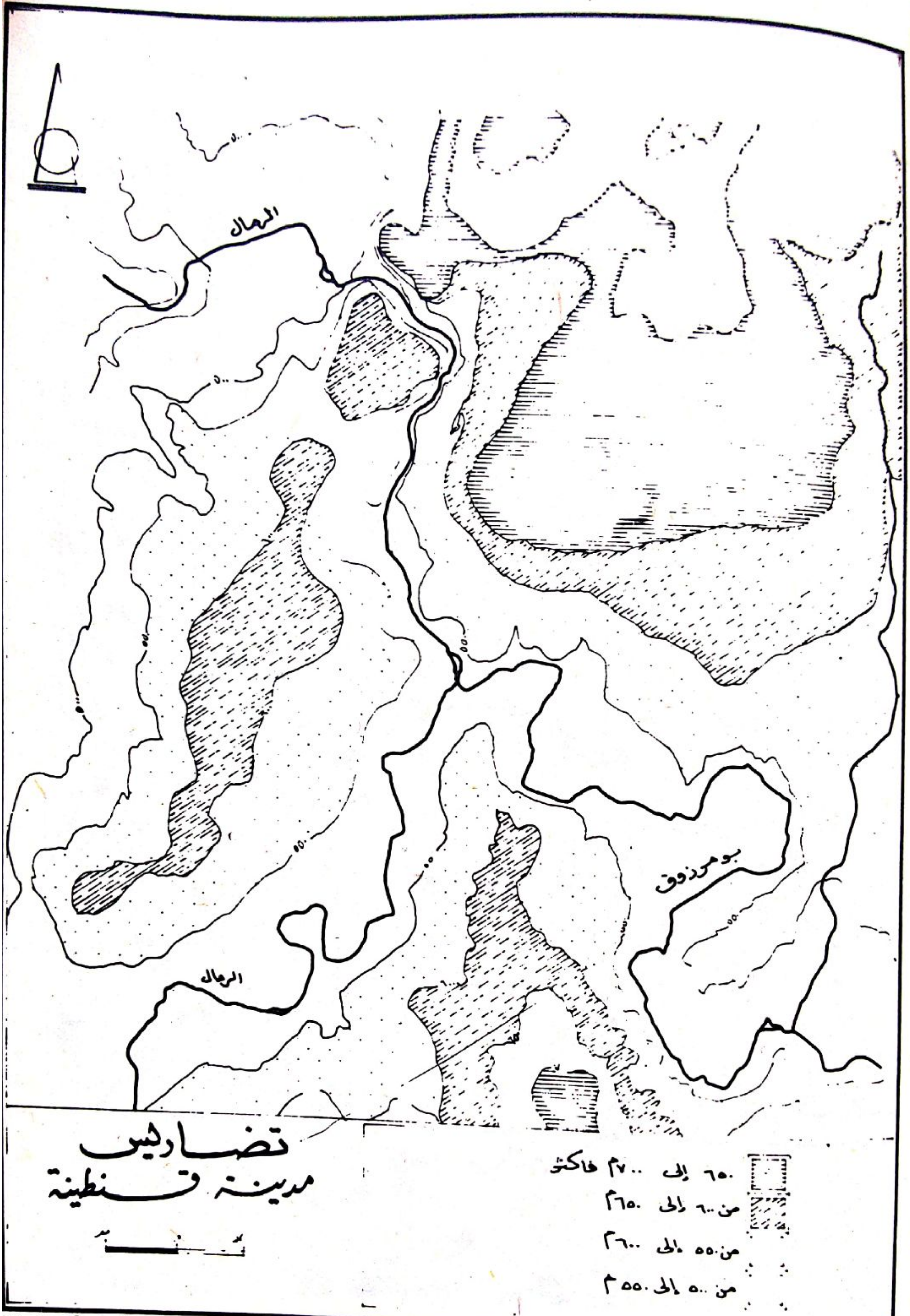
الرمال
بومرزوق
الرمال
بومرزوق
٥٠٠
٥٥٠
٦٥٠ إلى ٧٠٠م فاكثر
من ٦٠٠ إلى ٦٥٠م
من ٥٥٠ إلى ٦٠٠م
من ٥٠٠ إلى ٥٥٠م

تضاريس
مدينة قسنطينة

المصدر: CA. 01 – Constantine et terrains environnants 1/20000

شكل "٤"

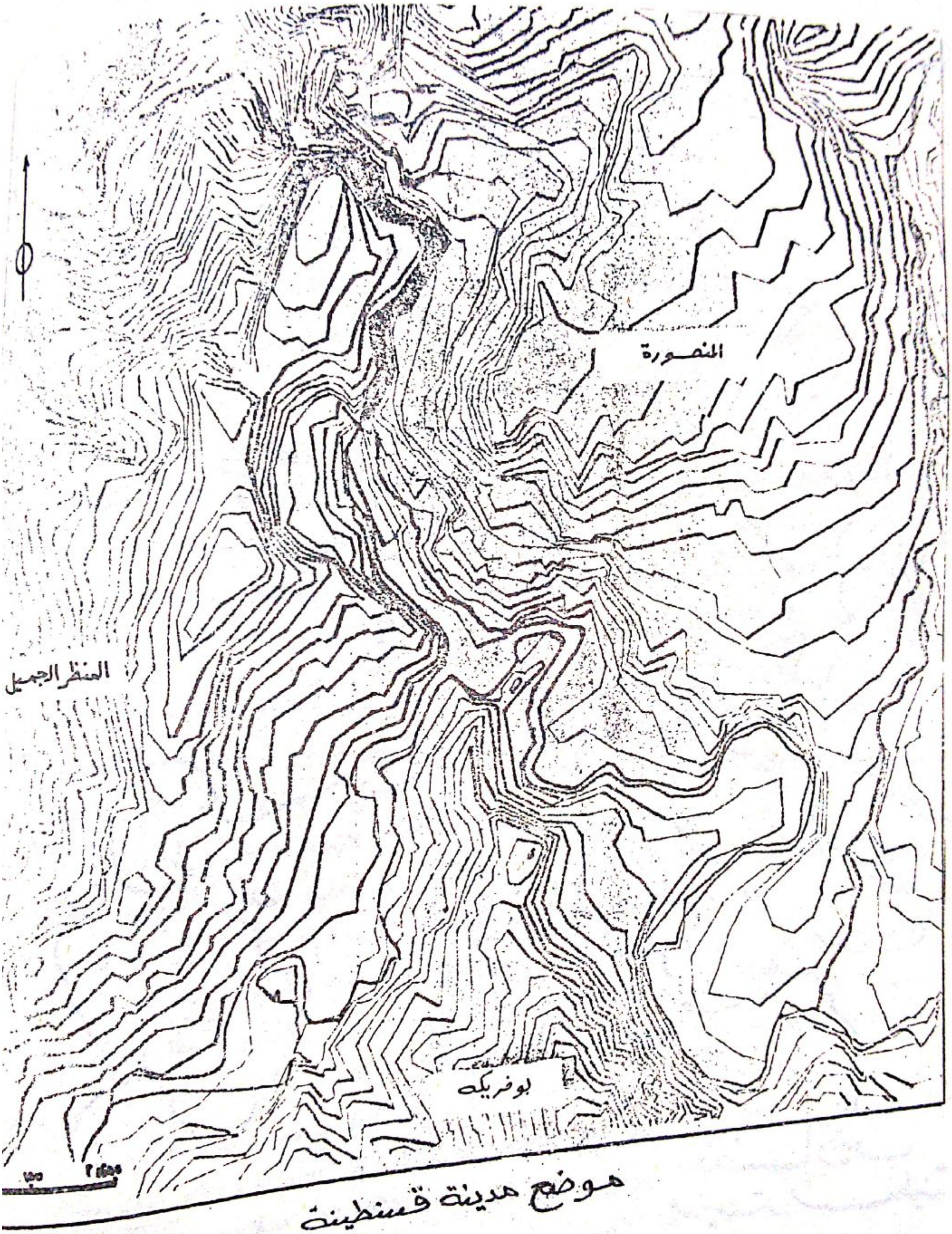
المنصورة
المنظر الجميل
بوفريكه
١٥٠
٢٥٠٠

موضع مدينة قسنطينة

وأعلى ارتفاع فيها يقع فى أقصى الناحية الشمالية عند المكان المسمى كاف شيكارة (٦٦٤م فوق سطح البحر) ومنها يبدأ سطح الصخرة فى التدرج فى الانحدار باتجاه الجنوب ثم الجنوب الشرقى حتى سيدى راشد أدنى ارتفاع بالصخرة (٥٦٤م فوق سطح البحر). ولا ترتبط الصخرة بالاراضى المجاورة لها الا بشريط ارضى عرضه حوالي ٣٠٠ مترا يربطها بهضبة الكودياء، اما الجهات الاخرى فتطل مباشرة على الوادى.

اما الوادى المحيط بالصخرة فيعود في تكوينه الى نهاية الزمن الرابع فى عصر البلايسنوسين الحديث، عندما بدأت المياه تنحت الصخر الكلسي وتوسع الشقوق الموجودة فيه وتعمقها. وبالتدريج واضافة الى العوامل الكيماوية والميكانيكية، اتسعت هذه الشقوق، فظهرت المغارات وتسربت المياه اليها وبهذه الطريقة كون الوادى سلسلة من الدهاليز، تحولت الى مخازن للمياه، عملت بعد تضخمها على كسر سقوف الدهاليز التي بدأت تسقط الواحدة تلو الاخرى، وبهذه الصورة تكون الاخدود الحالي المشهور باسم خوانق الرمال الشهيرة. (صورة ١/٢/٣). وهكذا فان اخدود قسنطينة جاء نتيجة لتعاون عوامل النحت التي قامت بها المياه داخل الشقوق، وانفجار الدهاليز التي نتجت عن هذه العملية.

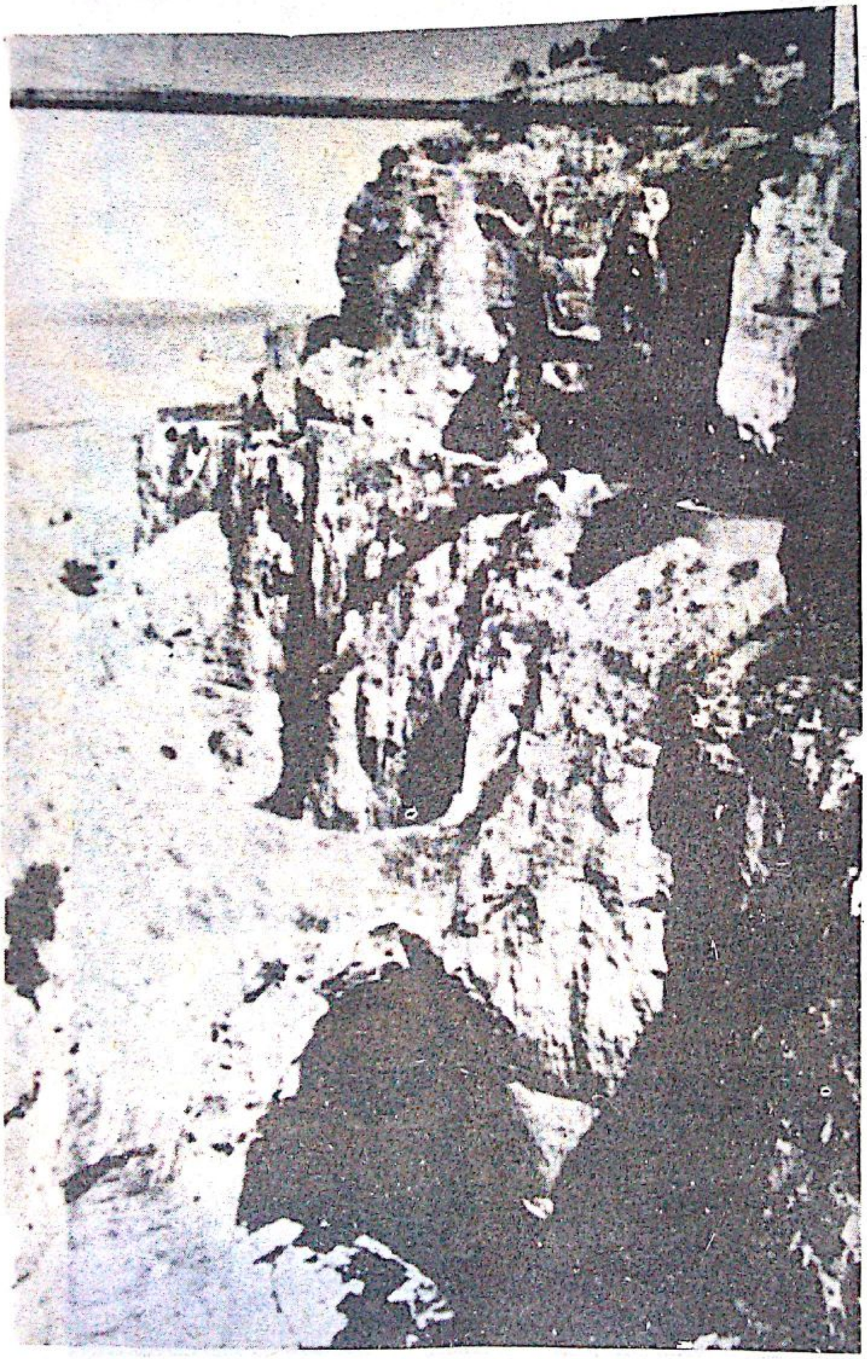

صورة ١
منظر لخانق وادى الرمال تحت الجسر المعلق

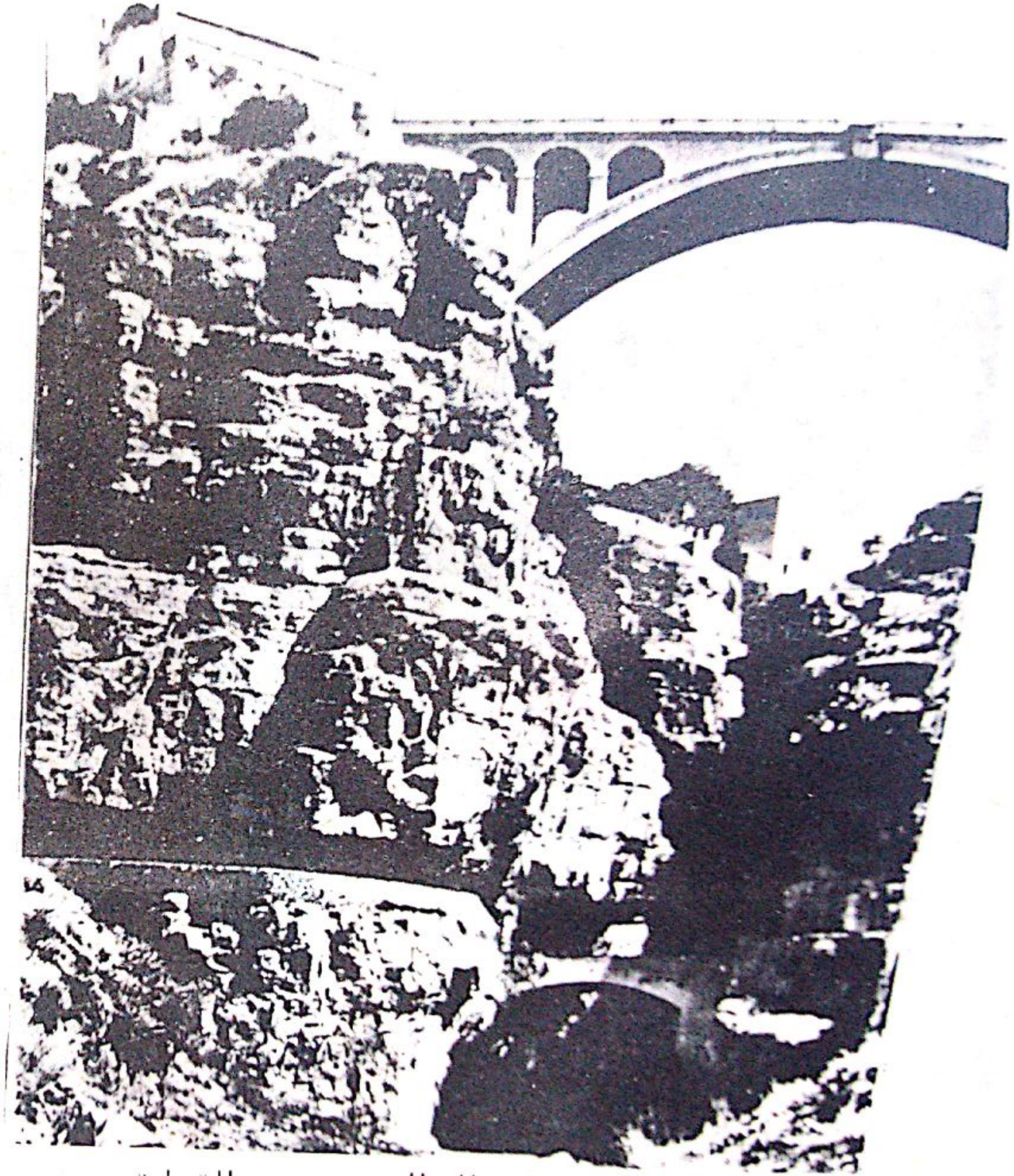

صورة ٣ منظر لخانق الرمال تحت جسر القنطرة

صورة ٤ صورة جوية للمدينة القديمة

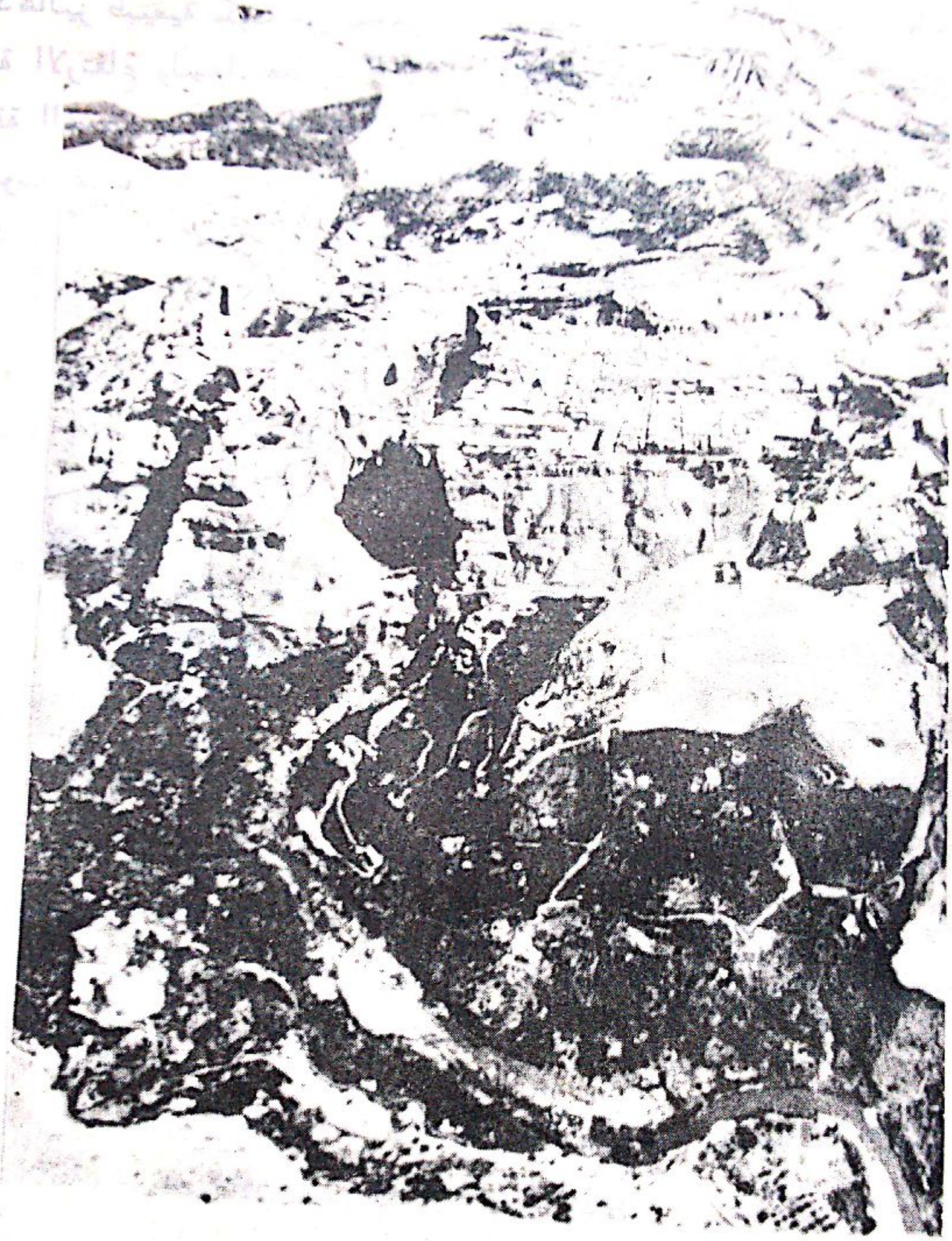

صورة ٥
منخفض الحامة عند الجهة الشمالية
للمدينة القديمة

ويبلغ طول هذا الاخدود حوالي ٢٨٠٠ مترا، يبدأ في الشمال عند سيدي راشد على عمق ٣٥ مترا، حوافه متوسطة الانحدار على مقربة من سطح الصخرة. ولكنها عند الثلث الاعلى منها تأخذ في الانحدار الشديد ليقترب بعضها من بعض، ثم تتسع من جديد لتكون سرير الوادى، وعند منطقة الشلالات تدخل المياه في دهاليز طبيعية مكونة من صخور الترافرتان المرتكزة على الصخر الكلسي، وهي قليلة الارتفاع ولهذا تغطيها المياه من فوق عندما يرتفع منسوب الوادى. وفى منطقة القنطرة ينحرف الاخدود بزاوية تكاد تكون قائمة، ليترك اتجاهه الاصلى (جنوب غرب/ شمال شرق) الى اتجاه شمالي غربى، مرورا بمنخفض المنصورة وسيدى مسيد، وهنا ينغلق الاخدود في عدد من المناطق بسقوف من الترافرتان مشكلا بذلك جسورا طبيعية تربط بين جانبي المنخفض.

أما بقية الهضاب المكونة لسطح المدينة فهي هضبة المنصورة، وهي مسطحة الشكل، تتحدر تدريجيا من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي باستثناء جزئها الجنوبي الشرقي، وهي تقع على الضفة اليمنى لوادى الرمال، يتراوح ارتفاعها بين ٦٣٠ و ٧١٥ مترا فوق سطح البحر. ويلاحظان زوايا الميل تكاد تكون متساوية، وأن سطح الهضبة يتخذ شكلا أفقيا تقريبا، وذلك نتيجة لعوامل التعرية التى أثرت فيها، والتي خلفت ارسابات جيرية قديمة، أما الحواف فتتشكل من صخور المارل والجير، تأثرت هي الاخرى بعوامل التعرية، فتكونت بها شبكة من الشعاب. وتتصل بهذه الهضبة مجموعة من التلال المتوسطة الارتفاع أهمها سيدى مبروك.

وفي الشمال هضبة سيدى مسيد، التي يبلغ ارتفاعها حوالي ٧٢٥ مترا فوق سطح البحر، والتي تقع على الحافة اليمنى للاخدود مقابل الصخرة، يفصل بينها منخفض الحافة، الذى تغطيه أراضي الابيز Lapiez ، والتي بقيت في هذه المنطقة يفضل غطاء المارل الذى يكسوها.

أما في الجنوب فتمتد هضبة بوفريكة، والتي تقوم عليها حاليا جامعة قسنطينة وهي متوسطة الارتفاع تقع بين وادي بومرزوق ووادى الرمال، وتمتد حتى هضبة عين الباى، وهذه الهضاب الجنوبية تشكل متنفسا امام امتداد العمران في الوقت الحاضر أو في المستقبل القريب لما تمتاز به من انبساط واستواء السطح. وهي على العكس من هضبة المنصورة وسيدى مبروك، عبارة عن تلال متناظرة، ولذا كانت ملامح السطح هنا واتجاهات خطوط الكنتور، لها اثرها الواضح في امتداد العمران، حيث تركزت بها الاستخدامات التي تتطلب مساحات كبيرة، كالمناطق الصناعية (بالما وبومرزوق) والجامعة، ومعهد تكوين الاطارات الطبية، والمطار، والمركب الاولمبي للرياضة.

والى الشمال الشرقى على بعد حوالى ١٢كلم من المدينة ، يظهر جبل الوحش وهو عبارة عن كتلة ضخمة من الغريس، يقابله في الجنوب الغربي جبل شطابه ذو التكوينات الكلسية وهما من اهم الظاهرات الفيزيوغرافية بالقرب من المدينة. ويشكلان اهم مناطق الراحة والترفية بها حيث الغابات .

ونستخلص مما سبق ، أن مدينة قسنطينة في نشأتها الاولى اختارت موضعها على الصخرة التي تشكل بوضعها الفيزيوغرافي اهم عوامل قيامها كما يمكننا ملاحظة ان هذا الموضع يتكون من عدد من الهضاب المتوسطة الارتفاع تمتد على نمط طوبغرافى شديد التضرس (حوالى ٢٠٠ متر من الانحدارات، بين ٥٣٠ و ٧٥٠ مترا فوق سطح البحر) وهو الوضع الذى حدد محاور نموها واتجاهاتها، حيث امتد العمران باتجاه الجنوب والجنوب الشرقي والشرق والغرب. وكانت هذه العملية مرهونة باشغال ضخمة واستثمارات كبرى وتقنيات حديثة، وهو ما تسبب في تقطع المجال الحضرى ، واعطائه شكلا فريدا ومتميزا.

ب ــ جيولوجية مدينة قسنطينة ومنطقتها :

للتركيب الجيولوجي آثار مباشرة فى تخطيط وقيام المدن، تتمثل في نوعية الصخور السائدة في منطقة المدينة ، ومدى امكانية استخدامها في عمليات البناء . كما ان صلابة الطبقة السطحية تمكن من تحمل ضغط المباني العالية، وتساعد على مد الطرق وخطوط السكة الحديدية .

ومن تحليل الخريطة الجيولوجية للمدينة ومنطقتها (شكل رقم ٥ و ٦) ومن خلال بعض الدراسات والتقارير التي وضعها بعض المختصين (٤) ، يتضح لنا مايلي : ــ

---

(4) Durozoy Guy-la géologie et les problèmes de l'eau en Algérie. XIXo congrés Géologique international. Alger, 1952, pp. 1-12. IGN - Carte géologique de l'Algérie. Feuille de Constantine, 1/200 000, type, 1960.

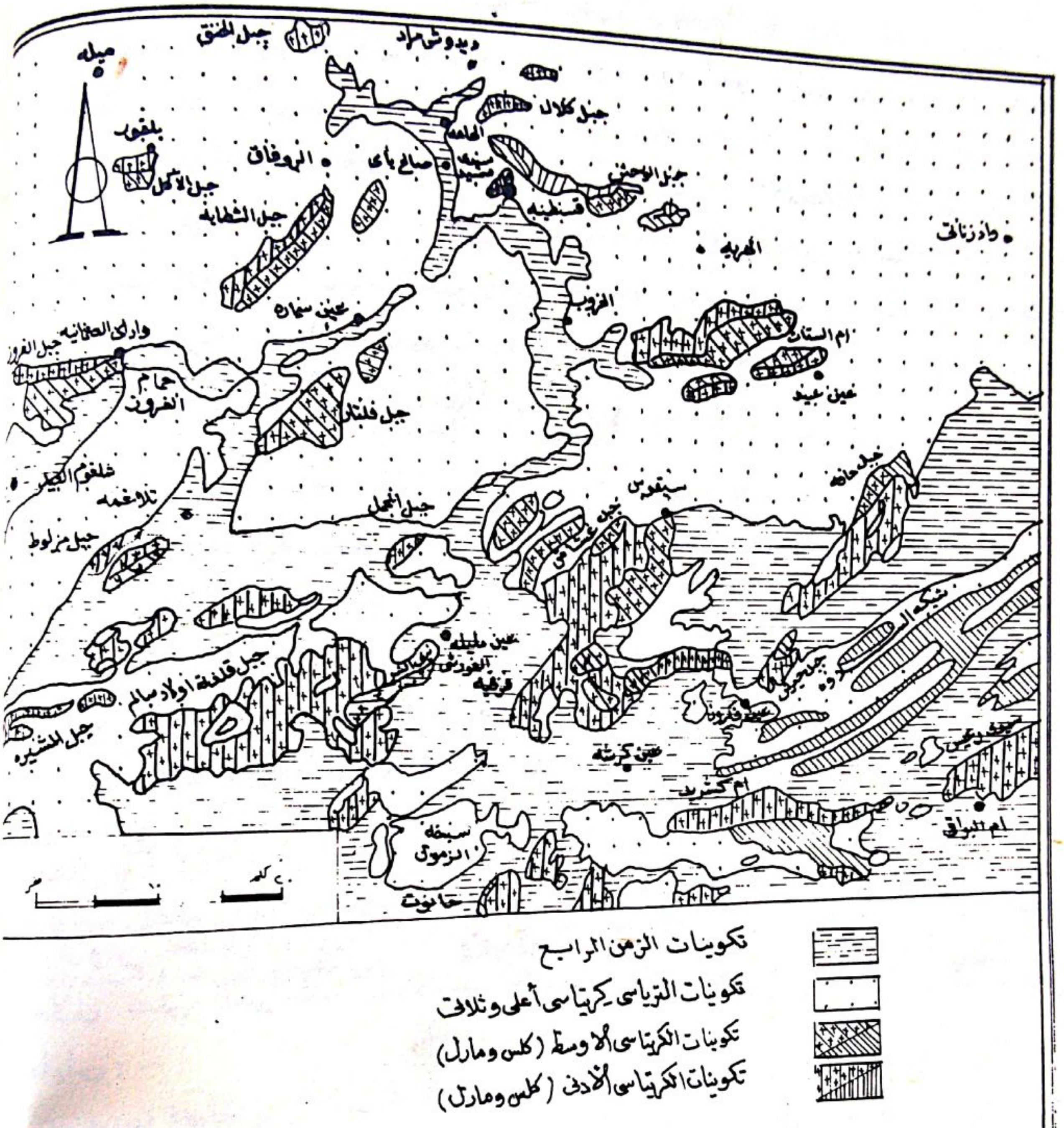
ميله
جبل المنق
ديدوش مراد
جبل كلال
الحامه
سيدي مسيد
صالح باي
الروفاق
بلفور
جبل الاكحل
جبل الشطابه
جبل الوحش
قسنطينه
الهرية
واد زناتي
الخروب
عين سمارة
وادي العثمانيه
جبل الغروز
حمام الغروز
جبل فلتان
ام السنان
عين عبيد
شلغوم العيد
تلاغمه
جبل مزلوط
جبل الجمل
سيقوس
جبل قلعة اولاد سالم
جبل المشيره
عين مليله
عين فكرون
عين كرشة
ام الكتريد
ام البواقي
سبخة الزموق
حانوت
كلم
تكوينات الزمن الرابع
تكوينات الترياسي كريتاسي أعلى وثلاثي
تكوينات الكريتاسي الاوسط (كلس ومارل)
تكوينات الكريتاسي الادنى (كلس ومارل)

جيولوجية منطقة قسنطينة

شكل « ٢ »

قسنطينة - الخريطة الجيولوجية

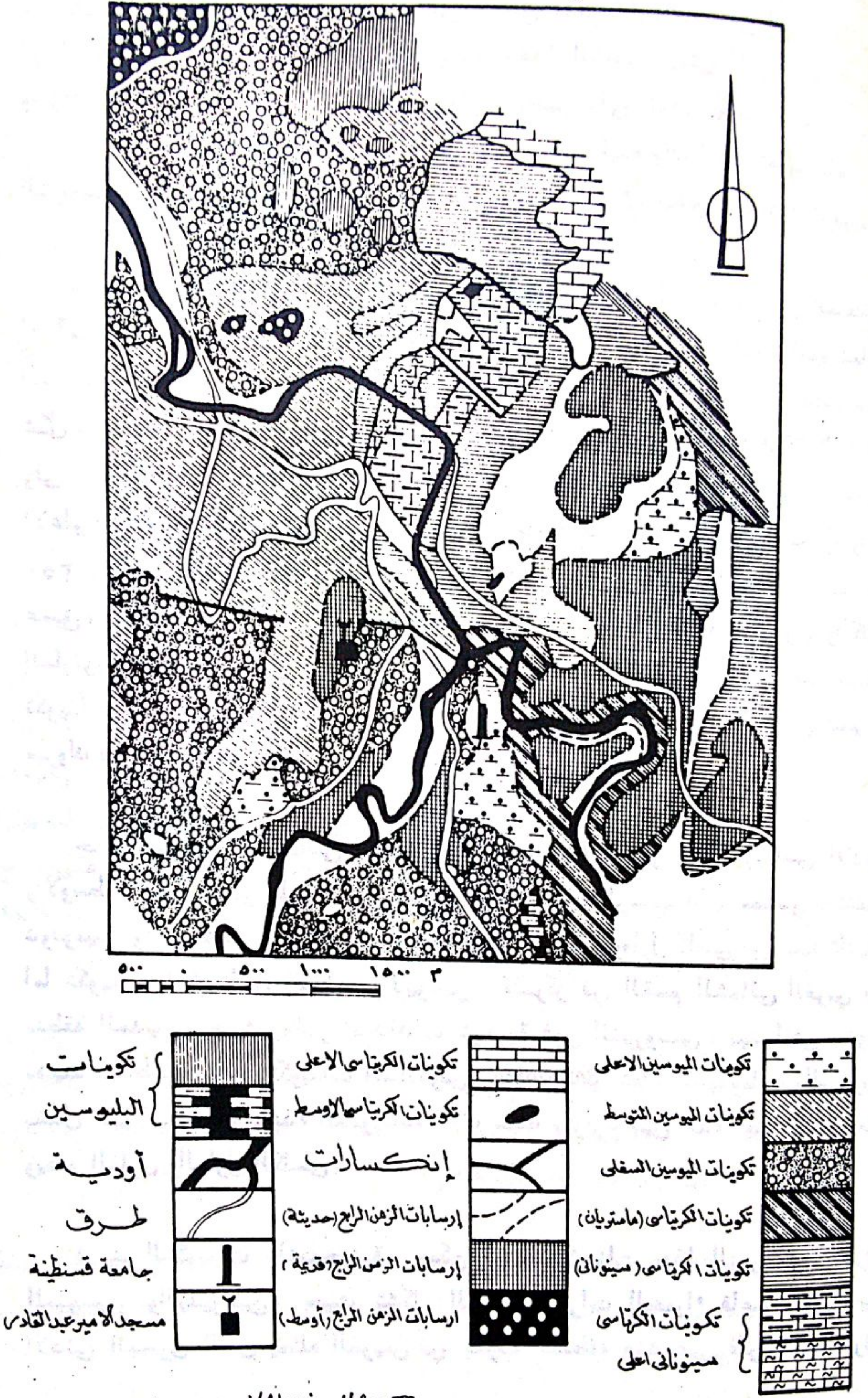
٥٠٠ ٠ ٥٠٠ ١٠٠٠ ١٥٠٠ م
تكوينات الميوسين الاعلى
تكوينات الميوسين المتوسط
تكوينات الميوسين السفلى
تكوينات الكرتياسى (ماستريان)
تكوينات الكرتياسى (سينونانى)
تكوينات الكرتاسى سينونانى اعلى
تكوينات الكريتاسى الاعلى
تكوينات الكريتاسى الاوسط
إنكسارات
إرسابات الزمن الرابع (حديثة)
إرسابات الزمن الرابع (قديمة)
ارسابات الزمن الرابع (أوسط)
تكوينات البليوسين
أودية
طرق
جامعة قسنطينة
مسجد الامير عبد القادر

CARTE GEOLOGIQUE DE L'Algerie 1/200 000

شكل (٦)

أ ـ تكوينات الترياسي : ان اقدم الصخور الموجودة في منطقة المدينة تعود الى الترياسي ، وهي تتمثل عموما في الصلصال والطين الاحمر المخلوط بالجبس مع بلورات من الكوارتز ، كما تنتشر في مناطق متفرقة ارسابات من الكلس الاصفر او الرمادي في شكل لوحات ودولوميت . وهذا التجمع يمثل الترياسي الاعلى وجزءا من الاوسط ، وهو في الوضع العام ، يظهر على شكل روءس ديابيرية على طول العوارض البنيوية . وفي مدينة قسنطينة بالذات ، تظهر تكوينات الترياسي في الجنوب الغربي من هضبة المنصورة في شكل صخور جيرية دولومينية .

ب ـ تكوينات الجوراسي : ان تكوينات الجوارسي لا تظهر بوضوح في المنطقة ، الا انه لا يوجد دليل قاطع يمنع من احتمال تواجد فجوات رسوبية . ففي شمالي المنطقة عند السلسلة النوميدية تظهر تكوينات اللياس والجوراسي الاعلى على شكل دولوميت عند القاعدة ، وفوقها كلس ملتحم Zoogene أو Subtithographique وفي الجنوب في منطقة الاحواض المغلقة (جبل مستاوة وتافورار) يظهر الجوراسي الاعلى والاوسط على شكل كلس منحوت به نسبة عالية من الدولوميت (حوالي ٣٥٠ مترا) ، واللياس على شكل كلس طباشيري ودولوميتي ، نتيجة ترسب غير عميق ، بينما تظهر الى الجنوب عند بلزمة نفس الطوابق من المارل والكلس المارلي الكثيف ، نتيجة عملية ترسب اكثر عمقا . وفي قسنطينة بالذات تتمثل تكوينات الجوراسي في اللياس الذي تتركز تكويناته في الشمال الشرقي لسيدي مبروك في شكل صخور جيرية صوانية زرقاء .

ج ـ تكوينات الكريتاسي : تتمثل تكوينات هذا العصر في الكريتاسي الادنى والاوسط ، وهي تظهر على شكلين ، دليلا على عملية ارساب ذات مصادر مختلفة : دولوميت وكلس شاطيء من جهة ، ومارل ومارل شيستي ومارل كلسي من جهة ثانية . اما تكوينات الكريتاسي الاعلى والايوسين ، فتتركز في القسم الشمالي الغربي من منطقة المدينة ، حيث تظهر امتدادات ترسبية فوق التوروني ، بينما في جنوب مدينة قسنطينة ، نجد تكوينات السانتوني Santonien تعلو السينوماني والتيروني بشكل غير متطابق ، وهذه التكوينات ذات سمك يتراوح بين عدة امتار و ١٠٠ متر ويضم المارل والمارل الكلسي .

د ـ التكوينات النيوجينية : يمكن تمييز تكوينات هذا الزمن في عصري الميوسين والبليوسين ، حيث تشكل الكونغلو ميرات الحمراء قاعدة الميوسين الادنى البحري الذي يمثله الغريس في جنوب المنطقة عند عين فكرون ، والمارل

الاسمر في الشرق عند عين رقادة. اما المايوسين الاوسط فلا تظهر تكويناته الا فى اقصى الشمال عند المنخفض الذى يفصل بين مدينة قسنطينة وسلسلة الجبال النوميدية، وفيها ايضا تظهر تكوينات الميوسين الاعلى القارى على شكل مخازن من الديترتيك الاحمر، وفي جنوب غرب المنطقة عند تلاغمة تظهر هذه التكوينات في شكل طبقة من الكونغلوميرات الكثيفة (حوالي ٤٠٠متر) متداخلة مع الطين الاحمر كما تظهر في الشرق عند عين مليلة في شكل مارل اصفر متجانس وكثيف.

وتظهر هذه التكوينات في مدينة قسنطينة، على شكل ارسابات من الغضار العادى والحجر الرملي في منطقة الجامعة وتل بوفريكه، وعلى شكل ارسابات من الغضار المخلوط بالبودينغ في ساباتي والاراضي الشمالية الغربية للمدينة، وفي الكودياء والمنظر الجميل كما تظهر تكوينات الميوسين في جنوب المدينة عند عين الباى.

وفي البليوسين نتجت عن عملية الارسابات تكوينات مماثلة، طين أحمر ورملي تظهر بوضوح عند عين الباى في مدينة قسنطينة وفي بعض المناطق جنوبي المدينة على شكل كلس مخلوط بالترافاتان.

هـ ــ تكوينات الزمن الرابع : وهي تتألف من الطمى (الغرين) القديم في شكل حصاة مخلوطة بالطين على محاذاة السطح تغطيها قشرة من الكلس. وعلى مستويات مختلفة تظهر سطوح خاصة بالاودية وعلى محاذاة السهول (عند عين مليلة) حيث ارسابات الترافرتـــابان. وتظهر بوضوح في مدينة قسنطينة في المنصورة وسيدى مبروك. اما التكوينات الحديثة من الغرين فهي صلصالية خاصة في السهول الجنوبية، وجبسية في بعض الاحيان. كما تظهر هذه التكوينات بوضوح على سفح المرتفعات الكلسية الكبرى على شكل ردوم مخروطية. اما في مدينة قسنطينة فتتركز هذه التكوينات في باب القنطرة وجنوبي المنصورة وحي دقسى.

وهكذا يلاحظ انه من الناحية الستراتيغرافية، فان المنطقة التي يحتلها عمران المدينة، تبدو متجانسة نوعا ما في تكويناتها الصخرية، حيث تغلب عليها الصخور الكلسية وبعض الرواسب الحديثة، التي تعود في معظمها الى الكريتاسى، ويمكن تمييزها بين ثلاثة انماط رئيسية هي:

١ ــ منطقة ذات صخور كلسية وتربة شيستية تمتد في نطاق الصخرة وسط المدينة، وحواف وادى الرمال والقنطرة وهي في معظمهـــا ترجع الى الكريتاسى الاوسط والاعلي.

٢ ـ مناطق ذات تكوينات متفاوتة الصلابة من الصخور المارنية المختلطة بالجير كما هو الحال في سيدى مسيد والمنظر الجميل، أو ترسبات من الغضار العادى والحجر الرملي والبودينغ كما هو الحال في الكودياء وبلوز داد وحي ٢٠ أوت. وكل هذه التكوينات لها اهميتها بالنسبة للمدينة وخاصة في ميدان البناء حيث يستفاد منها في صناعة الجير والاسمنت واعمال الطرق.

٣ ـ مناطق ذات ارسابات قديمة أو حديثة تكونت في الزمن الرابع، وتشمل الاطراف الجنوبية والشرقية والجنوبية الغربية للمدينة في المنصورة وسيدى مبروك وبوفريكة وعين الباى وهي تتكون من الصخر الجيرى والحجر الرملي. وهذه الصورة للتكوينات تعطى موءشرا بأن احتمالات التوسع العمراني للمدينة ستكون في هذه الاطراف.

كما يلاحظ ان الجبال الكلسية والتلال المتناثرة ذات التركيب المارلى تحيط بالمدينة، تشكل فى الواقع المصدر الرئيسي للمياه الصالحة للشرب الضرورية للمدينة، كما سيأتى شرح ذلك عند الحديث عن المصادر المائية بمنطقة المدينة. فى حين ان التكوينات الجيولوجية فى منطقة المدينة، ساعدت الى حد بعيد فى توفير المواد الخام المستخدمة فى البناء، مثل الحجارة الشيستية الصلبة، وهي الحجارة التى استخدمتها القوات الفرنسية في بناء تحصينات المدينة والمعسكرات وكذلك في بناء الجسور. كما ان الارسابات الطبيعية استفيد منها في صناعة مواد البناء من قرميد وآجر.

٣ ـ مناخ مدينة قسنطينة:

للدراسة المناخية اهمية خاصة في جغرافية العمران، وذلك لما لها من تأثيرات مباشرة على نشاط الانسان وعلى العمران المدني، فالطابع المعمارى انعكاس صادق للبيئة المناخية، وهو صورة من صور التجانس بين العمران والمناخ. كما أن نشأة المدينة واتجاه محاور نموها واتساع طرقاتها وتوزيع المساحات الخضراء داخلها، وهندسة مبانيها، تحددها جملة من العوامل، من اهمها العامل المناخي.

ولتوضيح التأثيرات المناخية على مدينة قسنطينة، لجأ الباحث الى استعراض اهم العوامل الموءثرة في مناخ المدينة وهي: ـ

أ ـ تقع قسنطينة فلكيا على خط عرض ٣٦ر١٣ شمالا ، وخط طول ٧ر٣٥ شرقا ، وهى بحكم موقعها فى منطقة الهضاب العليا ، تمثل جل الخصائص المناخية العامة للمناطق الداخلية فى الجزائر ، الخاضعة لتأثيرات الانخفاضات الجوية القادمة من الغرب الى الشرق ، والناجمة عن تقارب مياه البحر المتوسط الدافئة مع مياه المحيط الاطلسى الباردة .

ب ـ وقوع قسنطينة فى منطقة تحدها جنوبا الصحراء بمناخها القارى ، وشمالا البحر المتوسط بمناخه المعتدل ـ يجعلها تتميز بخصائص مناخية فريدة ، حيث ان عامل القرب من البحر (٨٦كلم) يعمل من جهة ملطفا للجو ويقلل من الفوارق في درجات الحرارة . ففى الشتاء يكون البحر أكثر حرارة من الهواء المحيط ، فيشكل بذلك مركزا للضغط المنخفض يعمل على اجتذاب الاعاصير الاطلسية (السكلونات) وبالتالى يتسبب في رداءة الجو بالمنطقة . ومن جهة أخرى يكون البحر صيفا أبرد فيشكل مركزا للضغط المرتفع يساعد على صفاء الجو بالمنطقة . كما ان المؤثرات الصحراوية بصيفها الحار وشتائها البارد ، تؤدى الى عدم انتظام الدورة المناخية بالمنطقة ، وتتسبب في ظهور الجفاف صيفا ، وتعمل على الزيادة في الفوارق بين درجات الحرارة .

١ ـ الحــــرارة :

من دراسة الجدول رقم (٢) والمنحنى البياني لمعدلات درجات الحرارة الشهرية لمدينة قسنطينة (شكل رقم ٩) ، يتضح لنا أن أقل شهور السنة حرارة هو شهر يناير ، اذ لا يزد معدل حرارته عن ٧ر١٠ ° ثم يرتفع هذا المعدل تدريجيا من شهر لاخر حتى يبلغ اقصاه في شهر يوليو ٢٥ر٣٥ مئوية واغسطس ٢٥ ر٤٥ مئوية . كما يتضح ان التدرج الحرارى يكون سريعا في فصل الشتاء الى فصل الصيف ، ثم يأخذ في الانخفاض السريع ايضا من فصل الصيف الى فصل الشتاء . وقد ينتج عن هذا الانخفاض السريع ظهور كثير من الامراض التي يعاني منها سكان قسنطينة في هذه الفترة ، وخاصة الزكام والانفلونزا . كما يلاحظ ايضا ان متوسط درجات الحرارة الشهرية من شهر نوفمبر حتى شهر ابريل اقل من المتوسط السنوى (١٥ر٦٥ مئوية) وأن متوسطات الحرارة الشهرية من ابريل حتى نوفمبر أكبر من المتوسط السنوى . وبذلك يمكن تقسيم السنة في قسنطينة الى نصف سنة حار ونصف سنة بارد ، كما يتضح ايضا ان أكثر الشهور حرارة في قسنطينة هو شهر اغسطس الذى يصل فيه معدل الحرارة الشهرى الى ٢٥ر٤٥ مئوية ، وبذلك يكون

اغسطس يمثل مع شهر يناير الحدين الاقصى والادنى لمتوسطات الحرارة الشهرية وكذلك الحال بالنسبة لمتوسطات النهايتين العظمى والصغرى .

وقد سجلت محطة قسنطينة عين الباى للارصاد الجوية في الفترة من ١٩١٣ الى ١٩٣٨ متوسط النهاية العظمى لشهر يناير ٣ر١١ مئوية ومتوسط النهاية الصغرى لنفس الشهر ٩ر٢ مئوية) ومتوسط النهاية العظمى لشهر اغسطس (٨ر٣٢ مئوية) ومتوسط النهاية الصغرى (١ر١٨ مئوية) .

وتشبه مدينة قسنطينة في المعدلات الشهرية للحراة، غيرها من المدن الداخلية للجزائر، من حيث ان درجة الحرارة تنخفض الى ما دون الصفر خلال الشهر البارد (يناير) وترتفع خلال الشهر الحار (اغسطس) ويبلغ المدى الحرارى السنوى في قسنطينة ٣٥ر١٨ مئوية، مقابل ٩ر١٩ مئوية في مدينة سطيف مثلا، وذلك لان كلا المدينتين تقعان في منطقة الهضاب العليا التي تحجبها عن المؤثرات البحرية سلاسل جبال نوميديا والبابور، وهذه الوضعية هي التى أدت الى الصفة القارية للمناخ بالمدينين، وهو الامر الذى يضطر معه السكان الى عمل ترتيبات خاصة في حياتهم لاتقاء عوارض ارتفاع وانخفاض درجات الحرارة حيث ادى ذلك الى انتشار وسائل التغلب على البرد والحرارة، وأصبحت نظم التسخين المركزية نمطا سائدا يراعي في التصميمات الهندسية للمباني، الى جانب انتشار وسائل التدفئة وتكييف الهواء في معظم المصالح الحكومية وفي المؤسسات والشركات الى جانب عدد كبير من مساكن الموسرين .

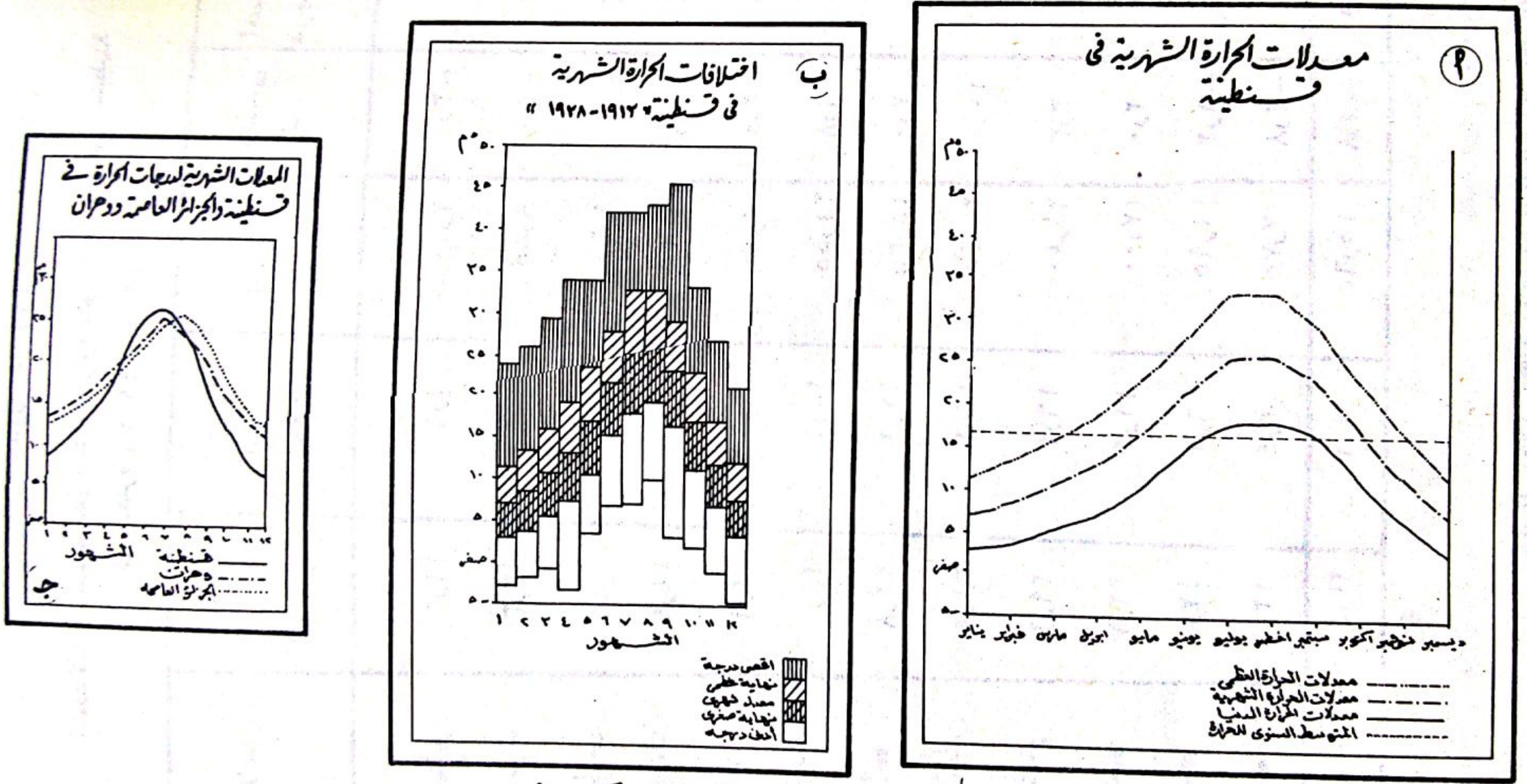
أ
معدلات الحرارة الشهرية فى قسنطينة
٥٠°م
٤٥
٤٠
٣٥
٣٠
٢٥
٢٠
١٥
١٠
٥
صفر
-٥
ديسمبر
نوفمبر
اكتوبر
سبتمبر
اغسطس
يوليو
يونيو
مايو
ابريل
مارس
فبراير
يناير
معدلات الحرارة العظمى
معدلات الحرارة الشهرية
معدلات الحرارة الدنيا
المتوسط السنوى للحرارة
ب
اختلافات الحرارة الشهرية فى قسنطينة « ١٩١٢ - ١٩٢٨ »
٥٠°م
٤٥
٤٠
٣٥
٣٠
٢٥
٢٠
١٥
١٠
٥
صفر
-٥
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢
الشهور
اقصى درجة
نهاية عظمى
معدل شهرى
نهاية صغرى
أدنى درجة
ج
المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة فى قسنطينة والجزائر العاصمة ووهران
٣٠
٢٥
٢٠
١٥
١٠
٥
صفر
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢
الشهور
قسنطينة
وهران
الجزائر العاصمة

شكل « ٩٠ »

جدول رقم (٢)

المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة مئويا المسجلة في قسنطينة في الفترة (١٩١٣ – ١٩٣٨) (٥)

الاشهر	معدل النهاية العظمى	معدل النهاية الصغرى	معدل الحرارة الشهرية	ادنى درجة	اقصى درجة
يناير	١١ر٣	٢ر٩	٧ر١٠	-٣ر٠	٢٤ر٠
فبراير	١٣ر٣	٣ر٦	٨ر٥٥	-٢ر٠	٢٦ر٠
مارس	١٥ر٨	٥ر٤	١ر٦٠	-١ر٠	٢٩ر٤
ابريل	١٨ر٩	٧ر٣	١٣ر١٠	-٣ر٥	٣٤ر٠
مايو	٢٣ر١	١٠ر٥	١٦ر٨٠	٣ر٥	٣٤ر٠
يونيه	٢٨ر٠	١٥ر١	٢١ر٥٥	٦ر٨	٤٢ر٠
يوليو	٣٢ر٨	١٧ر٩	٢٥ر٣٥	٧ر٠	٤٢ر٠
اغسطس	٣٢ر٨	١٨ر١	٢٥ر٤٥	١٠ر٠	٤٢ر٥
سبتمبر	٢٩ر٢	١٦ر٤	٢٢ر٨٠	٣ر٣	٤٥ر٥
اكتوبر	٢٢ر٧	١١ر٣	١٧ر٠٠	٢ر٠	٣٣ر٢
نوفمبر	١٧ر٠	٦ر٩	١١ر٩٥	-١ر٢	٢٦ر٥
ديسمبر	١٢ر١	٣ر٤	٧ر٧٥	-٤ر٨	٢١ر٠
المتوسط السنوى	٢١ر٤	٩ر٩	١٥ر٦٥	-٤ر٨	٤٥ر٥

---

(5) Sultzer, P Climat d'Algérie, Alger, 1942, p. 32.

اما اذا قارنا المدى السنوى الحرارى بين قسنطينة ، وبعض المدن الساحلية كالجزائر العاصمة ووهران مثلا ، فاننا نجد ان هذا المدى لا يتجاوز في العاصمة (١٣ر٣ مئوية) وفي وهران (١٢ر٨ مئوية) ، وبذلك فهي أكثر اعتدالا في مناخها من المدن الداخلية ، كما ان الفوارق الشهرية وحتى اليومية تزداد في المدن الداخلية بصورة واضحة ، على النقيض من المدن الساحلية.

ويوضح الجدول رقم (٣) لمعدلات الحرارة في قسنطينة والعاصمة ووهران ، مدى تأثير البحر في حرارة المدن الساحلية وقلة تأثيره في قسنطينة ، والتي يكون مناخها أكثر قاربة. وأهم معالم هذه الفروق هي : ــ

ــ معدل الحرارة لابرد شهور السنة في قسنطينة اقل منه في الجزائر العاصمة ووهران رغم ان المدينتين تقعان الى الشمال من قسنطينة.

ــ يتميز فصل الصيف في المدن الثلاثة بالاعتدال ، حيث نجد أنه ابتداء من شهر مايو ، تكون الحرارة في قسنطينة اقل منها في المدينتين (١٦ر٨ مئوية ، مقابل ١٨ر٥ مئوية في الجزائر العاصمة و ١٩ر٥ مئوية في وهران) وذلك لان قسنطينة أكثر ارتفاعا على مستوى سطح البحر ، ثم يأخذ هذا الفرق في الانحصار الى ان يتقارب في شهرى يوليو واغسطس ، ثم يأخذ في الابتعاد ليصل في شهر سبتمبر الى حوالي درجة مئوية واحدة.

ــ على الرغم من تقارب المعدلات الحرارية لاشهر الصيف بين المدن الثلاث ، الا ان الجو يكون اشد حرارة في قسنطينة عنها في العاصمة ووهران ، وذلك لان نسيم البحر يعمل على تلطيف الجو بهـا.

ــ المدى السنوى للحرارة في قسنطينة ، أكبر منه في العاصمة ووهران اذ يبلغ الفرق حوالي ٥ درجات مئوية بالنسبة للعاصمة ، و ٦ درجات مئوية بالنسبة لوهران. ويقوم عامل الارتفاع والتأثيرات القارية بدور رئيسي في اختلاف درجات الحرارة بين المدن الثلاث ، وخاصة في فصل الشتاء والخريف.

وبصفة عامة ، فان الحرارة في قسنطينة ، ينطبق عليها نظام حرارة اقليم البحر الابيض المتوسط ، من حيث الدفء شتاء والاعتدال صيفا ، بسبب انعدام حالات

جدول رقم (٣)

المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة مئويا فى كل من قسنطينة والجزائر العاصمة ووهران (٦)

الاشهر	المعدلات الشهرية للحرارة فى قسنطينة	المعدلات الشهرية للحرارة في الجزائر	المعدلات الشهرية للحرارة في وهران
يناير	٧ر١	١٢ر١٠	١٢ر٥
فبراير	٨ر٥	١٢ر٨	١٣ر٤
مارس	١٠ر٦	١٤ر٢	١٤ر٦
ابريل	١٣ر١	١٦ر٢	١٦ر٦
مايو	١٦ر٨	١٨ر٨	١٩ر٥
يونيو	٢١ر٥	٢٢	٢١ر٨
يوليو	٢٥ر٣	٢٤ر٧	٢٤ر٣
اغسطس	٢٥ر٤	٢٥ر٥	٢٥ر٣
سبتمبر	٢٢ر٨	٢٣ر٨	٢٣ر٣
أكتوبر	١٧	٢٠ر١	١٩ر٩
نوفمبر	١١ر٩	١٦ر١	١٦ر١
ديسمبر	٧ر٧	١٣	١٣ر٢
المتوسط السنوى	١٥ر٦٥	١٨ر٣	١٨ر٣

---

(6) Sultzer, op. cit., p. 19.

التطرف الشاذة. (اقل درجات الحرارة المسجلة في قسنطينة هي ٨ر٤ ــ مئوية ، وكان ذلك فى ٢٤/ ٩/ ١٩٢٣) ، والسبب في ذلك يعود الى ان هذه السنة تميزت بموجة من البرد القارس اجتاحت شمال افريقيا واوروبا كلها ، وهي حالة استثنائية بالطبع . أما أعلى الدرجات المسجلة في المدينة فهي (٥ر٤٥ مئوية) بتاريخ ١٩١٩/٩/٤ وهى السنة التى تميزت بوصول رياح السيروكو القادمة من الصحراء بصفة قوية ولعدة أيام) .

كما أن عامل التضرس والتأثيرات القارية ، تؤدى الى وجود نوع من الاختلاف داخل مدينة قسنطينة ذاتها ، تتمثل في اعتدال الحرارة وانخفاض نسبة الرطوبة صيفا في الاحياء المرتفعة بالمدينة كالصخرة والمنصورة وسيدى مبروك التي تحيط بها الغابات ، وذلك بالمقارنة مع الاحياء الاخرى داخل المدينة ، وهو ما يجعل الطلب على اراضى هذه الاحياء لاغراض السكن أكثر ارتفاعا .

٢ ــ الضغط الجوى والرياح :

يوضح الجدول رقم ٤ وشكل ١٠ أن الضغط الجوى في قسنطينة ، يبلغ اقصاه في شهر يناير (٥ر١٠٢٠ ميلبار) ثم يبدأ في الانخفاض تدريجيا حتى فصل الربيع ، ليبلغ أدناه في شهر ابريل (١ر١٠١٥ ميلبار) . كما يلاحظ أن أكبر تغير في المتوسط الشهرى يكون بين شهرى ديسمبر ويناير حيث يبلغ ٢ر٣ ميلبار ، وهذا ما يشير الى ان الانتقال في نظام الضغط الشتوى يكون أكثر وضوحا في الانتقال نحو نظام الضغط الصيفي .

والمهم فى دراسة الضغط الجوى هو معرفة تأثيره في اتجاهات الرياح ونظام هبوبها . ففى فصل الشتاء ، يتكون فوق اقليم قسنطينة ضغط مرتفع ، يتصل بالضغط المرتفع الازورى ، فيكون الضغط الجوى فوق البحر المتوسط شمال اقليم المدينة ، منخفضا بالنسبة للضغط فوق اليابس ، وعلى هذا تخرج من منطقة الضغط المرتفع الازورى رياح شمالية غربية تهب على اقليم اطلس ومناطق غرب الجزائر ثم تدور لتصبح رياحا شمالية شرقية فوق اقليم قسنطينة ، وتهب بموازاة الساحل ، فتكون رطبة مشبعة ببخار الماء تمتصه من البحر وتتسبب في سقوط الامطار . وفي فصل الصيف تخرج من منطقة الضغط المرتفع الازورى رياح غربية وشمالية غربية ، فتهب

على جهات جنوب اوروبا ثم تعبر البحر المتوسط متجهة الى الضغط المنخفض فوق شمال الجزائر فتهب عندئذ على اقليم قسنطينة رياح شمالية وشمالية شرقية وشرقية، بالاضافة الى الرياح الجنوبية وخاصة رياح السيروكو التى توءثر على الجو في المدينة بصفة واصحة، حيث تتسبب فى ارتفاع نسبة الجفاف، لان مصدر نشاتها يكون داخل الاقليم الافريقي الحار.

كما يلاحظ ان اهم الرياح فى مدينة قسنطينة من حيث النسبة والاثر العمراني هي الرياح الشمالية الشرقية التي تبلغ نسبتها ٢٨ر٣٪ من مجموع ساعات الهبوب السنوى لجميع الاتجاهات، وتزداد نسبة ترددها بصفة واضحة فى الشتاء والخريف. وهي رياح رطبة باردة تساعد على تساقط الامطار شتاء وعلى تلطيف الجو في الصيف، ويظهر تاثير الرياح الشمالية الشرقية بوضوح على تخطيط المدينة، حيث ان امتداد العمران كان باتجاه الجنوب الغربي اى باتجاه هذه الرياح، كما ان المناطق الصناعية تقع الى الجنوب من المدينة في منصرف الرياح السائدة بالمدينة. وتأتى في المرتبة الثانية الرياح الجنوبية الشرقية التي تبلغ نسبتها ١٤ر٣٪ ويكثر هبوبها في الشتاء والخريف، ثم الرياح الجنوبية الغربية ١٣ر٣٪ والجنوبية ١٠ر٣٪، بينما تهب الرياح الشمالية بنسبة ١٢ر٧٥٪ والشمالية الغربية بنسبة ٩ر٦٪ والرياح الشرقية بنسبة ٨ر٣٪ والرياح الغربية بنسبة ٥ر٣٪ .

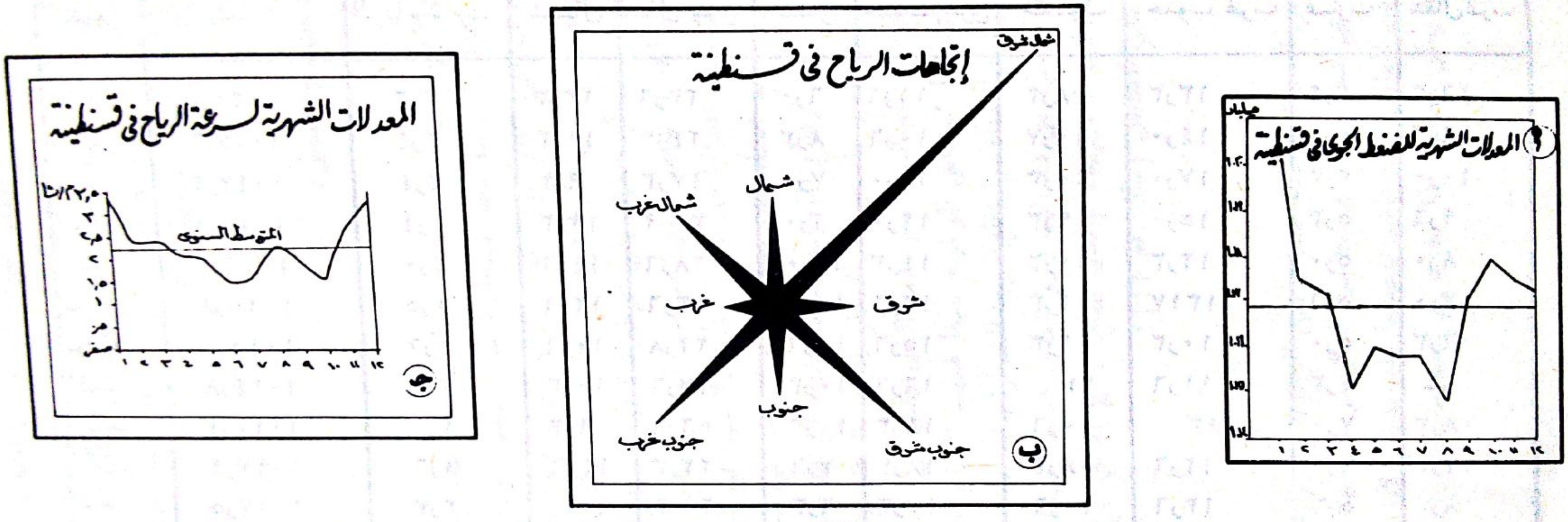
أ
المعدلات الشهرية للضغط الجوى فى قسنطينة
مليبار
١٠٢٠
١٠١٩
١٠١٨
١٠١٧
١٠١٦
١٠١٥
١٠١٤
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢
ب
إتجاهات الرياح فى قسنطينة
شمال
شمال شرق
شرق
جنوب شرق
جنوب
جنوب غرب
غرب
شمال غرب
ج
المعدلات الشهرية لسرعة الرياح فى قسنطينة
٣,٥ م/ث
٣
٢,٥
٢
١,٥
١
٠,٥
صفر
المتوسط السنوى
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢

شكل « ١٠ »

المعدلات الشهرية للضغط الجوى وسرعة الرياح واتجاهاتها بمدينة قسنطينة (٧)

الشهور	الضغط الجوى (ميلبار)	معدل سرعة الرياح م /ت	شمال	شمال شرق	شرق	جنوب شرق	جنوب	جنوب غرب	غرب	شمال غرب
يناير	١٠٢٠ر٥	٣ر٣	٢٣ر٣	٢٣ر٦	٦ر٠	١١ر٦	٨ر٣	١٣ر٣	٤ر٢	١٦ر٣
فبراير	١٠١٧ر٦	٢ر٤	١١ر٣	٢٤ر٣	٨ر٣	١٠ر٦	١٠ر٧	١٤ر٠	٤ر٨	١٦ر٣
مارس	١٠١٧ر٢	٢ر٤	٩ر٣	٢٧ر٣	٧ر٠	١٥ر٠	١٠ر٣	١٧ر٠	٣ر٣	١٠ر٠
ابريل	١٠١٥ر١	٢ر١	١١ر٣	٣٠ر٩	٦ر٠	١٢ر٠	٩ر٣	١٥ر٠	٥ر٣	٩ر٦
مايو	١٠١٦ر٠	٢ر٠	١٤ر٦	٢٨ر٦	١٠ر٠	١٤ر٣	١٠ر٣	١٢ر٣	٥ر٠	٨ر٠
يونيه	١٠١٥ر٨	١ر٥	١٢ر٦	١٢ر٦	١٠ر٣	١٣ر٦	١١ر٣	١٣١٧	٥ر٦	٧ر٠
يوليه	١٠١٥ر٨	١ر٦	١٠ر٦	٢١ر٨	١٠ر٦	١٥ر٦	١١ر٣	١٠ر٣	٥ر٠	٦ر٣
اغسطس	١٠١٤ر٨	٢ر٣	١٠ر٣	٢٧ر٦	١٠ر٣	١٦ر٦	١١	١١ر٦	٤ر٣	—
سبتمبر	١٠١٧ر١	٢ر٠	٩ر٣	٥٦ر٦	١٠ر٣	١٨ر٣	١٠ر٦	١٣	٧ر٠	٨ر٣
أكتوبر	١٠١٧ر٩	١ر٦	١٤ر٦	٢٢ر٣	٧ر٦	١٨ر٣	٨ر٣	١٢ر٦	٦ر٠	١١ر٥
نوفمبر	١٠١٧ر٥	٢ر٧	١٥	٢٥ر٣	٦ر٣	١٥ر٣	١٠ر٦	١٣ر٦	٥ر٢	٨ر
ديسمبر	١٠١٧ر٣	٣ر٣	١٨ر٣	٢٠ر٦	٨	١٠ر٦	١٠ر٦	١٥ر٣	٦ر٢	١٠ر٠
المتوسط السنوى	١٠١٦ر٩	٢ر٢	١٢ر٧٥	٢٨ر٣	٨ر٣	١٤ر٣	١٠ر٣	١٣ر٣	٣ر٣	٦ر٦

---

(7) Sultzer, op. cit., p. 20.

كما يلاحظ ان المعدل السنوى لسرعة الرياح فى المدينة هو ٢ر٢متر/ ثانية وهو يشير الى ان الرياح السائدة بالمدينة لا تشكل اى خطر على العمران وعلى أوجه النشاط الاقتصادى فيها نظرا لهدوئها وهى تبلغ أكبر مداها فى فصلي الخريف والشتاء اذ تزيد سرعتها عن معدلها السنوى العام في نوفمبر الى مارس، وتقل عن المعدل فى الشهور الباقية (شكل رقم ١٠) .

٣ـ الرطوبة والسحب والتشمس:

ان الرطوبة في مدينة قسنطينة متوسطة بصفة عامة، وهى اقل من مدينة الجزائر مثلا ، وذلك نتيجة بعد قسنطينة عن البحر، ويبلغ المتوسط السنوى لمدة ١٠ سنوات حوالي ٧٠٪، وهو معدل اذا ما قورن بالرطوبة المثلى (من ٤٠٪ الى ٧٥٪) يعتبر جيدا . واذا ما قورنت الرطوبة النسبية، بدرجات الحرارة في قسنطينة (جدول ٥) يمكن القول بأن الرطوبة لا تؤثر تأثيرا سلبيا على الحياة في المدينة، وبذلك لا توجد ضرورة لتزويد المساكن بالمواد العازلة للرطوبة. وتبلغ الرطوبة النسبية اقصاها في فصل الشتاء ولا سيما في شهرى ديسمبر ويناير حيث تبلغ ٨٠٪، وتبلغ ادناها في فصل الصيف وخاصة في شهرى يوليو واغسطس (٥٥٪ و ٥٧٪) ويرجع ارتفاع الرطوبة النسبية شتاء في قسنطينة الى ارتفاع نسبة الرياح القادمة من البحر والمحملة بالامطار وبخار الماء، والى انخفاض درجة الحرارة وبروز ظاهرة الضباب. وهو الامرالذى يقلل من حدة الاحساس بالبرد في المدينة شتاء. اما انخفاض الرطوبة صيفا فسببه الرياح القادمة من الصحراء التي تعمل على زيادة الجفاف وارتفاع درجة الحرارة بالمدينة.

وتمتاز الرطوبة النسبية في قسنطينة بكبر المدى السنوى لها أى الفرق بين أعلى وأقل نسبة للمعدلات الشهرية، والذى يبلغ ٢٥٪ مقابل ٨٪ مثلا في الجزائر العاصمة الواقعة على الساحل (شكل رقم ١٢) .

وقد يكون من المفيد ملاحظة العلاقة بين الرطوبة والحرارة خلال شهور السنة في قسنطينة . حتى تتضح لنا مدى صلاحية السكن من الناحية المناخية بالمدينة، وذلك لما لهذين العاملين من تأثير بعضهما على بعض، لان ارتفاع الحرارة مثلا الى درجة معينة يمكن تحملها اذا اتفقت مع نسبة معينة من الرطوبة. وكذلك الامر

بالنسبة لعلاقة هذين العنصرين بالامطار والتبخر، وهكذا يلاحظ من تحليل جدول رقم ٥ شكل رقم (١١) أن :

– شهر يناير الذى يسجل أعلى نسبة لتساقط الامطار (١١٠ملم) يسجل اخفض درجات الحرارة (١٠ر٧ م) وبالتالي يبلغ التبخرلأقل نسبة له (٦١ملم) فترتفع الرطوبة الى اعلى نسبة لها مسجلة ٨٠٪ وبالتالي يمكن تحملها .

– يحدث العكس تماما في الاشهر الحارة . فعندما تسجل درجة الحرارة اعلى درجاتها في شهر اغسطس (٤ر٢٥ م) يسجل المطر أقل نسبة له (٦ملم) ويرتفع معدل التبخر الى (٢٤٠ ملم) وبالتالي تنخفض الرطوبة الى ادنى نسبة لها (٥٧٪) .

اما درجة التغيم في سماء قسنطينة ، فيتضح من الجدول رقم ٦الان السحب تبلغ اقصاها في فصل الشتاء ، ولاسيما في شهرى ديسمبر ويناير حيث تزيد فيها النسبة عن (١٠/٧) ثم تأخذ في التناقص بسرعة خلال الفترة الانتقالية بين الشتاء والربيع حتى فصل الصيف أين تصل درجة السحب ادناها ، ولا سيما في شهر يونيه ويليو واغسطس، ثم تأخذ بعد ذلك في الارتفاع التدريجي حتى فصل الشتاء . وعلى العموم فان حالة السحب فى قسنطينة لا تشكل اى خطر في وجه الملاحة الجوية ، ولا تعطل المرور في ايام السنة ، الا لعدد محدود من أيام الشتاء عند امتزاجها بظاهرة الضباب (شكل رقم ١٢) .

جدول رقم (٥)

المتوسط الشهرى لدرجات الحرارة وكميات الامطار والتخبر والرطوبة النسبية في قسنطينة لمدة عشر سنوات (**)

الاشهر	الحــرارة	المطر	التبخــر	الرطوبة النسبية
يناير	٧ر٠ م	١٠١ملم	٦١ ملم	٨٠٪
فبراير	٨ر٥	٨٠	٧٥	٧٦
مارس	١٠ر٦	٥٩	٩٣	٧٦
ابريل	١٣ر١	٥٣	١١٠	٧٥
مايو	١٦ر٨	٥٢	١٤٨	٧٠
يونيه	٢١ر٥	٢٥	١٧٦	٦٥
يوليو	٢٥ر٢	٧	٢٧٢	٥٥
اغسطس	٢٥ر٤	٦	٢٤٠	٥٧
سبتمبر	٢٢ر٨	٢٤	١٦٦	٦٧
أكتوبر	١٧	٤٥	١٢١	٦٩
نوفمبر	١١ر٩	٥٧	٩٦	٧٢
ديسمبر	٧ر٧	٨٥	٦٤	٨٠
المتوســط السنوى *	١٥ر٦	٤٩ر٥	١٣٥	٧٠

(*) الجدول من انتقاء الباحث اعتمادا على بيانات المؤسسة الوطنية لاستغلال الارصاد والملاحة الجوية (من ١٩٦٢ الى ١٩٧٢)٠

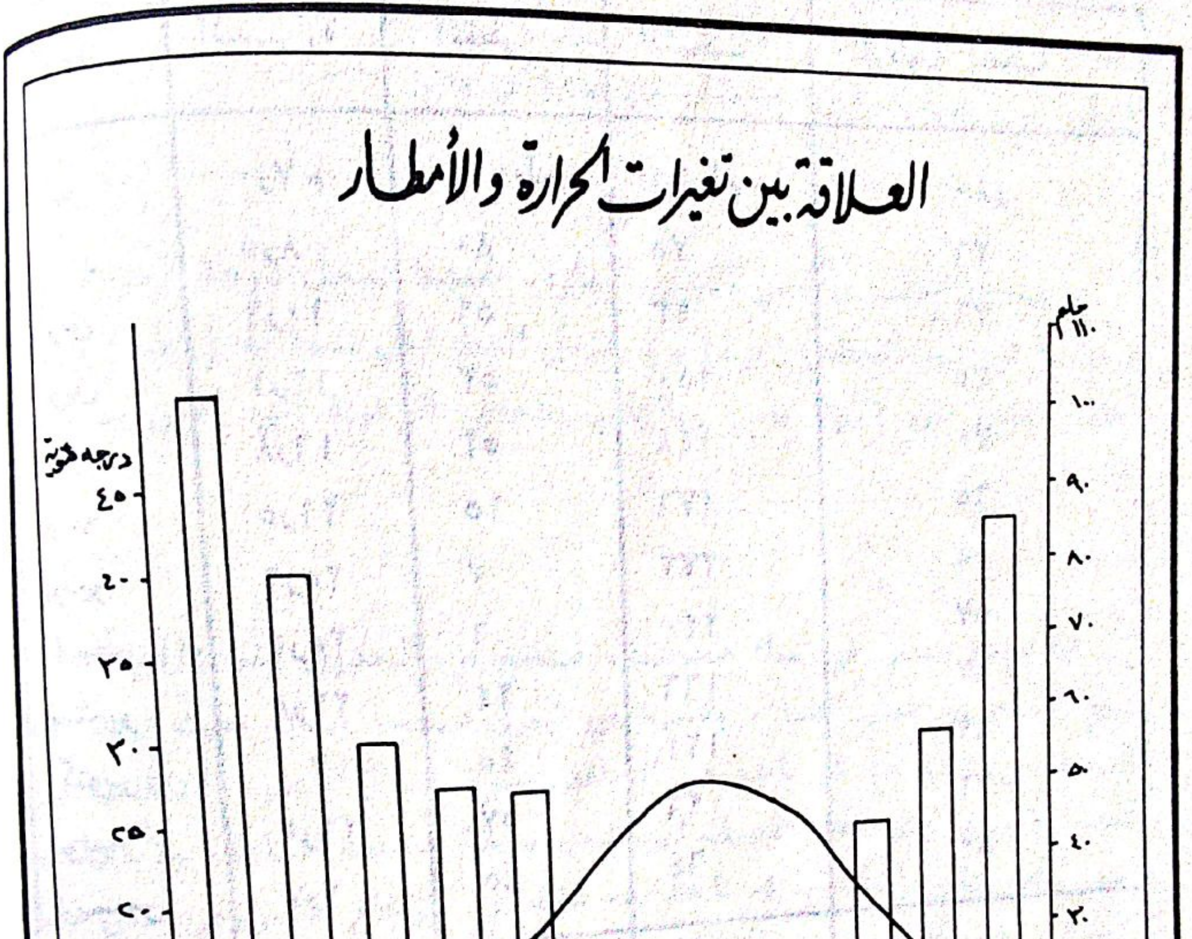
العلاقة بين تغيرات الحرارة والأمطار
درجة مئوية
٤٥
٤٠
٣٥
٣٠
٢٥
٢٠
١٥
١٠
٥
صفر
ملم
١١٠
١٠٠
٩٠
٨٠
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠
صفر
يناير
فبراير
مارس
ابريل
مايو
يونيو
يوليو
اغسطس
سبتمبر
اكتوبر
نوفمبر
ديسمبر

شكل رقم ١١

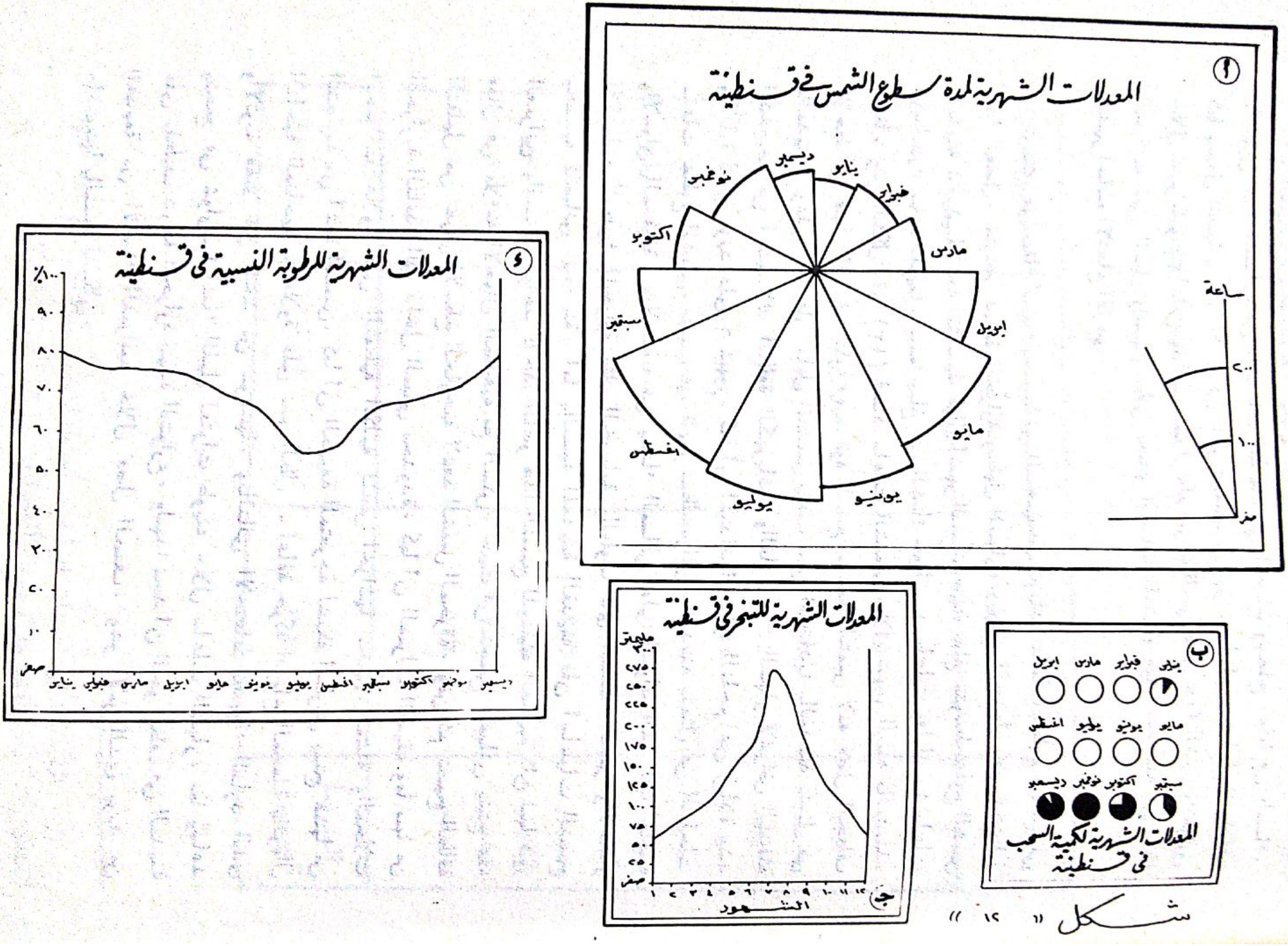
أ
المعدلات الشهرية لمدة سطوع الشمس في قسنطينة
ساعة
٢٠٠
١٠٠
صفر
يناير
فبراير
مارس
ابريل
مايو
يونيو
يوليو
اغسطس
سبتمبر
اكتوبر
نوفمبر
ديسمبر
ب
المعدلات الشهرية لكمية السحب في قسنطينة
يناير
فبراير
مارس
ابريل
مايو
يونيو
يوليو
اغسطس
سبتمبر
اكتوبر
نوفمبر
ديسمبر
ج
المعدلات الشهرية للتبخر في قسنطينة
مليمتر
٣٠٠
٢٧٥
٢٥٠
٢٢٥
٢٠٠
١٧٥
١٥٠
١٢٥
١٠٠
٧٥
٥٠
٢٥
صفر
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢
الشهور
د
المعدلات الشهرية للرطوبة النسبية في قسنطينة
١٠٠٪
٩٠
٨٠
٧٠
٦٠
٥٠
٤٠
٣٠
٢٠
١٠
صفر
يناير
فبراير
مارس
ابريل
مايو
يونيو
يوليو
اغسطس
سبتمبر
اكتوبر
نوفمبر
ديسمبر

شكل « ١٢ »

اما الضباب فى قسنطينة، فيتركز في فصل الشتاء، وينعدم تماما صيفا، وغالبا ما يكون هذا الضباب في الساعات المبكرة من الصباح وينقشع تماما فى المساء. كما يسجل الضباب حدا اقصى في شهر ديمسبر ويناير (٣ أيام و ٤ أيام) وكذلك خلال شهر مايو (٣ أيام) وذلك بسب ارتفاع درجة الحرارة في هذا الشهر والفوارق الحرارية بين الليل والنهار، لان مصدر الضباب المتركو فوق قسنطينة في هذا الشهر اساسه الاشعاع الارضي.

وينتج عن صفاء السماء وخلوها من السحب صيفا زيادة ساعات سطوع الشمس فى هذا الفصل، فترتفع درجة الحرارة ويطول النهار. ويوضح الجدول رقم (٦) أن المدينة تتعرض للاشعة الشمسية طوال أشهر السنة، حيث يبلغ متوسط سطوح الشمس يوميا ٧٫٥ ساعة تقريبا، بينما يبلغ في الشتاء حوالي ٤ ساعات مقابل ١٠ ساعات صيفا، ومن الشكل رقم (١٢) لعدد ساعات التشمس خلال شهور السنة بالمدينة، نلاحظ أن فصل الصيف تكون فيه قوة التمتع بأشعة الشمس لانه فصل الجفاف بالمدينة. وعلى هذا فان عامل التشمس يلعب دورا اقتصاديا بالمدينة يتمثل فى التخفيف من استهلاك الطاقة الكهربائية والغاز أثناء النهار لاغراض التدفئة والانارة لفترة تزيد على ٦ شهور. كما أن اشتداد الحرارة الناجم عن زيادة عدد ساعات سطوع الشمس، تسبب فى ظهور نمط عمراني بالمدينة يتمثل فى الساحات والاسواق المسقوفة والاعتماد فى بناء المساكن على المواد التى لها خاصية الاكتساب البطيء للحرارة مثل الخرسانة والطوب ذى السمك الكبير والاحجار بالنسبة للمباني الحديثة، أما بالنسبة للمدينة القديمة فان أساسيات النسيج العمراني والمبنى الواحد كأحد عناصر هذا النسيج للمدينة القديمة كان لها دور فعال في ملاءمة الاحوال المناخية مع السكن، حيث أن تجميع المباني ينتج عنه التقليل من تعرض الاسطح الخارجية لاشعة الشمس المحرقة. ومن ثم تصبح الطاقة الحرارية النافذة الى داخل المبنى محدودة. كما أن الممرات الضيقة وما بها من انحناءات علاوة على التغطية الكلية لبعض اجزائها تحمي المشاة والمحلات التجارية من أشعة الشمس، كما أن الطبيعة المتعرجة لشبكة الطريق ينتج عنها من الناحية المناخية – علاوة على نشر الظل – اعاقة حركة الرياح المحملة بالرمال والاتربة فضلا عن الحد من سرعتها، وبالتالى الاحتفاظ بالهواء البارد الذى يتجمع في شوارعها أثناء الليل لفترات طويلة خلال ساعات النهار، مما يساعد على تلطيف درجة الحرارة بهذه الشوارع. ولهذا نجد أن الجو ألطف فى المدينة القديمة من الاحياء العمرانية خلال فصل الصيف، وهو الامر الذى يزيد من حاذبيتها بالنسبة للسكان.

جدول رقم (٦)

متوسط ساعات سطوع الشمس وعدد أيام الضباب وكمية السحب شهريا فى قسنطينة لمدة عشر سنوات (*)

الاشهر	سطوع الشمس بالساعات	كمية السحب على أساس عشرى	الضباب بالايام
يناير	١٢١	١	٣
فبراير	١٢٤	صفر	٢
مارس	١٦٧	صفر	٢
ابريل	٢١٤	صفر	٢
مايو	٢٨١	صفر	٣
يونيه	٢٨٧	صفر	١
يوليو	٢٩١	صفر	صفر
أغسطس	٢٩٥	صفر	صفر
سبتمبر	٢٣٦	٣	١
أكتوبر	١٨٧	٦	صفر
نوفمبر	١٥٠	٨	٢
ديمسبر	١٣٢	٧	٤
المتوسط السنوى	٢٠٧	٢ر٠٨	١ر٦

(*) الجدول من انشاء الباحث اعتمادا على بيانات المؤسسة الوطنية لاستغلال الارصاد والملاحة الجوية (الفترة من ١٩٦٢ الى ١٩٧٢).

٤ ـ الامطار :

ان نظام الامطار فى قسنطينة، هو النظام العام لمناخ البحر المتوسط ، المتميز بالتساقط شتاء والتوقف في الصيف، ويتفق التساقط مع فصلي الشتاء والخريف في اثناء مرور الانخفاضات الجوية المصحوبة بالرياح الشمالية الشرقية التى تجلب معها كميات كبيرة من الامطار تسقط معظمها بين شهرى أكتوبر وأبريل، بينما يتميز الصيف بالجفاف الناتج عن سيادة الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية الى تؤدى الى ندرة الامطار في هذا الفصل.

ويلاحظ من الجدول رقم (٧) أن معدل السقوط السنوى للامطار في المحطات الثلاثة لمدينة قسنطينة وضواحيها (محطة المستشفى ومحطة سيدى مبروك تقعان داخل النطاق العمراني للمدينة، ومحطة عين الباى تقع على بعد ١٢ كلم من المدينة وهي ملحقة بالمطار) يتراوح بين ٥٠٤ ملم و ٦١٤ملم. وهي كمية متوسطة اذا ما قورنت بالمدن الساحلية (القالة ٩١٠ملم ، سكيكدة ٨٣٠ملم) ولكنها مع ذلك أكثر مطرا من مدينة وهران التي تقع على الساحل الغربي للجزائر (٤٠٥ملم) وذلك يرجع الى أن هذه الاخيرة تقع في ظل سلسلة جبال الريف والاطلس التي تعوق وصول الامطار اليها بصورة جيدة.

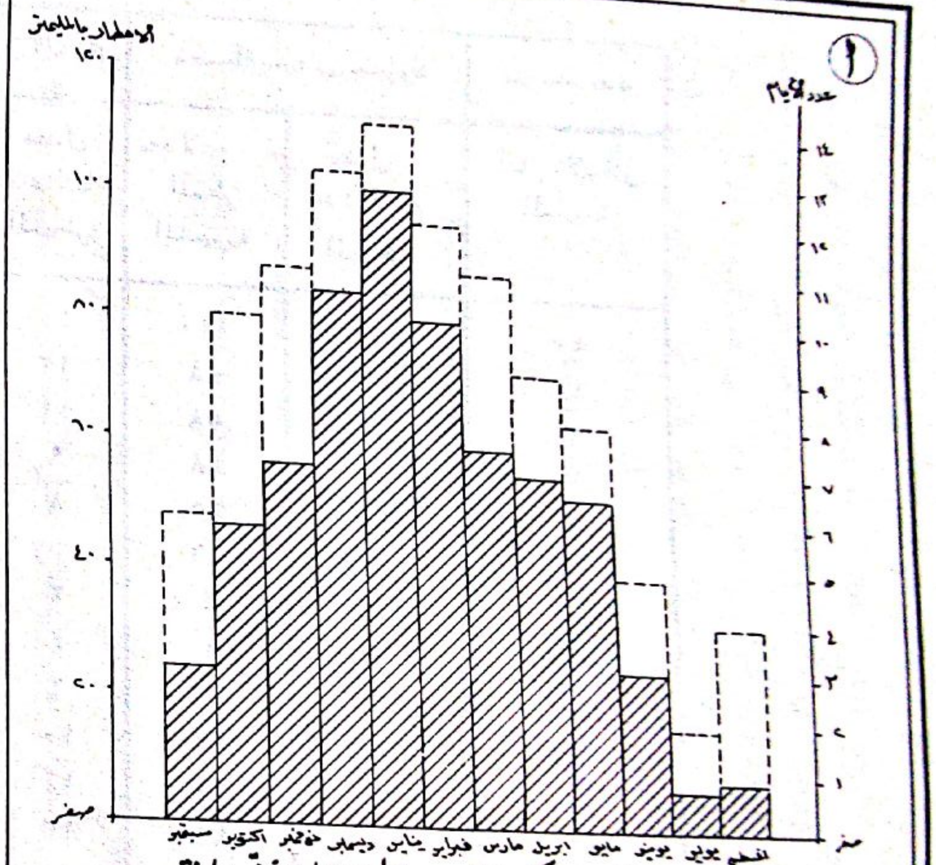

المعدل الشهري لكمية المطر وعدد الأيام الممطرة في قسنطينة

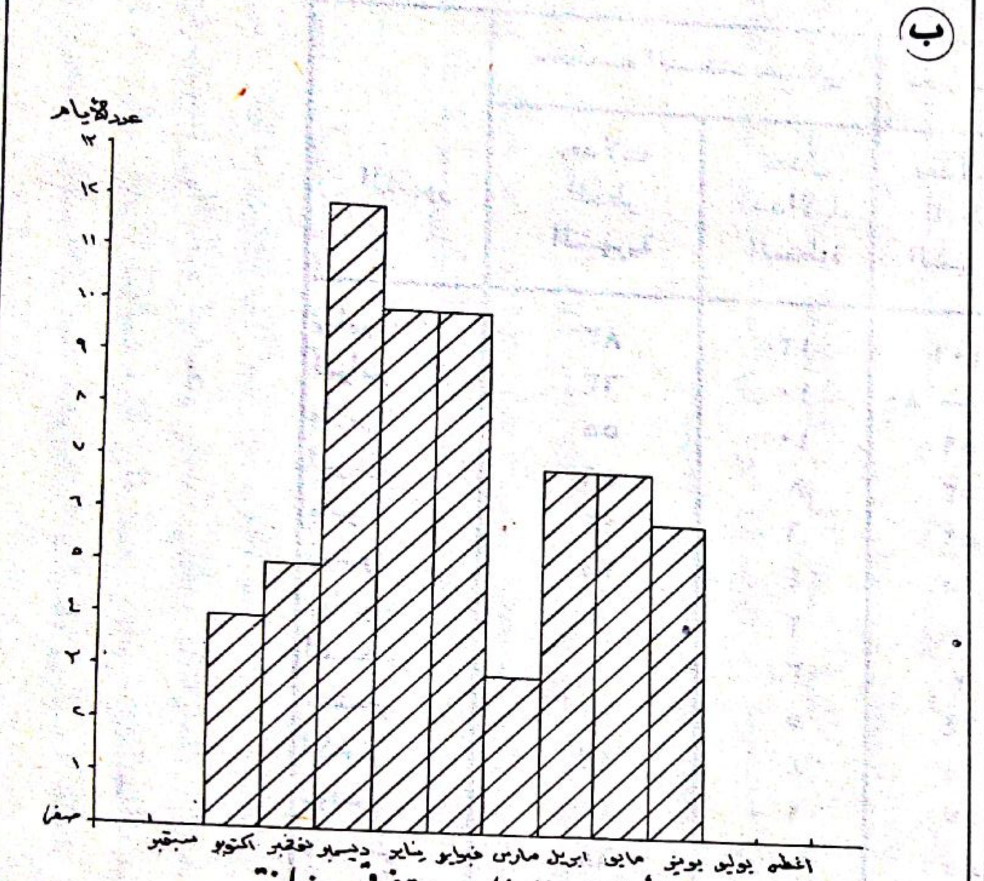

عدد أيام الأمطار السيلية في قسنطينة

شكل ١٣

جدول رقم (٧)

المعدلات الشهرية لكميات المطر وعدد الايام الممطرة ومتوسط عدد أيام الامطار السيلية في قسنطينة في الفترة (١٩١٣ – ١٩٣٨) (*)

الشهور	محطة المستشفى		محطة عين الباى		محطة سيدى مبروك		متوسط عدد
	معدلات المطر الشهرية	معدل عددالايام الممطرة	معدلات المطر الشهرية	معدل عددالايام الممطرة	معدلات المطر الشهرية	معدل عددالايام الممطرة	أيام الامطار السيلية
يناير	٨٣	١٢	١٠١	١٤	١١٠	١١	١٠
فبراير	٦٣	١٠	٨٠ ←	١٢	٨٨	٩	١٠
مارس	٥٥	١٠	٥٩	١١	٥٨	٩	٣
ابريل	٤٦	٨	٥٣	٩	٥٨	٧	٧
مايو	٤٤	٦	٥٢	٨	٤٥	٦	٧
يونيو	٢٥	٤	٢٥	٥	٢٦	٣	٦
يوليو	٦	٢	٦	٢	٤	١	صفر
أغسطس	٩	٣	٧	٤	٨	٢	صفر
سبتمبر	٢٢	٥	٢٤	٦	٢٢	٤	صفر
أكتوبر	٤٢	٨	٤٥	١٠	٤٦	٥	٤
نوفمبر	٤٨	٩	٥٧	١١	٦١	٧	٥
ديسمبر	٦٨	١٠	٨٥	١٣	٨٩	٩	١٢
المتوسط السنوى	٤٣	٣ر٠٨	٥٠	٩	٥١	٦	٥

---

(8) Sultzer P. Climat d’Algérie, Alger, 1942, p. 138.

واكثر الفصول تساقطا للامطار هو فصل الشتاء يليه الخريف ثم الربيع والصيف الذى تقل فيه الامطار. وتوضح المعدلات المناخية أن هناك فصلين متميزين، فصل مطير يبدأ من أكتوبر حتى مايو، وفصل جاف نسبيا في بقية شهور السنة. وعليه يتضح ايضا وجود نهايتين قصوى ودنيا للامطار فى قسنطينة، الاولى تتم فى شهر يناير فى كل المحطات، والثانية وهى الدينا تتم فى شهرتيوليو فى كل المحطات ايضا. كما يلاحظ أيضا أن التدرج في فصل الشتاء الى فصل الربيع أكثر انتظاما من التدرج الفجائى فى فصل الخريف الى فصل الشتاء.

ويلاحظ أيضا من منحنيات التساقط لمختلف فصول السنة فى محطة عين الباى وهى المحطة الرئيسية أن الامطار تتركز فى نصف السنة المحصور بين شهرى أكتوبر ومايو، التى تتفق مع معظمها مع ظهور الانخفاضات الجوية التى تجذب الرياح المحملة بالماء، ولهذا نجد أن هذه الفترة تستهلك حوالى ٨٩٪ من مجموع المطر السنوى بينما لا تمثل الفترة الباقية سوى ١١٪ فقط. (شكل ١٣).

وتتوزع أمطار قسنطينة على عدد من الايام الممطرة يزيد عددها عن ١٠٠ يوم من مجموع أيام السنة، حيث يحظى فصل الشتاء بأكبر نصيب من الايام الممطرة، وفيه شهر يناير أكثر شهور السنة عددا في أيام المطر، يليه ديسمبر وفبراير، كما أن عدد أيام الامطار السيلية يتركز في نصف السنة الباردة ويبلغ أقصاه فى شهر ديسمبر (جدول رقم ٧). كما يلاحظ أيضا أن متوسط كمية المطر الشهرية تتناسب طرديا مع عدد الايام الممطرة في معظم شهور السنة، أى أنه كلما زاد عدد الايام الممطرة في الشهر كانت كمية الامطار أكبر. كما يلاحظ ارتفاع عدد أيام الامطار السيلية نسبيا في قسنطينة اذ تبلغ ٦٤ يوما في السنة. وهي تبلغ أقصاها فى ديسمبر (١٢ يوما) بينما تنعدم تماما في الصيف.

وعلى العموم يلاحظ من مقارنة الجدول رقم (٧) أن فصل المطر يبدأ في ظل انخفاضات جوية تكون مصحوبة بعض الاحيان بعواصف رعدية تكون فيها الايام الممطرة متميزة بطول ساعات الهطول، ولذا كثيرا ما تكون سيلية يزد متوسطها اليومي عن ٣٠ ملم، وتكون لها آثار سلبية على الطرق ومنشآت المدينة. حيث يلاحظ في الاحياء التي لا توجد بها قنوات صرف مياه السيول، ظهور البرك التي تستمر طوال فصل التساقط، وتتحول شوارعها الى مجارى مائية، تنقل السيول اليها الاوحال فتردم الطرقات وتكون الحفر وتعمقها وبالتالي تتسبب في تعطيل حركة المرور بهذه المناطق. وعلى هذا فان كثرة تساقط الامطار وطول مدة التساقط يتطلب تدعيم شبكة المجارى وقنوات التصريف لحماية المساكن والطرقات من أن

تنصرف اليها مياه الامطار وخاصة فى الاحياء العمرانية الجديدة، التى لا يتوفر بها نظام لصرف مياه السيول. كما ان الامطار تتسبب من جهة أخرى وفى الشتاء فى انهيار عدد من المبانى خاصة فى الاجزاء القديمة من المدينة.

كما تجدر الاشارة الى أن ظهور الصقيع وتساقط الثلج، يتركز فى فصل الشتاء بصفة خاصة، حيث يبلغ متوسط عدد أيام تساقط الثلج فى قسنطينة حوالى ٧ر٥ يوميا في السنة، بينما يبلغ ٦ر١٤ يوما في السنة في مدينــة سطيف ويكاد ينعدم في مدينتي الجزائر ووهران الواقعتين على الساحل.

وهكذا نخلص الى القول بأن مناخ قسنطينة معتدل نسبيا، وهو أقرب الى الدفء منه الى البرودة في الشتاء، حيث أن معدل الحرارة فى هذا الفصل قلما ينزل الى ما دون الصفر، الا في الحالات الاستثنائية، وأن فصل الصيف تغلب عليه الحرارة التي يمكن تحملها نظرا للرطوبة المناسبة، ومعنى ذلك أن قسنطينة تنتمي الى النوع العالمي المعروف بمناخ البحر المتوسط الذى يروز له بـ Csa حسب تقسيم تريوارثا، المتميز بصيفه الحار لخضوعه للمؤثرات القارية أما شتاؤه فمعتدل رطب. واذا ما اعتمدنا على بعض المقاييس المناخية لتشخيص مناخ المدينة وتحديد قاريتها او مدى تأثرها بالبحر بدقة، فانه حسب مقياس معرفة درجة قارية أو بحرية أى مكان (٩) نجد أن قسنطينة رغم بعدها عن البحر (٨٦كلم) فانها تتأثر بالمؤثرات البحرية لان ناتج المعادلة يساوى ١٩ر٢١ مئوية، لانه كلما كان الفرق بين درجة حرارة أكتوبر وأبريل كبيرا، كانت التأثيرات البحرية هي السائدة، وكلما صغر هذا الفرق كلما كان أثر القارية واضحا (١٠). وبمقارنة ناتج هذه المعادلة مع بعض المدن الساحلية كالجزائر العاصمة (٢٩ مئوية)

---

(٩) الفرق بين متوسط حرارة أكتوبر وأبريل

$$\frac{\text{الفرق بين متوسط حرارة أكتوبر وأبريل}}{\text{المدى السنوى الحرارى}} \times ١٠٠$$

$$= \frac{١٧ - ١ر١٣}{٤ر١٨} \times ١٠٠ = ١٩ر٢١ ^\circ\text{م}$$

— عن صبحي عبدالحكيم (معادلة قياس القارية) مدينة الاسكندرية ص ٩١/ ٩٢، القاهرة ١٩٥٨ .

(١٠) محمد صبحي عبدالحكيم ، مدينة الاسكندرية ، القاهرة ١٩٥٨، ص ٨١- ٨٢ .

ووهران (٨ر٢٥ م) وبعض المدن الداخلية كسطيف (٨ م) نجد أن قسنطينة تستفيد من المؤثرات البحرية رغم بعدها عن الساحل.

رابعـا ـ موارد المياه :

يهتم الجغرافيون في دراسة المدن بموارد المياه ، وذلك لان نمو المدن يرتبط بوفرة المياه ، التى تلزم للاستخدامات الشخصية الى جانب الاغراض السكنية والصناعية والتجارية.

وقد اتضح من دراسة الاحوال المناخية لمدينة قسنطينة ومنطقتها ، أنها تتلقى في المتوسط بين ٦٠٠ و ٤٠٠ ملم من الامطار سنويا ، وأنها تسقط بصفة أساسية في فصلي الشتاء والربيع ، أما الصيف فلا تنزل فيه سوى أمطار عاصفية في الوقت الذى تكون فيه نسبة التبخر عالية ، كما أن عامل الارتفاع عن مستوى البحر ، يؤدى الى أن جزءا من التساقط يكون على شكل ثلج. وكما أوضحت الدراسة الجيولوجية للمنطقة ، فان هذه المياه تتسرب الى باطن الارض ، حيث تشكل التكوينات الكلسية خزانات مائية هامة ، اما غيرها من التكوينات فى منطقة المدينة فهي عديمة النفاذية عموما. ولهذا كانت هناك علاقة وثيقة بين دراسة مصادر المياه فى منطقة المدينة ، ودراسة هذه التكوينات الكلسية. كما أن الطابع التضاريسي لمنطقة المدينة من جهة ثانية أدى الى تكوين شبكة من الاودية والشعاب والينابيع. ولقد عمل سكان مدينة قسنطينة منذ القديم على استغلال مياه هذه الينابيع لاغراض الشرب ، ومياه الاودية للرى والزراعة. كما أن مشكلة مياه الشرب قديمة فى قسنطينة. فقد أشارت بعض الكتابات التاريخية الى أن سكان المدينة في الفترة الرومانية كانوا يجلبون المياه لاغراض الشرب من منابع بومرزوق (حوال ١٥ كلم من قسنطينة) بواسطة قنوات عبر سهل الرمال حتى المدينة. كما تتحدث بعض المصادر عن محاولات عديدة لحل مشكلة المياه في قسنطينة عن طريق استغلال الموارد المائية البعيدة في جبل الوحش وفزقية ، لتوفير المزيد من الماء الصالح للشرب للسكان الذين يتزايد عددهم.

وهكذا يتضح أن المياه الجوفية المخزونة في التكوينات الكلسية ، بالاضافة الى وادى الرمال وبومرزوق تشكل عصب الحياة في منطقة المدينة ، ومن ثم تتضح أهمية دراسة المصدرين بشيء من التفصيل شكل ٧

١ – تتركز التكوينات الكلسية بصفةالخاصة في جنوب قسنطينة، فيما يسمى جغرافيا بمنطقة الجبال القسنطينية، وهي التي تضم أهم خزانات المياه بالمنطقة، وأهمها:

ا – جبال سيدى رغيس وام كشريد وحانوت ونيف النسر وقلعة أولاد سالم وقريون وفرطاس وشطابة. وهي التي تتركز بها أهم الينابيع والطبقات المائية المخزونة داخل الصخور الكلسية بمنطقة المدينة، حيث تستغل في عمليات الرى كما هو الحال بالنسبة لسهول عين كرشة وهورنياط وعين مليلة وبرطو. كما تستغل الينابيع لاغراض الشرب، وخاصة عين فزقية وعين بومرزوق في جبل قريون وفرطاس واللذين يشكلان المورد الرئيسي لتزويد مدينة قسنطينة بالمياه الصالحة للشرب.

ب – سهل عين مليلة – وهو يتشكل في جزئه الاعلى من الكلس البحيرى الناتج عن ترسبات الميويليوسين، التي غطت حفرة الانهدام المشكلة حاليا لهذا السهل، أما الجزء الادنى منه فيتكون من طبقة من الكلس البحيرى تخزن طبقة مائية هامة، بينما الجزء الاعلى عديم النفاذية، بسبب تكوينات المارل المتماسكة وقد دلت أعمال الحفر على أن أغلب هذه المياه مالحة بسبب مرورها على مساحات التبخر القديمة، ولا تكون عذبة الا عند حواف السهل.

حـ – هضاب مدينة قسنطينة – وهي مصدر لعدة ينابيع مائية خاصة في أخدود وادى الرمال عند الانكسارات، وهي في معظمها ينابيع معدنية ذات حرارة مرتفعة نسبيا، استغلها الرومان قديما لاغراض العلاج والاستجمام، بعد أن حولوها الى حمامات، لا يزال بعضها قائما حتى الان تحت جسر باب القنطرة في مدينة قسنطينة وأهمها منبع سيدى راشد، الذى يقع عند مدخل الاخدود جنوبي المدينة القديمة، على ارتفاع حوالي ٢م فوق مستوى الوادى طاقته ٤ لتر/ ثانية ودرجة حرارته ٣٣ر٢٨ مئوية (١١)، ثم منبع عين الشفة، على علو حوالي ٤٠٠ مترا فوق مستوى سطح البحر في باب القنطرة وسط المدينة قسنطينة على الضفة اليسرى للاخدود طاقته ٨ لتر / ثانية بدرجة حرارة ٢٨ م . وأخيرا منابع عين سيدى

---

(11) Mercier E. Histoire de Constantine. Constantine 1903, p. 42.

ميمون ، طاقتها حوالي ١٨ لتر / ثانية بدرجة حرارة ٢٨ م . كما يوجد ينبوع آخر في هضبة سيدى مسيد هو منبع عين العرب وطاقته ٥٠ لتر/ ثانية بدرجة حرارة ١٥ م ، وهو المصدر الرئيسي لتموين المسبح الاولبي للمدينة .

اما في المنطقة الواقعة الى الشمال من مدينة قسنطينة ، فيوجد منبع عين الحامة ، طاقته ٩٠٠ لترا / ثانية ، وهو يقع على امتداد المحور الاحديدابى بجبل شطابة ، قريبا من تكوينات الترياسى ، وهو من اهم مصادر تزويد المدينة بالمياه الصالحة للشرب .

وقد قدر تقرير للمهندسن الجيولوجي Durozoy Guy (١٢) على ضوء الابحاث التي قام بها للتكوينات الكلسية بالمنطقة ومعدلات التسرب المائي بها ، بأن الطاقة المائية المخزونة بالكتل الكلسية الواقعة في منطقة المدينة تساوى ٢٨ مليون متر مكعب . وأن هذه المياه في معظمها مياه معدنية ، وتتصل بعضها ببعض من خلال تكوينات الجوراسى المتوسط والاعلى ، التي هي من وجهة النظر التسراتيغرافية والباليوجغرافية ، يحتمل أن تكون تحت تكوينات الكريتاسى الادنى . أما من الناحية الكيماوية ، فان التحليلات أثبتت تشابه المياه النافذة من التكوينات الكلسية ، المعدنية أو غيرها ، حتى وان تسربت الى الاراضي القارية ، وذلك باستثناء عين حمام الغروز التي أظهرت التحاليل أنها اختلطت في الاعماق بالجبس الترياسى ، ولذلك فهي تحتوى على كمية كبيرة من السلفات وكذلك عين جعيد ومالو التي تحتوى على السلفات والكلورور .

وهكذا نخلص الى القول بأن المصادر المائية الجوفية لمنطقة قسنطينة تتشكل على صورة طبقات مائية وينابيع ، الاولى تستغل بواسطة الضخ كما هو الحال في سهول عين كرشة وبرطو وتلاغمة ، والثانية تستعمل سواء للرى كما هو الحال في الحامة أو لتموين المدن بحاجياتها من مياه الشرب كعين فزيقية ، أو لكليهما معا كعين بومرزوق . الا أن استغلال هذه الموارد المائية بدأ يثير بعض المشاكل في السنوات الاخيرة ، وذلك لان الكميات المسحوبة ، تزيد بكثير عن تلك التي تتسرب الى باطن الارض مما يؤدى أحيانا الى جفافها ، وبالتالي الى تهديد المساحات المزروعة المعتمدة على الرى والى هجرة أصحابها منها في العديد من

---

(12) Durozoy Guy : op. cit., p. 21.

الحالات، بسبب مشكلة المياه. ولهذا بدا الاهتمام بالبحث عن حلول لهذه المشكلة، عن طريق وضع موازنة دقيقة بين الاحتياطي والمخصص للاستهلاك، وانشاء السدود وتعميق الابار، وحل النزاعات القائمة على توزيع المياه بين الارض الزراعية والمدن.

٢ ـ اما المصادر المائية الاخرى فتتمثل فى شبكة نهر وادى الرمال ويرمرزوق وروافدهما (شكل رقم ٧) وهي غير صالحة للاستهلاك البشرى وان كانت هناك امكانية لمعالجتها صناعيا لتصبح عذبة، بعد تخليصها من النفايات والمواد الملوثة، ذلك لان مجارى المدينة ونفايات المصانع كلها تصب فيها، أما خارج المدينة فهي تستخدم في أغراض الرى رغم ضعف طاقتها.

وهكذا يتضح من تحليل الموارد المائية في منطقة قسنطينة أنها بشكلها الحالي غير كافية لمجابهة الاحتياجات المتزايدة للمدينة من جهة وللاغراض الصناعية من جهة ثانية، ولذلك لابد من الاهتمام باستغلال المياه السطحية عن طريق بناء السدود ومحطات التصفية.

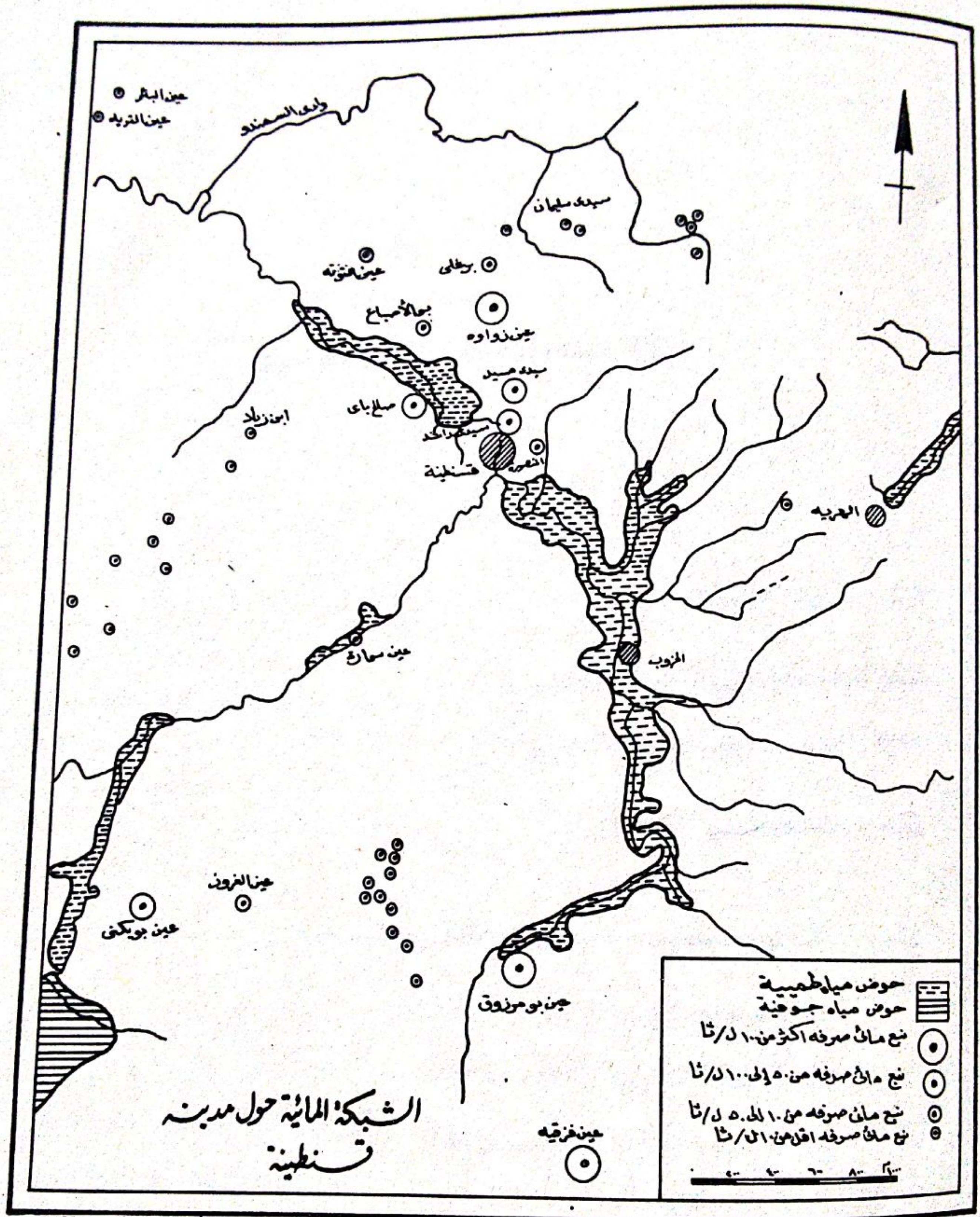
عين البقر
عين التربة
وادي السمندو
سيدي سليمان
عين الغنوته
بوغطلي
بوالأصباع
عين زواوه
سيدي مسيد
صالح باي
ابن زياد
سيدي راشد
قسنطينة
الشعبة
الحريه
الخروب
عين سمارة
عين الغروز
عين بويكتي
عين بومرزوق
عين فرزيه
الشبكة المائية حول مدينة
قسنطينة
حوض مياه طميية
حوض مياه جوفية
نبع مائي صرفه اكثر من ١٠٠ ل/ثا
نبع مائي صرفه من ٥٠ إلى ١٠٠ ل/ثا
نبع مائي صرفه من ١٠ الى ٥٠ ل/ثا
نبع مائي صرفه اقل من ١٠ ل/ثا
٠
٢٠٠
٤٠٠
٦٠٠
٨٠٠
١٠٠٠م

- CURER - MONOGRAPHIE DE CONSTANTINE 1977

شكل " ٧ "

الفصل الثاني

نشأة مدينة قسنطينة ونموها الحضرى

أولا ـ أصول النشأة

ثانيا ـ قسنطينة في العهد الروماني

ثالثا ـ قسنطينة في العهد الاسلامي

رابعا ـ قسنطينة في العهد التركي

خامسا ـ التطور الحضرى لقسنطينة في العصر الحديث :

١ ـ المرحلة الاولى ١٨٣٧ ـ ١٩١٤
٢ ـ المرحلة الثانية ١٩١٤ ـ ١٩٣٧
٣ ـ المرحلة الثالثة ١٩٣٧ ـ ١٩٧٧
الخلاصة

نشأة مدينة قسنطينة ونموها الحضـرى

أولا ـ أصول النشـأة:

يرتبط النمو الحضرى لمدينة قسنطينة بالخلفية التاريخية الحضارية، التى تشخص مراحل قيامها وتطورها، ودورها الذى مارسته باعتبارها قد ارتبطت بالصفة القيادية في الميدانين السياسي والعسكرى منذ قيامها، فقسنطينة ظهرت في منطقة استقرار بشرى قديمه، حيث تتحدث الكثير من الابحاث التاريخية، عن أن التواجد البشرى بهذه المنطقة بدأ مع فجر التاريخ. وذلك ما أكدته الحفريات التي قام بها خبراء الاثار الفرنسيين عام ١٩٣٧، والتي أظهرت للوجود أدوات بدائية تعتبر من أقدم الادوات التي استخدمها الانسان الاول على ظهر الارض(١). كما أظهرت هذه الحفريات بعض الهياكل العظمية لحيوانات ما قبل التاريخ كحيوان Daw الذى يشبه الحمار وأغنام برية وغيرها. اضافة الى عدد من القبور ترجع الى عهد الحضارة الميجاليتيكية في منطقة الركنية وتيديس وبونواره وعين بومرزوق. وهذه شواهد تدل على أن الاستقرار البشرى بهذه المنطقة يعود الى عصور موغلة في القدم.

الا أن تاريخ تأسيس المدينة لا يزال مجهولا. وتدور حوله العديد من الافتراضات. ومن الجدير بالذكر أن تاريخ المدن في الجزائر خاصة وفي المغرب العربي عامة يرتبط بقيام المدن الكبرى فيها، ويوءكد ذلك أن المغرب العربي قد عرف خلال مجرى تاريخه وابان الحضارات العديدة التي تتابعت عليه واحدة تلو الاخرى، مدنا عديدة تراوحت فيما بينها من حيث أنماطها الحضارية والعمرانية والسكانية.

---

(1) Bulletin Archéologique de l'Est, no 12, Constantine 1952, p. 9.

ويظهر لنا تاريخ المدن في منطقة المغرب العربي أن المدن الكبرى بها كانت أما عواصم سياسية أو مراكز بحرية تجارية. كما تشير الشواهد التاريخية ان هذه المدن كانت تعد بمثابة مجتمعات متميزة ذات بناءات اجتماعية واقتصادية معقدة تتميز بالمركزية الشديدة، وتمارس نوعا من السيطرة الحضرية على بقية التجمعات الاخرى المحيط بها، بحكم انفرادها بمقار الحكم ومراكز التخزين والتجارة والصناعة والاسواق الرئيسية ومقار الخدمات والشوءون الدينية والاعمال.

وبالنسبة لمدينة قسنطينة، فان الاكتشافات الاثرية والكتابات التاريخية القديمة قد أثارت جدلا بين الباحثين فى أصول نشأتها، وان كانوا يتفقون على انها من أقدم مراكز الاستقرار البشرى لاشتمال موضعها على عوامل الاستقرار في تلك المرحلة البدائية كالمياه الجارية والمخابئ الطبيعية. وأن هذا الموضع تطور مع الزمن بعد أن شيد السكان منازلهم، قرية ثم مدينة، استعمل لها سكانها اسم "كيرطا" وهو الذى يعني باللغة البونية التي كانت سائدة آنذاك، "مدينة"، وهو الاسم الذى حرفه الموءرخون اللاتينيون فأصبح سيرطا الذى تذكره الكتابات التاريخية اللاتينية القديمة.

وأقدم المعلومات عن "كيرطا" هي التي أوردها الموءرخ الاغريقي يونييوس واللاتيني ليفرى، وكان الاول قد عاش خلال القرن الثاني قبل الميلاد وزار "كيرطا" وبقية المغرب العربي، ونوه بماسينيسا حاكم المدينة وبأهميتها التجارية والاقتصادية (٢)، عندما كانت احدى عواصم مملكة "سيفاكس الكبرى". وفيما عدا ذلك فان الموءرخين الاغريق أو اللاتين لم يهتموا بتاريخ "كيرطا" وخاصة فيما يتعلق بتأسيسها، مثلما اهتموا بتأسيس "قرطاجه". واذا ما قارنا تاريخ تأسيس قرطاجنه" بتاريخ" كيرطا"، فان الاول يعود الى ٨١٤ قبل الميلاد حسب الكتابات الاغريقية القديمة، أما "كيرطا" والمدن النوميدية الاخرى فان حظها من هذه النصوص القديمة ضيئل، لكونها لم تكن تشكل محور اهتمام بالنسبة للقدماء، لانها لم تكن طرفا في الصراع القائم آنذاك بين شعوب البحر المتوسط. وكان ذكرها يأتي عرضا عندما يتعلق الامر بحادث تاريخي هام له صلة بحملة الصراع. وهذه الاشارات الهامشية والاكتشافات الاثرية الحديثة، هي التي مكنت من التعرف على تاريخ هذه الحاضرة الذى يعود الى القرن الثالث قبل الميلاد. حيث

---

(2) Mercier E. op. cit., p. 12.

يذكر المؤرخ الجزائرى رشيد بورويبة في كتابه تاريخ قسنطينة " بأن الكتابات المحفورة على المقابر البونية التي اكتشفت فوق الصخرة "والكودياء" ول "المنصورة" تذكر بأن رب المدينة اسمه "بعـل حامون" وهو نفس اله مدينة قرطاجة ، كما أن الحروف المستعملة والرسومات والاشكال البنائية متشابهة (٣) ولا زالت نماذج من هذه الكتابات محفوظة بمتحف المدينة.

اما عن مكانة كيرطا الاقتصادية في العهد النوميدى، فان النصوص التاريخية تجمع على انها كانت مدينة ذات ثراء ونعمة. حيث ذكر المؤرخ والجغرافي الاغريقي الشرابون "انها كانت في عهد الملك مكيوسن قادرة على تقديم عشرة آلاف فارس وضعف عددهم من المشاة وانها كانت ذات رخاء لا يضاهي (٤) ". ولقد اعتمد المؤرخ الفرنسي ستيفان غزيل على مثل هذه المعلومات، فقدر عدد سكان كيرطا آنذاك ما بين ١٥٠ ألف و ١٨٠ ألف نسمة. وهو عدد هائل بالنسبة لمدن ذلك العصر، ويعلل المؤرخ الفرنسي ذلك بقوله "أن ماسينيسا أراد لهذه المدينة أن تكون في مستوى مدينة قرطاجه التي كانت تمثل في نظره رمز السيطرة الاجنبية، وأن تكون سدا للاذى والعدوان ومن ثم عمل على تعبئة الجيوش واحتكار تجارة افريقيا وحول طرقها عبر المدن النوميدية الخاضعة لكيرطا، وأصبح التجار الاجانب يتعاملون مع المملكة النوميدية دون وسيط قرطاجي ، فاستفادت كيرطا من هذه التحولات وراجت بضائعها في أسواق المتوسط " (٥) .

ولقد هيأ موقع كبرطا السبيل أمام التجار الاجانب وأصحاب الحرف من مختلف الجنسيات للاقامة بها دون خوف لمناعتها. ودلت الاكتشافات الاثرية على تعايش هذه العناصر الاجنبية منذ زمن بعيد بالمدينة، تجمعهم المصلحة الاقتصادية. كما دلت هذه الاكتشافات على أن كيرطا كانت تستورد حاجتها من البضائع الاجنبية، وتصدر فائض منتوجاتها للخارج، فكانت تستورد المصنوعات الخزفية والتحف والخمور والاسلحة ومواد الزينة وتصدر القمح والصوف والجلود والخيول والعبيد والرخام . وكما وجدت آثار لبضائع أجنبية بكيرطا وغيرها من المدن النوميدية، لوجدت آثار نوميدية في بلدان أخرى، اهمها

---

(3) Bourouiba R. Constantine, Alger, 1979, p. 16.

(4) Bulletin Archéologique de l'Est, op. cit., p. 15.

(5) Bulletin Archéologique de l'Est, op. cit., p. 18.

النقود التي عثرعليها في جنوب فرنسا واسبانيا ، وبعض التحف التي تحمل رسم ماسينيسا ملك كيرطا .

غير أن هذاالرخاء الذى عاشته كيرطا في العهد النوميدى والذى بلغ ذروته في عهد ماصينيسا ، حرك رغبة الرومان في الاستئثار بالمدينة، التي سقطت تحت قبضتهم عام ١١٢ ميلادية.

ثانيا ــ قسنطينة في العهد الروماني :

لما انتقل الحكم الى الرومان في مدينة كيرطا ، عينوا على رأسها Sittius بعد أن تحولت الى حاضرة لمستعمرة رومانية تسمى Colonia Cirta Julia أصبحت بعد امتداد النفوذ الروماني في شمال شرق المغرب العربي ، عاصمة كنفدرالية المستعمرات الاربعة(٦) ، التي تجمع تحت لوائها مستعمرة سيرتا (قسنطينة) وميلف (ميله) وشولو (القل) وروزيكاد (سكيكدة)· وكان لكل مستعمرة حكمها الخاص بها ، بينما تتولى سيرتا أمور الدفاع وتعيين القضاة(٧) ·

الا أن المدينة لم تنعم بالاستقرار في بداية سيطرة الرومان عليها، حيث كانت تتعرض لهجوم القبائل المجاورة ، الى جانب تصارع أهل السلطة فيما بينهم داخل الكونفدرالية، الامر الذى أدى الى تدميرها سنة ٣٠٨ ميلادية، لتعود على مسرح التاريخ على يد قسطنطين الذى أعطاها اسمه وأعاد بنائها، ومد سيطرته على كل المناطق المحيطة بها· وبعد ان استتب له الامن والاستقرار، اهتم قسطنطين بتعمير المدينة وتنشيط التجارة والزراعة الامر الذى أدى الى ارتفاع عدد سكانها الذين قدموا من الارياف المجاورة بعد أن استهوتهم المعاملات التجارية النشيط بالمدينة· وبذلك امتد العمران ولاول مرة فى تأريخ المدينة خارج حدودها الطبيعية ، ووصل حتى سفوح جبل شطابة، "حيث كانت سيرتا تمتد على شكل نواة تحيط بها ضاحية ذات شكل هلالي على ضفتي وادى الرمال ، تزخر بالمساكن الانيقة ذات الحدائق الغناء ، وشوارعها مرصوفة بالحجارة حسنة التخطيط ، كما كانت تشتمل على المرافق الصحية وكان بها عدد من الحمامات" (٨) ·

---

(6) Mercier E. op. cit., p. 16.

(7) Mercier E. op. cit., p. 25.

(8) Berthier A. Constantine, Toulouse, 1965, p. 12.

ومن تلحيل المصادر التاريخية الحضارية لمدينة سيرتا، للوصول الى وضع تصور لمعالمها الحضرية، وجد الباحث نفسه في مواجهة فراغ ونقص كبيرين في المعلومات لانه اذا كانت المدن الرومانية في شمال افريقيا احتفظت ببعض معالمها على شكل آثار، رغم تعاقب الزمن، فان مدينة قسنطينة على العكس من ذلك تفتقر الى مثل هذه المعالم. وذلك لان الموضع الذى قامت عليه لم يكن لضيق مساحته (٣٠ هكتارا) يسمح بتعايش بقايا كل الحضارات التي تعاقبت فوقه، وكان لابد من الهدم لاعادة البناء. وبمقارنة البقايا الاثرية لمدينة قسنطينة الرومانية ببعض المدن الرومانية الاخرى القريبة منها والتي كانت خاضعة لسيطرتها (تيمقاد مثلا)، لان المدن الرومانية في شمال افريقيا كما يرى المؤرخ الايطالى بيير غريمال (٩) كانت بصفة عامة صورة طبق الاصل لمدينة روما في مؤسساتها ومبانيها ومعابدها، وفي شكلها وتخطيطها المعمارى، يمكن تشخيص مخطط المدينة بنوع من الدقة، حيث أنه يتكون من العناصر الاساسية التالية:

تمتد المدينة داخل مربع غير منتظم الاضلاع، يخترقه شارعان واسعان. الاول يمتد رأسيا من الشمال الى الجنوب يصل بين أهم أبواب المدينة، والثاني أفقيا من الشرق الى الغرب ويربط بين المعبد والمسرح الروماني. وفي نقطة تلاقي الشارعين تقوم الساحة العمومية Forum ، بينما تتشعب عنها وفي شكل شطرنجي شبكة من الطرق تربط بين مختلف أقسام المدينة. ويذكر المؤرخ الفرنسي شاربونو (١٠) أن المعبد الروماني Capitol كان يحتل المكان الحالي لثكنة القصبة ترتفع جدرانه الى حوالي ٣١ مترا، وهو يوجد في أعلى نقطة بالمدينة، وهذا حسب أصول الفن المعمارى الروماني (١١)، ويقابله في غرب المدينة المسرح الروماني، وبالقرب من الساحة العمومية، توجد كنيسة مسيحية وخزانات للماء، وعند مخرج المدينة كانت المقبرة. (شكل ١٤).

---

(9) Grimal p. Les Villes Romaines, Paris, 1954, p. 15.

(10) Cherbonneau, Les Villes Romaines d'Algérie. Bulletin Archéologique de l'Est, Constantine 38, p. 28.

(11) Grimal P. op. cit., p. 25.

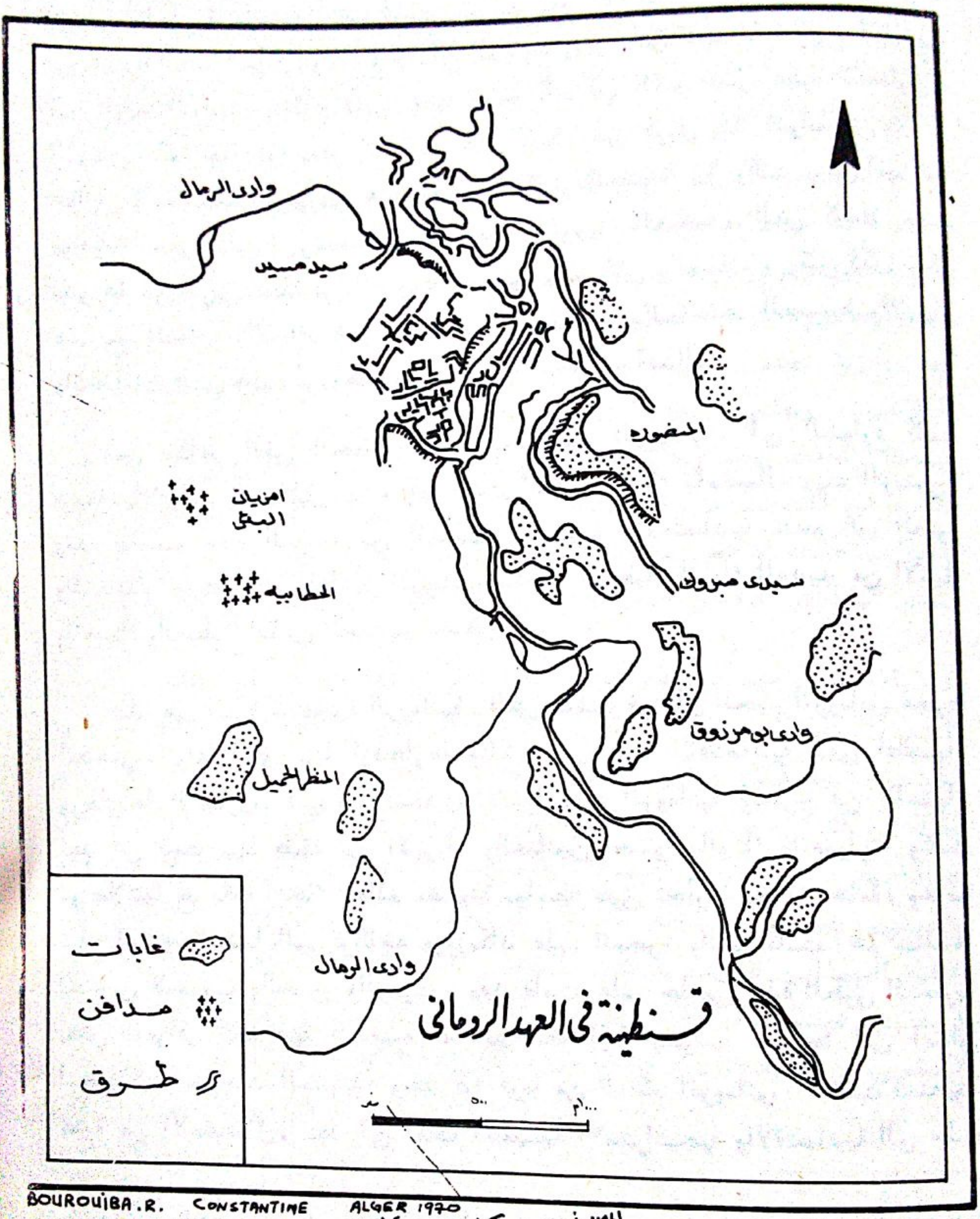
وادي الرمال
سيدي مسيد
المنصورة
امزيان
البعلي
الحطابية
سيدي مبروك
وادي بومرزوق
المنظر الجميل
وادي الرمال
غابات
مدافن
طرق
صفر
٥٠٠
١٠٠٠م

قسنطينة في العهد الروماني

BOUROUIBA.R. CONSTANTINE ALGER 1970 المصدر:

شكل ((١٤))

ولقد اهتم الرومان بتوفير المرافق الضرورية للحياة الحضرية ، حيث قاموا بجلب المياه لاغراض الشرب من منابع جبل الوحش (٨كلم) بواسطة قناة رئيسية توصل المياه الى خزانات ضخمة بهضبة الكودياء ، وهي المرافق التي استعملت لتموين المدينة بالمياه حتى لبضع سنوات بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة . الا ان تزايد عدد السكان واتساع عمران المدينة ونمو بعض الصناعات طرح لاول مرة في تاريخ المدينة مشكلة نقص المياه وهو المشكل الذى قضى عليه المعماريون الرومان ، كما جاء في بعض المصادر التاريخية ، عن طريق بناء قنوات من ثلاث طوابق تربط منابع بومرزوق على بعد ٥٠ كلم بالمدينة (لا زالت بعض أجزائها موجودة حتى الان) وتصب في خزانات الكودياء الضخمة ، التي كانت تتصل بدورها عن طريق شبكة من القنوات الصغيرة بالمساكن والمصانع . وكان لكل مسكن صهريج للماء ، بالاضافة الى عدد من الصهاريج بالساحات العمومية والاسواق والحمامات التي كانت من أهم سمات الحياة الحضرية آنذاك .

ومن مظاهر الفن المعمارى أيضا بقسنطينة الرومانية ، أن الشوارع كانت مزينة بالاقواس والتماثيل (+) . كما كانت المدينة تضاء باستعمال زيت الزيتون ، وقد صاحب هذه النهضة من الناحية الحضرية والاقتصادية تقدم في العلوم والثقافة ، حيث يزخر التاريخ الروماني لشمال افريقيا بأسماء العديد من الادباء والعلماء والخطباء الذين انجبتهم قسنطينة .

تلك هي صورة قسنطينة الرومانية ، التي عاشت في ظل الحكم الروماني عصرها الذهبي ، وقد أدى بها ازدهارها وتأكيد سيطرتها الاقتصادية على اقليمها ، ورخاؤها التجارى ، الى أن تتحدى الامبراطورية الرومانية وتخرج عن طاعتها ، بعد أن نمت بها طبقة من الاثرياء والفنانين اهتموا بالبناء والعمران . وكانت مواصلاتها مع بقية أنحاء العالم مضمونة بواسطة طرق تجارية وقوافل هامة ، وخاصة تلك المتجهة منها الى قرطاجة وروزيكاد على البحر ، والتي كانت أهم منافذها لتسويق الحبوب والخمور والزيوت . وقد قامت على جانبي هذه الطرق التجارية بعض المراكز العمرانية الصغيرة لخدمة القوافل ، تحولت بدورها الى أسواق استهلاكية لمنتجات المدينة . وبعد ١٥ قرنا من الحكم الروماني ، دخلت قسنطينة فترة من الاضمحلال ، بعد أن أدت أهميتها الاستراتيجية والاقتصادية الى جلب

(*) لا يزال تمثال قسطنطين مؤسس المدينة قائما حتى الان في ساحة محطة السكك الحديدية .

أطماع المحتلين والغزاة، فشهدت عدة غزوات قضت على العديد من سكانها قتلا وأسرا، كما خربت وحطمت جل معالمها الحضارية والمعمارية.

ثالثا ـ قسنطينة في العهد الاسلامي :

بعد غروب قوة الرومان في شمال افريقيا واضمحلال نفوذهم، وصلت موجات الفتح العربي الاسلامي الى منطقة المغرب العربي، على يد عقبة بن نافع، حيث وقعت في قبضة الفاتحين جل المدن ومن بينها قسنطينة.

وقد تميزت العهود الاولى للحكم الاسلامي بالمدينة بالفوضى وانعدام الاستقرار حيث كانت مسرحا لمعارك عديدة بين الاغالبة والحماديين. وأصبحت تلعب دورا ثانويا على مسرح الاحداث بالمنطقة، الى أن جاء الزيريون الذين اعادوا للمدينة استقرارها وازدهارها، لتصبح من أهم المراكز الحضرية في هذا الجزء من العالم بعد مدينة تونس. حيث قام الحكام العرب "بتوزيع الاراضي الزراعية على الفلاحين، وتعليم السكان المحليين الدين الاسلامي واللغة العربية" (١٢). وبذلك ازدادت حظوة ومكانة قسنطينة بفضل الحضارة العربية الاسلامية، حيث ظلت تتدرج في التعريب منذ الفتح الى أيام الدولة العبيدية في أوائل القرن العاشر الميلادى حيث تم تعريبها تماما. وهذا ما يذكره المؤرخ الفرنسي "بيرتى" الذى يتكلم أيضا عن ازدهار الصناعة والاقتصاد والعمران وسلطة الامن والعدل (١٣).

واذا كانت قسنطينة قد لعبت دورا ثانويا اثناء الفترة التي تمتد من بداية الفتح الاسلامي الى أواخر القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى ـ فانها اخذت أهمية كبرى بعد ذلك تحت حكم الحماديين والزيريين. والدليل على ذلك أن المؤرخين الذين كتبوا عن المغرب العربي في هذه الفترة مثل ابن خراداذبه صاحب كتاب المسالك والممالك، الذى توفي في ٢٧٢ هـ ـ ٨٨٥م واليعقوبي صاحب ـ كتاب البلدان ـ الذى توفي سنة ٢٨٤هـ ـ ٨٩٥م وابن الفقيه الهمذاني صاحب ـ كتاب البلدان ـ الذى توفي سنة ٢٩٠هـ ـ ٩٣٠ م لا يذكرون قسنطينة في كتاباتهم على الاطلاق. بينما نجد المؤرخين والجغرافيين المسلمين في العهد الزيرى والحمادى يذكرونها ويصفونها.

---

(١٢) محمد المهدى بن شعيب : قسنطينة والاسلام، النصر الثقافي قسنطينة ١٩٧٤ ص ٤ ـ ٦.

(13) Berthier A. Constantine Carrefour Méditéranéen et Saharien, Constantine, 1936, p. 32.

فالمقدسي صاحب – كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم – والذى يسميها القسطنطينية، يذكر في الباب الخاص بدراسة اقليم افريقيا أن "القسطنطينية مدينة جاهلية وهي مدينة قديمة وكبيرة بها عدد من السكان، مسالكها وعرة وهي كالقلعة تحيط بها المياه من ثلاث جهات (١٤)"

ويقول البكرى صاحب – كتاب المسالك والممالك – في الجزء الذى يحمل عنوان – كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب – في حديثه عن مدينة قسنطينة "هي مدينة آهلة ذات حصانة ومنعة. وليس يعرف أحصن منها، وهي على ثلاثة أنهار عظام تجرى فيها السفن قد أحاطت بها، تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار، تقع هذه الانهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد قد عقد في أسفله قنطرة على أربع حنايا، ثم بني عليها قنطرة ثانية ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا ثم بني فوقهن بيت يساوى ضفتي الخندق يعبر عليه الى المدينة "ويظهر الماء في قعر هذا الوادى من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده يسمى هذا البيت العبور لانه معلق في الهواء" (١٥) .

ثم يفيدنا البكرى بمعلومات عن سكان قسنطينة فيقول "ويسكن قسنطينة قبائل شتى من اهل ميلة ونفزاوه وقسطليه وهي القبائل من كتامة وبها أسواق جامعة متاجر رابحة "اما المؤرخ الادريسي فيصف قسنطينة الهواء كما يسميها، وصفا دقيقا مفصلا فيذكر موقعها وبعض مبانيها قائلا : "ومدينة قسنطينة على قطعة جبل منقطع مربع. فيه بعض الاستدارة لا يتوصل اليها من مكان، الا من جهة باب في غربها ليس بكثير السعة. وهناك مقابر أهلها حيث يدفنون موتاهم. ومع المقابر أيضا بناء قائم من بناء الروم الاول به قصر يشبه بملعب ثرمة من بلاد مقليه (١٦) ". ثم يصف الادريسي الوادى الذى يحيطبها وسورها وأبوابها وقنطرتها، فيقول : "وهذه المدينة أعني قسنطينة يحيط بها الوادى من جميع جهاتها كالعقد مستديرا بها، يأتي من جهة الشمال ويمر مغربا الى أسفل الجبل ثم يسير شمالا الى أن يصب فى البحر غربي وادى سهر وليس للمدينة من داخلها سور يعلو أكثر من نصف قامة، الا من جهة باب ميله، وللمدينة بابان باب ميله في الغرب وباب القنطرة في الشرق، وهذه القنطرة من أعجب البناءات لان علوها يشف على مائة ذراع، وهي من بناء الروم قسى عليا على قسى سفلـي وعددها

---

(14) Mercier E. op. cit., p. 82.

(15) Bekri "Description de l'Afrique. Trad. de Slan, Paris, 1859, p. 112-128.

(16) El-Edrisi: Description de l'Afrique et de l'Espagne. Trad. de Dosy et Leyde, 1866, p. 150-164.

فى سعة الوادى خمس، والماء يدخل على ثلاثة منها، مما يلي جانب الغرب، وهى كما وصفته قوس على قوس، والقوس الاولى يجرى بها الماء أسفل الوادى والقوس الاخرى فوقها وعلى ظهرها المشى والجواز الى البر" . كما يحدثنا الادريسي عن أهمية قسنطينة في الميدان الاقتصادى قائلا" وقسنطينة مدينة عامرة بها أسواق وتجار وأهلها مياسير ذو أموال وأحوال واسعة، ومعاملات في الحرث والادخار، وهي مطلة على فموص متصلة ولها مزارع الحنطة والشعير، وممتدة في جميع جهاتها، والحنطة تقيم بها في مطاميرها مائة سنة لا تفسد، وفي كل دار منها مطمورتان، وثلاث أو أربع مقصورات في الحجر، ولذلك تبقى فيها الحنطة لبرودتها واعتدال هوائها، وكثير من العسل والسمن الذى يتجهز به من قسنطينة الى سائر البلاد" .

وأخيرا يذكر لنا الادريسي الطرق الستة التي كانت تربط ما بين قسنطينة والمدن الاخرى وهي "الطرق التي تؤدى الى باغاية التي كانت توجد على ثلاثة مراحل من قسنطينة، وطريقان تتجهان نحو بجاية احداهما تمر بجيجل والاخرى بابرس. والطريق التي تؤدى الى القل وتمر بقلعة بشر ونفاوس وتيفاش وقالمة والقصرين ودور مدين، والطريق التي تؤدى الى سطيف والطريق التي تؤدى الى جيجل وتمر بفحص فارة وبني خلف وحصن كلديس وجبل سماو ووادى شال وسوق سيدى يوسف وسوق بني زندوى وتاله والمغاره ومسجد بهلول والمزارع" .

والى جانب النشاط التجارى والزراعي عرفت قسنطينة دون شك نشاطا معماريا كبيرا ومن بين المباني التي شيدت في هذه الفترة لم يبق لنا الا الجامع الكبير الذى أسس في عهد الامير الحمادى الاخير يحيى بن العزيز كما تدل ذلك الكتابة التي تزين داخل المحراب والتي جاء فيها :

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم هذا على محمد بن بو على الثعالبي سنة ثلاثين وخمسمائة" . وأعمدة الجامع كلها رومانية أخذت من معبد فينوس ومعبد أنفاق المستعمرات السيرتيه. أما بقية عناصر المبنى فهي ترجع الى العهد الحمادى تمتاز بالعناصر الهندسية الجميلة المزينة بكتابات الخط اللين، بينما النوافذ مزينة بعناصر هندسية ومزهرية وعناصر نباتية (١٧) .

وبالاعتماد على هذه الشواهد التاريخية، وبعض الكتابات الخاصة بتنظيم المدن الاسلامية في شمال افريقيا يمكننا تشخيص مخطط قسنطينة الاسلامية بنوع من الدقة على الشكل التالي : (شكل ١٥)

---

(17) Bourouiba R. op. cit. p. 16.

كانت قسنطينة الاسلامية شانها في ذلك شان المدن الاسلامية تتشكل من نواة مركزية وبجوارها سلسلة من الاسوار، بها بابان رئيسيان هما باب ميله وباب القنطرة. وهذه الاسوار تحدد بصفة دقيقة حدود عمران المدينة وبينها وبين النواة المركزية منطقة تختلف من حيث الاهمية والمحتوى، وبهذا يمكن القول ان المدينة احتفظت الى حد بعيد بالمخطط الروماني، مع ادخال بعض التغييرات التي تتطلبها الحياة الاسلامية. واهم معالم النواة المركزية بالمدينة المسجد والسوق اللذين يشكلان الى جانب دار الحاكم، اهم الصفات المميزة للمدينة الاسلامية. وهذه النواة هي المركز الحيوى للمدينة حيث تنتشر الى جانب الجامع الكبير عدد من الدكاكين ومحال التجارة تقوم "على ساحات جميلة ومنظمة تبعا لانواع الحرف والبضائع، ومنها الصاغة والعطارون والدباغون..." (١٨). وفيها تتركز الحياة الحضرية، فالمسجد بحكم حجمه وشكله المعمارى المميز هو مكان العبادة والتجمع وبه تقام حلقات التدريس، بينما توفر الاسواق امكانية المعاملات والمبادلات.

كما أن شبكة الطرق الداخلية للمدينة المخططة لاغراض المشاة والحيوان والعربات تتطابق الى حد بعيد مع الوضع التخطيطي الروماني السابق. حيث أنها تصل بين أبوابها الرئيسية وتتقاطع عند النواة المركزية (ساحة البطحاء حاليا). الا أنها نمت في عدة مراحل راسمة شكلا متشعبا للشوارع التجارية والصناعات الحرفية، تفتح مداخل البيوت على شوارع ضيقة. أما من حيث المورفولوجيا فيمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الاحياء: منطقة أو عدة مناطق للصناعة، منطقة سكن كثيف، ومنطقة الضاحية أو الاطراف. ويرتبط توقيع المنطقة المخصصة للصناعة بالوضع الطوبغرافي للمدينة، حيث أن الكتابات التاريخية تتحدث عن تركز المدابغ وورشات تصنيع الجلد والنسيج، على مشارف الجروف العميقة (جنوب غرب المدينة)، على مقربة من الوادى حيث تستعمل المياه كقوة محركة أو للغسيل وصرف النفايات، وعلى مقربة أيضا من منطقة النواة المركزية حيث الاسواق لتصريف الانتاج. أما الصناعات الاخرى فتحتل مواقع متطرفة بالقرب من الاسوار أو خارجها أحيانا، أين تتركز صناعة الاواني الفخارية حيث اتجاه الرياح المسيطرة يطرد الروائح الكريهة والدخان خارج المدينة. كما كانت تقوم بالقرب من الاسوار وعند مداخل المدينة معاصر الزيت حيث مخازن الزيتون مصدر المواد الاولية، كما أن وضعها هذا يساهم في التقليل من الحركة داخل المدينة.

---

(18) Le Tourneau: Les Villes Musulmanes de l'Afrique du Nord. Alger 1975, p. 36.

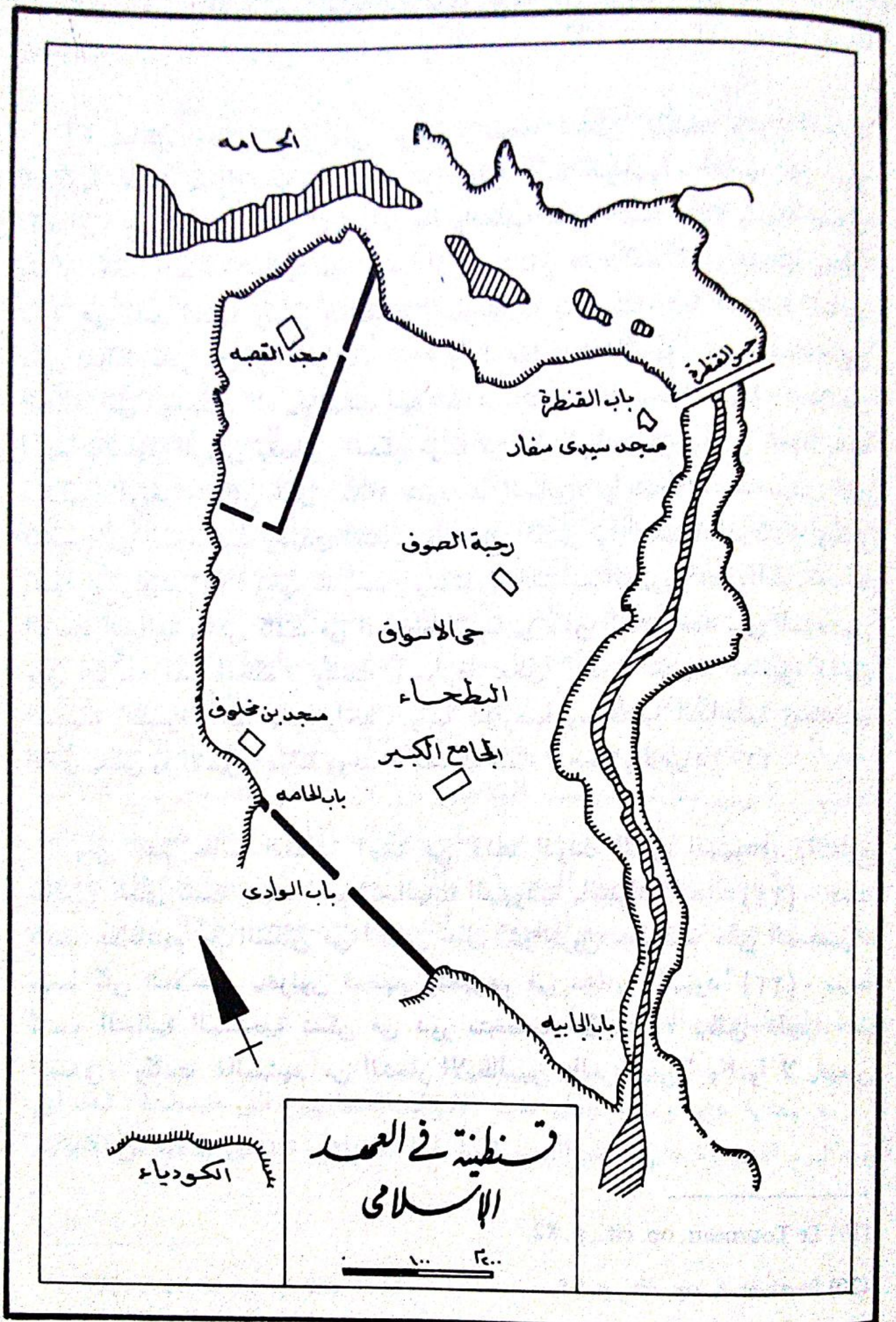
الحامه
مسجد القصبه
جسر القنطرة
باب القنطرة
مسجد سيدى سفار
رحبة الصوف
حي الاسواق
البطحاء
مسجد بن مخلوف
الجامع الكبير
باب الحامه
باب الوادى
باب الجابيه
الكودياء
قسنطينة في العهد الإسلامي
٠ ١٠٠ ٢٠٠

المصدر: BRUNSCHWIG.R. LABERBERIE.ORIENTALE SOUS LES HAFSIDES PARIS 1957 -

شكل « ١٥ »

ولقد بقى العديد من هذه الورشات قائما في مواقعه حتى بداية العصر الحديث.

اما مناطق السكن فهي على نوعين، منطقة السكن الكثيف بجوار الخلية المركزية حيث منازل الطبقات الميسوره والعائلات الوجيهة، لقربها من مركز الاعمال. ولهذا يكون سعر الارض مرتفعا والطلب على البناء عاليا وهو ما يجعل مساكن هذه المنطقة خالية من الحدائق، واتساع هذه المنطقة واهميتها يعطي فكرة عن مدى اهمية وكبر الطبقات البورجوازية بالمدينة. اما المنطقة الثانية وهي منطقة الضواحي أو الاطراف، فتسكنها الطبقات الدنيا حيث يقيم المهاجرون الجدد الى المدينة، الذين ليست لهم امكانية اقتناء سكن وسط المدينة. فضلا عن انهم بحسهم الريفي يفضلون السكن قريبا من الاسوار أو خارجها في محيط يشبه بيئتهم الريفية. وكان لكل منطقة مسجدها الخاص، وأهمها مسجد سيدى ابن الحسن بن المحبحوب وسيدى النقاش والجامع الكبير في المنطقة المركزية. ويذكر المؤرخ لوتورنو (١٩) وجود مدرستين وثلاثة زوايا لتعليم الدين وأصول الشريعة، أما القصبة الحالية والتي كانت في المخطط الروماني مكان المعبد فقد بنى الموحدون فوق أنقاضه قصر الحكم، وكانت بأسوارها تعطى "شكل المدينة الصغيرة داخل المدينة الكبيرة، لها باب واحد، ولها شوارعها وساحاتها الداخلية ومسجدها الذى يصلي به الامير واعوانه ووجهاء المدينة صلاة الجمعة والاعياد (٢٠)

ومن أهم معالم المدينة أيضا في ذلك الوقت الحي اليهودى (الشارع حاليا) الذى كانت تسكنه أهم الجاليات اليهودية بالجزائر آنذاك (٢١). حيث كانت علاقاتهم مع السكان في أحسن حال "يوءجرون محلاتهم على المسلمين، بينما كان الفلاحون يخزنون قمحهم وشعيرهم في مخازن اليهود" (٢٢). بينما كانت الجالية المسيحية تسكن في دور متخصصة للاجانب، يطلق عليها اسم الفندق، وكانت غالبيتهم من التجار الايطاليين والفرنسيين" وكانوا لا يقيمون

---

(19) Le Tourneau, op. cit., p. 82.

(20) Berthier A. op. cit., p. 95.

(21) Eisenbeth: Le Judaisme Nord Africain, Constantine 1931, p. 26.

(22) Eisenbeth, op. cit., p. 125.

في قسنطينة لفترات طويلة، لانهم لا يستطيعون جلب عائلاتهم معهم، ويحظر عليهم التزوج بالمسلمات" (٢٣)

وهكذا نخلص الى القول بأن المخطط العام لقسنطينة في العهد الاسلامي كان يتحكم فيه المركز والابواب الرئيسية وبينهما محاور المرور. ونظرا لان الطرق ضيقة ومتعرجة نجد أن المخطط يتكون من مجموعة من الخلايا المتجاورة المرتبطة داخليا بدروب ضيقة تتكدس حولها المساكن التي تتميز بضيقها، وذلك على العكس من مخطط قسنطينة الرومانية ذات الشوارع الواسعة كما يلاحظ أيضا انعدام البناءات ذات الطابع العمومي، باستثناء المساجد وكان لكل خلية تجهيزاتها الضرورية لحياة السكان من دكاكين وحمامات، كما أن قسنطينة في هذه الفترة كانت قليلة السكان حوالي ٨٠٠٠ نسمة فقط (٢٤). لان المغرب العربي في ذلك الوقت كما يرى المؤرخ برونشفيج، كان يتميز بقلة المراكز الحضرية وسيادة حياة البداوة والقبائل المترحلة. ولهذا لم يمتد العمران خارج قسنطينة الا في شكل رياض الامراء وميادين لسباق الخيل. بينما كان اقليم قسنطينة يتضمن عددا من الواحات الزراعية والبساتين التي كانت تزرع منذ العهد الروماني، والتي تم احراقها وتخريبها بعد سنة ١٥٢٠ بسبب الفوضى السياسية وانعدام الامن بعد أن أصبحت قسنطينة عبارة عن جزيرة وسط بحر شاسع من الاراضي تتربع داخل أسوارها. فدخلت فترة من الانكماش والاضمحلال بسبب زحف الهلاليين على المغرب العربي وظهور التعصب المذهبي في ظل الحكم العبيدى بين المالكية والشيعة، الى أن دخلت طوعا في حكم الاتراك الذين انتشر صيتهم وذاعت سمعتهم وأخبار انتصارتهم البحرية. وكان لهم في قسنطينة "دعاة وأنصار يطلبون الدخول تحت رايتهم للخروج من التدهور والانحطاط. (٢٥)

رابعا : قسنطينة في العهد التركي :

مع بداية عام ١٥٠٠ وصل نفوذ الاتراك العثمانيين الى قسنطينة، بعد أن تمت لهم السيطرة على معظم المدن الساحلية للجزائر، قادمين بدعوة من الاهالي

---

(23) Berthier A. op. cit., p. 38.

(24) Brunshvig R. La Berbérie Orientale sous les Hafsides, Paris 1947, p. 112.

(25) Berthier A. op. cit., p. 101.

لمساعدتهم ضد التحرشات الاوروبية. ولقد كان لقدوم الاتراك أثر هام في بلورة شخصية المدينة، حيث قام البايات بادخال تحسينات هامة عليها، وأعادوا تخطيطها، بعد أن جعلوا منها عاصمة للمقاطعة الشرقية (بايليك قسنطينة) ومركزا لحكومتها، في أول تقسيم اقليمي عرفته الجزائر في تاريخها، وبذلك تعتبر الفترة التركية في تاريخ المدينة ملازمة لازدهار التجارة والعمران بها، بعد أن تحولت الى واحدة من أهم المدن التجارية والصناعية بالمغرب العربي "تشمل وحدها على ٣٣ معملا للدباغة و٤٠ مصنعا لصناعة الروج و ٦٧ معملا للاحذية تستوعب عددا كبيرا من اليد العاملة" (٢٦). وقد قدر المؤرخ (٢٧) لوكويير سكان قسنطينة في هذه الفترة بحوالي ٤٠ ألف نسمة. لانها استطاعت بحيويتها التجارية والاقتصادية أن تفرض استقطابا على الارياف المجاورة، بعد نزوح سكانها بحثا عن فرص العمل والاستقرار. وكان نفوذها التجارى يمتد حتى تونس وليبيا اللتان تستوردان منها الملابس المطرزة والاقمشة الحريرية والتوابل، وتصدران لها الجلود والشموع والحبوب واللحوم. كما كانت لها اتفاقيات تجارية مع اسبانيا وجنوة مرسيليا بواسطة موانئ جيجل والقل وسكيكدة التابعة لحكمها الادارى والسياسي (٢٨).

ولقد عاشت قسنطينة أوج ازدهارها في ظل حكم صالح باى الذى يرتبط اسمه ارتباطا وثيقا بتاريخ المدينة، فقد عمل هذا الاخير على تأمين حدود البايليك الشرقية، وتدعيم قوة المقاطعة داخل الجزائر. ومن الناحية العمرانية فان اعمال الحكام الاتراك وخاصة صالح باى عملت على تجميل المدينة حيث تم بناء مسجد ومدرسة سيدى الكتاني سنة ١٧٧٥ وأقيم بالقرب من المنازل الخاصة للباى التي امتازت بالسعة والضخامة، وبجانبها بيوت الحاشية والخدم. ويتصل بهذه المجموعة من المباني البساتين والاصطبلات والحمامات الخاصة. وقد ضمت لهذه المجموعة من البنايات العديد من الدكاكين التي تحيط بسوق الجمعة ـ سوق العصر حاليا ـ كما ألحق بها مجموعة من الدكاكين والمباني والفنادق خارج الباب

---

(٢٦) محمد العربي الزبيرى: التجارة الخارجية للشرق الجزائرى في العهد العثماني. الجزائر ١٩٦٧ ـ ص ١٤٢ .

(27) Le Cuyer E. ”Les Métiers Constantinois à l'Epoque des Beys”. Alger 1950, p. 36.

(28) Berthier A. op. cit., p. 42.

الجديد عند الكدية. كما ينسب الى صالح باى تخصيص منطقة الشارع التي اقطعها لليهود ليبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم. وقد كانت هذه المنطقة التي تقع ما بين باب القنطرة وحافة الهاوية، تسهل على ادارة البايليك مراقبتهم والتحكم في نشاطهم، وبذلك عاد النشاط الى هذا الجزء من المدينة الذى كان شبه مهجور وأصبحت هذه الجهة التي تعرف برحبة الصرف مركزا تجاريا مهما بعد أن شرع اليهود في فتح دكاكينهم على الشارع الرئيسي الذى يصل باب الوادى بباب القنطرة مباشرة، مما ساعد على تركيز النشاط التجارى به فيما بعد.

يضاف الى هذا اصلاح جسر القنطرة واعادة بنائه بعد أن تعطل ما يزيد عن خمسة قرون ولم يبق منه سوى بعض الاسس المتداعية. فجلب صالح باى لهذا الغرض مائة عامل من أوروبا لبناء الجسر تحت اشراف مهندس اسباني يدعى الدون بارتولميو، واستعمل احجار الخرائب الرومانية الموجودة بكثرة بالقرب من المنصورة (٢٩). وذلك من أجل تسهيل المواصلات مع النواحي الشرقية للبايليك، عن طريق ربط قسنطينة بالطرق الشرقية والجنوبية الشرقية التي تسلكها الحملات العسكرية والقوافل التجارية. كما كان يهدف أيضا الى جلب المياه الصالحة للشرب من عين العرب.

وكانت الحياة الثقافية مزدهرة حيث بلغ عدد المساجد الكبرى بالمدينة خمسة والجوامع الصغيرة حوالي ٧٠ بالاضافة الى ١٣ مدرسة قرآنية، واستحدث لها الاتراك نظاما دقيقا يتقيد به المدرسون والطلبة ويخضع له العاملون بأماكن الدرس والعبادة حتى تؤدى دورها الثقافي والتعليمي على أحسن وجه. كما يعود لهم الفضل في تنظيم ادارة الاحباس ورعاية الاوقاف العامة، وتحسين أوضاع الزراعة وتنمية الانتاج الزراعي. واقيمت زراعات جديدة مثل الارز في سهل الحامة مستعينة بنظام رى دائم.

اما فيما يخص الصناعة، فيذكر المؤرخ العربي الزبيرى (٣٠) أن قسنطينة كان لها ٢٨ سوقا وسويقه، و ٢١ ساباطا و ٧ تربيعات يتجمع بها صناع النسيج و ٣ رحبات لعرض السلع و ٣ أفران لطهي الخبز و ٢٧ مطحنة للحبوب منها خمسة

---

(29) Morelet, Les Maures de Constantine, Dijon 1875, p. 72.

(٣٠) محمد العربى الزبيرى ـ مرجع سابق ص ٤٥ ـ ٤٩.

داخل المدينة تعالج يوميا ما يعادل ٦٠٠ قنطارا من الدقيق. أما من الناحية التجارية فيذكر موروليه (٣١) ان قسنطينة ملتقى للقوافل التجارية التي تجوب انحاء الشرق الجزائرى وتربط قسنطينة بكل من الجزائر وتونس وغدامس، كما ذكر أن القافلة المتوجهة الى تونس في كل شهر كانت تتألف من ١٥٠ الى ٢٠٠ بغلا كلها محملة بالمحاصيل الزراعية والسلع المصنوعة في قسنطينة. وأثناء ذلك عرفت الموانىء البحرية التي يتم تصدير انتاج البايليك عن طريقها مثل عنابة والقالة والقل وسكيكدة توسعا ملحوظا في حجم المبادلات التجارية.

ورغم هذه التقديرات المتباينة التي تشير جميعها الى ضخامة مدينة قسنطينة وسيطرتها حضريا وعمرانيا، فان الشكل الحضرى للمدينة ظل مجهولا، الى أن جاء الاحتلال الفرنسي، فقد تركت هيئة أركان الجيش الفرنسي خرائط ووثائق هامة عن مدينة قسنطينة التركية عام ١٨٣٧، كما ترك المؤرخون الفرنسيون مسوحا دقيقة لقسنطينة أظهرت أنها كانت كلها مبنية فوق الصخرة، تغطي مساحة ٣٠ هكتارا تحيط بها أسوار عالية تنفذ منها ثلاثة أبواب تربطها بالمحيط الخارجي عن طريق شريط أرضي يصل بالكودياء غربا، وبواسطة جسر يربطها بغابة الصنوبر شرقا. وحسب المعلومات التي أوردها القبطان هيبوليت الضابط بهيئة الاركان الفرنسية بتاريخ ١٨٣٢ (٣٢) "فان عدد سكان المدينة في العهد التركى وقبيل الاحتلال الفرنسى يتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ألف نسمة من حضر ويهود وعرب وبها حوالى ١٧٠٠ منزل مغطاة بالقرميد و ٨٠٠٠ رجل قادرين على حمل السلاح، وهي أقل اتساعا من الجزائر ولكنها أكبر مرتين من المدية"، كما يصف موقعها قائلا "بأنه على شكل مدرج يرتفع في الشمال الغربي عند سفوح هضبة المنصورة الذى يفصله عنها انهدام متعرج تسلكه مياه وادى الرمال، الذى يرفد وادى بومرزوق الاتي من الجهة الشرقية في المكان المعروف بالاقواس. والى الشمال الشرقي من المدينة تنتصب هضبة المنصورة جرداء من الاشجار وبها ضريحان من أضرحة المرابطين يعرفان باسم سيدى المبروك، وسيدى مسيد. والى الشمال الغربى من المدينة وعلى ألف متر من الاسوار التي تحيط بها توجد مرتفعات كدية عاتي وحولها بعض القبور".

---

(31) Morelet, op. cit., p. 80.

(٣٢) ناصر الدين سعيدوني "وثائق هيئة أركان الحرب الفرنسية العاملة بالجزائر بأرشيف وزارة الحرب بفانسان – باريس – وصف مدينة قسنطينة – العلبة رقم ٢٢٥" مجلة الاصالة الجزائر ص ١٢ – ١٦ .

اما عن مخطط المدينة فيقول "ان شكل قسنطينة اهليلجى ذو سطح منسق يرتكز في اساسه على الانحناء الالتوائي الكبير المتجه نحو الجنوب الغربى فى خط يكاد يكون مستقيما ، وعلى مسافة يقدر طولها بخمسمائة متر من خط هذا الانحناء الكبير، وضمن سور قديم يعلو ثلاثين مترا، توجد ثلاثة ابواب : الباب الغربى الذى يوجد وسط هذا الخط المستقيم يعرف بالباب الجديد وتنتهى اليه طريق الجزائر، والباب الاوسط ويعرف بباب الوادى ويوءدى الى الجنوب، بينما الباب الثالث ويدعى باب الجابية فيتصل بوادى الرمال، وبين هذه الابواب تنتصب بطاريات المدافع المجهزة باربعين مدفعا وعلى منحدر كدية عاتي المواجهة للمدينة. وامام الابواب الثلاثة توجد ضاحية قليلة الاتساع يسكنها الصناع ، وتقام فيها الاسواق، وعلى بعد منها اصطبلات الباى مع بعض المساكن المتفرقة. وبجوارها بعض الاضرحة والبساتين المحاطة بالسياجات والاسوار الصغيرة اما باقى تحصينات المدينة فتتكون من اسوار قديمة بالية تستند اليها المنازل وان كانت كثيرا ما تتجاوز هذه المنازل في علوها ، ويوجد بحافة جبل المنصورة باب رابع يعرف بباب القنطرة، قبالة جسر مقام على الوادى يصل بين حافتي الانغلاق الذى يفصل المدينة عن جبل المنصورة. وهذا الباب محصن بستة مدافع وتنتهى اليه الطرق الاتية من الجهات الساحلية والشرقية لاقليم قسنطينة".

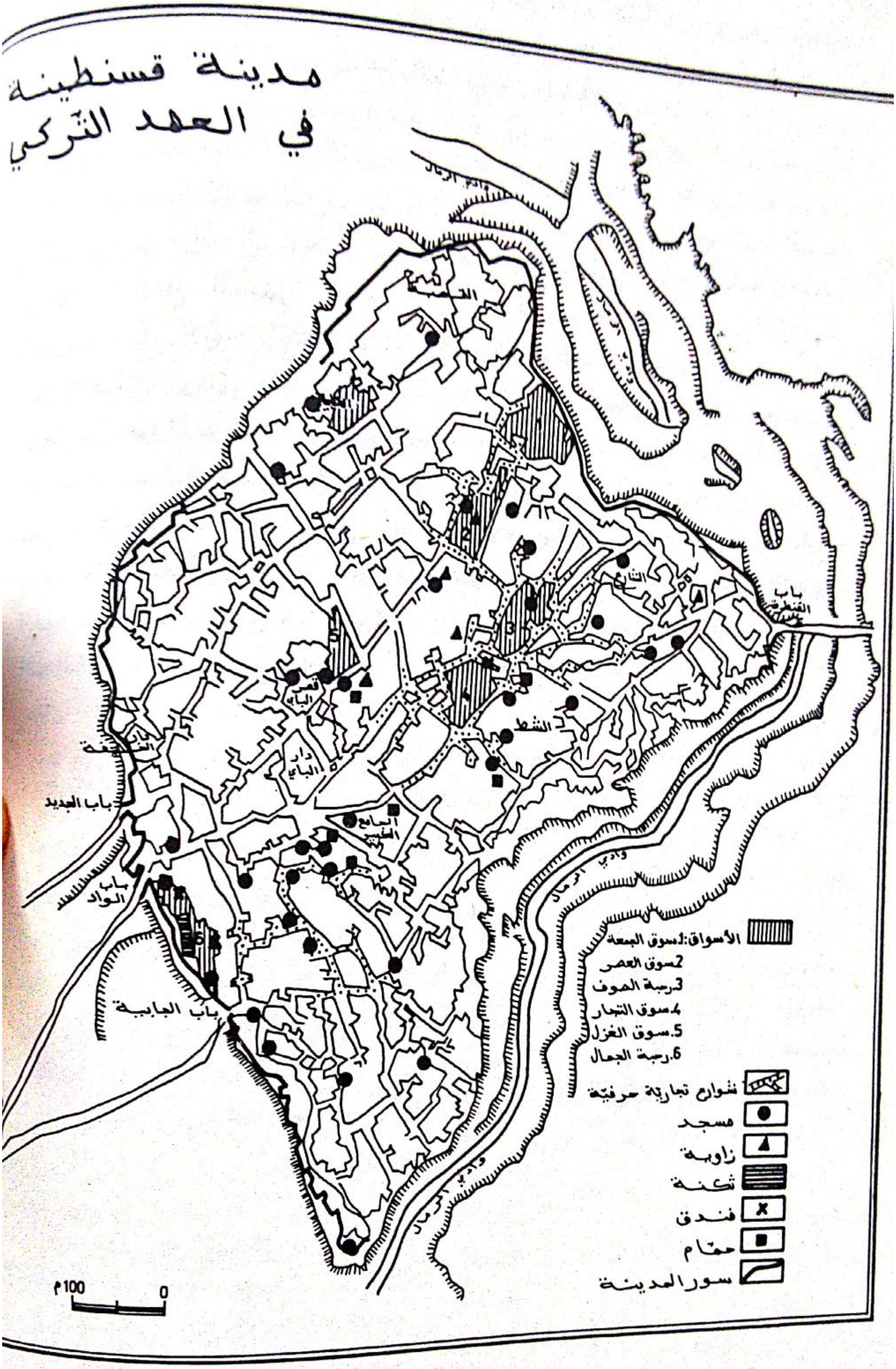
مدينة قسنطينة في العهد التركي

القصبة
وادي الرمال
قصر الباي
دار الباي
الجامع الكبير
الشارع
الشط
باب القنطرة
باب الجديد
باب الواد
باب الجابية
وادي الرمال
وادي الرمال
الأسواق: 1.سوق الجمعة
2.سوق العصر
3.رحبة الصوف
4.سوق التجار
5.سوق الغزل
6.رحبة الجمال
شوارع تجارية حرفية
● مسجد
▲ زاوية
▤ ثكنة
✗ فندق
■ حمام
سور المدينة
100م
0

ومن تحليل وثائق الحملة الفرنسية على المدينة (٣٣)، وكتابات عدد من المؤرخين كمرسى وبيرتى يمكننا التمييز بين أربعة أقسام رئيسية فى مخطط قسنطينة التركية. وهى القصبة، الحي العسكرى فى شمال شرق المدينة، محصورة بين الاسوار بين باب القنطرة والباب الجديد فوق الصخور المطلة على الجزء الاكبر من المدينة على ارتفاع ٦٣١م فوق سطح البحر (حوالى ١٠٠ متر فوق أعماق الوادى) في انحدار راسي سحيق، وهي عبارة عن بناء قديم فى شكل قلعة صغيرة محصنة، تستعمل بمثابة ثكنة للحامية التركية. وحي الطابية وهو الحي الرسمى الذى يضم القصر والمسجد الرئيسى في الشمال الغربي للمدينة، ثم حي القنطرة وهو الحي السكني الذى تتركز به الفئات الميسورة من سكان المدينة وحارة اليهود فى الجنوب الشرقي للمدينة، وأخيرا حي باب الجابية وهو المخصص للفئات المتوسطة والفقيرة في الجنوب الغربى للمدينة (شكل رقم ١٦). كما يتضح ان قسنطينة كانت بها ساحات عمومية عديدة تطلق عليها أسماء متميزة وهي عادة ما تضم مسجدا وسوقا ومحلات الحرف والادارة. وترتبط هذه الاقسام الرئيسية الاربعة والتى تشكل فى الواقع وحدات قائمة بذاتها ليس لها حدود واضحة بل تتداخل في بعضها، بشبكة من الشوارع الضيقة والمتعرجة.

وكانت المدينة نظيفة ومساكنها منظمة تتميز بطابع معمارى خاص. كما يذكر لنا ذلك المؤرخ الفرنسي دو فوازان فى مذكراته عن احتلال قسنطينة قائلا "ان نظافة كبيرة كانت تميز المنازل والشوارع، وقسنطينة ككل المدن الاسلامية تحمل طابعا معماريا متميزا ولونا محليا خاصا لا تستطيع المدن الاوروبية أن تضاهية" (٣٤) كما يذكر الضابط الفرنسي هيبوليت (٣٥) " بأن المساجد كانت جميلة ومزينة بالرخام الجيد، والثكنات كبيرة، والاسواق رحبة، والمخازن ضخمة، وهناك قصر الباى الواقع وسط المدينة تتوسطه شجرة السرول الضخمة التي هي بمثابة سارية للعلم. وهو يتميز بقرميده الاخضر وببيوته الكبيرة المتصلة بعضها ببعض. ولا يوجد داخل المدينة الا القليل من صهاريج المياه، ولهذا يتزود السكان بالماء من الوادى، الذى يمكن الوصول اليه خارج أسوار باب الجابية بوساطة ممر. وهناك العديد من المجارى والعيون المتوفرة في الجهات القريبة من قسنطينة، كما تذكر تقارير الحملة الفرنسية من جهة ثانية أن المدينة كان بها

---

(33) Gouvernement Général. Centenaire de la prise de Constantine. Constantine 1937, p. 15-28.

(34) Devoisins: Mémoires de la Campagne de Constantine, Constantine 1903, p. 72.

(٣٥) ناصر الدين سعيدونى ــ مرجع سابق ص ١٢ ــ ١٦.

الكثير من مخازن الحبوب والاصواف والزيوت، وأن مطاحن القمح تقع على ضفة وادي الرمال، وان حطب التسخين وخاصة خشب البناء كان نادرا جدا وهذا ما جعل السكان يستعملون الفحم فى أغراضهم كما يذكرون وجود عدد من مصانع الاسلحة والبارود المصنوع من ملح البارود المتوفر بالمغاور القريبة من المدينة.

خامسا ـ التطور العمراني لمدينة قسنطينة في العصر الحديث :

بقيت مدينة قسنطينة طوال الفترة التركية وخلال السنوات الاولى من الاحتلال الفرنسي، لا تغطى سوى الرقعة المحصورة بين الاسوار، وهي تتفق مع الحدود الطبيعية للصخرة التى تقوم عليها. وكانت قسنطينة في أواخر العهد التركى وبداية الاحتلال الفرنسي، في وضع اقتصادى متدهور، بعد أن عاشت فترة طويلة من الرخاء والازدهار، حيث تميزت هذه الفترة بالذات (١٨٠٤ ـ ١٨٣٨) بتصارع أصحاب السلطة فيما بينهم وظهور العديد من الثورات، التي عملت الى جانب استفحال القحط في اقليم المدينة الى ظهور المجاعات، ونزوح سكان الارياف الى المدينة. ويذكر المؤرخ صالح العنترى(٣٦) هذه الفترة بقوله "لقد أدت مجاعة ١٨٠٨ والتى استمرت سنتين كاملتين الى زحف الفلاحين نحو قسنطينة جماعات ووحدانا، نساء ورجالا، فالطرق بهم ممتلئة يمينا وشمالا، وجوههم مقشعرة بالية، وأرجلهم حافية وظهورهم عارية". وظهرت بالمدينة الاوبئة والامراض وخاصة الكوليرا والتفيس. كما تميزت هذه الفترة بتقلب أوضاع الملكية في المدينة، بعد أن باع السكان العرب أملاكهم العقارية وأراضيهم تحت الضغوط المختلفة التي أحاطت بهم، ومنها تراكم الديون وارتفاع الضرائب، مما فسح المجال أمام التجار اليهود والفرنسيين لاستنزاف الثروات والاستيلاء على الاملاك.

كما أن الاحتلال الفرنسي للمدينة قضى على التوازن التقليدى الذى كان موجودا بين السلطات الحاكمة التي تعاقبت على المدينة وبين سكانها وأشرافها، واستبدلت به حكما عسكريا صارما. كما كان من نتائج هذا الاحتلال الذى تم سنة ١٨٣٧ القضاء على الصناعات التقليدية التي كانت تشكل محور النشاطات الاقتصادية بالمدينة، نتيجة عدم قدرتها على منافسة منتجات الصناعة الاوروبية الحديثة، فأدى ذلك الى تفشي ظاهرة البطالة بين السكان العرب. ومن جهة أخرى طرح قدوم المعمرين وجيوش الاحتلال لاول مرة في تاريخ المدينة مشكلة السكن والمرافق. وهذا أدى بدوره الى ظهور الكثافات العالية والتزاحم الشديد،

---

(٣٦) صالح العنترى "مجاعات قسنطينة" تحقيق رابح بونار ، الجزائر ١٩٧٤ ص ٨ ـ ١١ .

بحيث اهتزت الحياة الحصرية في المدينة من اساسها. وهكذا دخلت المدينة بعد انتهاء الحملة الفرنسية، وفقا لتصنيف جمال حمدان لفترات تاريخ حياة المدينة، المرحلة الثانية من تاريخها وهى المرحلة التكوينية. اما المرحلة السابقة فهى المرحلة النووية. وهذه المرحلة الثانية نمت فيها قسنطينة اكثر مما نمت طوال السنوات العديدة. منذ نشأتها، حيث خرج العمران خارج حدود النواد القديمة، وبدأ التوسع على حساب الاراضي الزراعية، لبناء الاحياء الجديدة، بعد ان عاشت طيلة فترة انشائها وحتى الاحتلال الفرنسي داخل الاسوار الممتدة هلى طول الحدود الطبيعية للصخرة الموضع الاصلى. ويعنى هذا ان النمو الحصرى لمدينة قسنطينة فى العصر الحديث اتجه الى الاطراد فى معدله بنسب تفوق الى حد بعيد معدل نموها في القرون السابقة.

وبالاعتماد على الخرائط الكروكية للحملة الفرنسية على المدينة والخرائط المساحية والصور الجوية، يمكننا تحديد المعالم الاساسية والخطوط الرئيسية للنمو الحصرى للمدينة فى العصر الحديث ابتداء من سنة ١٨٣٧ حتى يومنا هذا في ثلاثة مراحل رئيسية هى :

المرحلة الاولى ـ وتشمل نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع وبداية امتداد العمران خارج سور المدينة القديم، وهو ما يصادف السنوات الاولى لاحتلال الفرنسيين للمدينة.

المرحلة الثانية ـ وهي الفترة المحصورة بين الحربين العالميتين حتى سنة ١٩٣٧، وهي فترة ازدهار المدينة، ودخول التخطيط شبه المنظم لامتداد عمران المدينة.

المرحلة الثالثة والاخيرة ـ وهي المرحلة الانفجارية في تاريخ حياة المدينة حسب تصنيف جمال حمدان، وتمتد بين ١٩٣٧ و ١٩٧٧ وهي مرحلة البناء الحديث، توسعت فيها قسنطينة توسعا لا مثيل له في اطوارها التاريخية السابقة.

وعلى اساس هذا التقسيم، تمكن الباحث من تتبع مراحل النمو الحضرى للمدينة، معتمدا في ذلك على عدد من الخرائط والصور الجوية لفترات متفاوتة، وبنى على ضوئها وعلى ما جاء في بعض المصادر العلمية لكتاب اجانب تحليلاته لهذه الظاهرة.

١ ـ المرحلة الاولى :

بالاعتماد على الخريطة التي وضعها الضابط الفرنسي هيبوليت (شكل رقم ١٧) وهي الخريطة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها في تحديد صورة

المدينة فى السنوات الاولى للاحتلال وخرائط هيئة الاركان التى وضعت بعد الاحتلال ، ومن تحليل المعلومات التى جاءت فى بعض كتابات الرحالة الاجانب الذين كتبوا عن الحياة العمرانية للمدينة. يمكننا استخلاص اهم التغيرات التى وقعت على النسيج العمرانى لقسنطينة ابتداء من سنة ١٨٣٧ وحتى بداية القرن التاسع عشر، والتى تميزت بتركيز واضح فى ميدان الانشاءات العسكرية. حيث قام الفرنسيون بتهديم القصبة وتحويلها الى ثكنة عسكرية على مساحة ٥ هكتارات عام ١٨٤٠، وكان لبناء هذه الثكنة اثر فى اجتذاب السكان الاوروبيين حولها نظر التوفر عامل الامن والحماية من جهة ، وبحثا عن فرص الربح عن طريق التعامل مع الجيش من جهة اخرى. الامر الذى ادى فى النهاية الى تحويل منطقة القصبة، التى كانت فى العهد التركى منطقة اقامة السلطات الحاكمة ، الى حى أوروبى ، يضم لاول مرة مبانى مركبة ذات عدة طوابق لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المعمرين الجدد الذين بلغ عددهم سنة ١٨٤٢ حوالى ٦١٥ أوربيا بالاضافة الى افراد القوات المسلحة (٣٧).

وكانت هذه المبانى المركبة أولى سمات العمران الحديث بالمدينة، وان كانت تمت على حساب السكان المحليين الذين طردوا الى الجهات الجنوبية للمدينة المتميزة بصعوبة طوبغرافيتها ، الشيء الذى زاد فى كثافة وازدحام هذا الجزء. وبدات لاول مرة تظهر الاكواخ والاعشاش على مشارف وادى الرمال. والواقع أن المقاومة العنيفة التى قوبلت بها الحملة الفرنسية على المدينة، كان لها انعكاس كبير على نموها. فقد قسمت سلطات الاحتلال بمقتضى قانون ٩ يونيو ١٨٤٤، المدينة الى قسمين: قسم مخصص للسكان المحليين يخضع للادارة العسكرية، وقسم مخصص للمعمرين تتم ادارته طبقا للتشريعات الخاضعة للحكم المدنى الفرنسى، كما نص هذا القانون الذى يظهر مدى التعسف الاستعمارى على منع اقامة وحق التملك للسكان المحليين فى القسم المخصص للمعمرين، وهكذا وبعد مصادرة أملاك السكان في القسم الذى خصصته سلطات الاحتلال للمعمرين، شرعت فى جملة من الاشغال الكبرى، حيث أعيد بناء الاسوار ورصفت بالقرب منها مناطق لتحركات الجيش، كما شق شارع جديد بحى الطابية هو شارع سوزى الحالي، الى جانب شبكة من الطرق العصرية تتجه كلها الى ساحة لا بريش عند المدخل الرئيسي للمدينة بباب الوادى كما أحيطت ثكنة القصبة بأسوار عالية ومنتظمة، وتم تهديم كل المساكن المجاورة لبناء المستشفى العسكرى والسجن الحربي والمحكمة العسكرية. كما أن احتياجات التوسع الاستعمارى دفعت سلطات الاحتلال

---

(37) Gouvernement Général de l'Algérie, op. cit., p. 92.

الى شق أهم وأطول الطرق العصرية بالمدينة يربط بين المدخلين الرئيسيين لها، وهو شارع جورج كليمنصو (ابن المهيدى حاليا) ليصل بين ساحة لابريش وباب القنطرة التى بنى بجوارها مخزن للحبوب، وبدأ التفكير فيها لاقامة محطة للسكة الحديدية.

وهكذا وفى سنة ١٨٤٧ أصبح مخطط قسنطينة يبرز مجموعة من المعالم العمرانية لم تكن موجودة فى المخطط الاول عندما وضع القبطان هيبوليت خريطته للمدينة، رغم أن المدة التى تفصل بين التاريخين لا تزيد على ١٠ سنوات. حيث يلاحظ بروز كتلة سكنية جديدة هى الحى الاوروبى الذى أقيم فى منطقة القصبة، ببناياتها الحديثة التى تشير بوضوح الى تأثيرات العمران الاوروبى، وكتلة سكنية قديمة، هى الجزء المخصص للسكان المحليين والذى احتفظ بطابعه المورفولوجى للعهد التركى بشوارعه وحاراته التقليدية التى تنضح بروح الشرق، حيث الاسواق الشعبية والدروب الملتوية.

وكان الحى الاوروبى يغطى مساحة ١٥ هكتارا، منها خمس هكتارات مخصصة للثكنة العسكرية، والحى العربى يحتل أيضا ١٥ هكتارا من ضمنها ٤ هكتارات مخصصة لحارة اليهود وبينما كان الحى الاوروبى يسكنه حوالى ٨٤٠ نسمة (باستثناء أفراد الجيش) كان الحى العربى يكتظ بحوالى ١٥٥٥٠ نسمة، منها ٣١٠٥ يهودى (٣٨).

ويذكر شيفى (٣٩) أن قسنطينة التي كانت تنحصر عام ١٨٤٤ داخل حدودها الطبيعية، بدأت تمتد خارج الاسوار، حيث شرع فى بناء حى القديس جان بعد أن تقرر مسح تل الكودياء في غرب المدينة وتسوية التلال المجاورة لها، فى الوقت الذى بدأت فيه عمليات بناء محطة السكة الحديدية، تنطلق بباب القنطرة، الى جانب عدد من المساكن المخصصة للعمال، كما شرعت سلطات الاحتلال أيضا في اقامة سلسلة من المبانى العمومية أهمها دار الولاية عام ١٨٤٩ والبلدية ١٨٥٤، كما أعيد بناء جسر القنطرة عام ١٨٦٤، احتفالا بزيارة امبراطور فرنسا لقسنطينة والتي كانت مناسبة لاتخاذ قرارات هامة وحاسمة أثرت في نمو المدينة وتطورها بعد ان تم اختيارها عاصمة اقليم الشرق الجزائري، الذى يأتي في المرتبة الثانية من حيث المساحة بعد اقليم الصحراء، والمرتبة الاولى من حيث عدد

---

(38) Gouvernement Général de l'Algérie. Annuaire Statistique, Constantine 1850, p. 28.

(39) Chive J. Le développement Urbain de Constantine. Constantine 1937, p. 16.

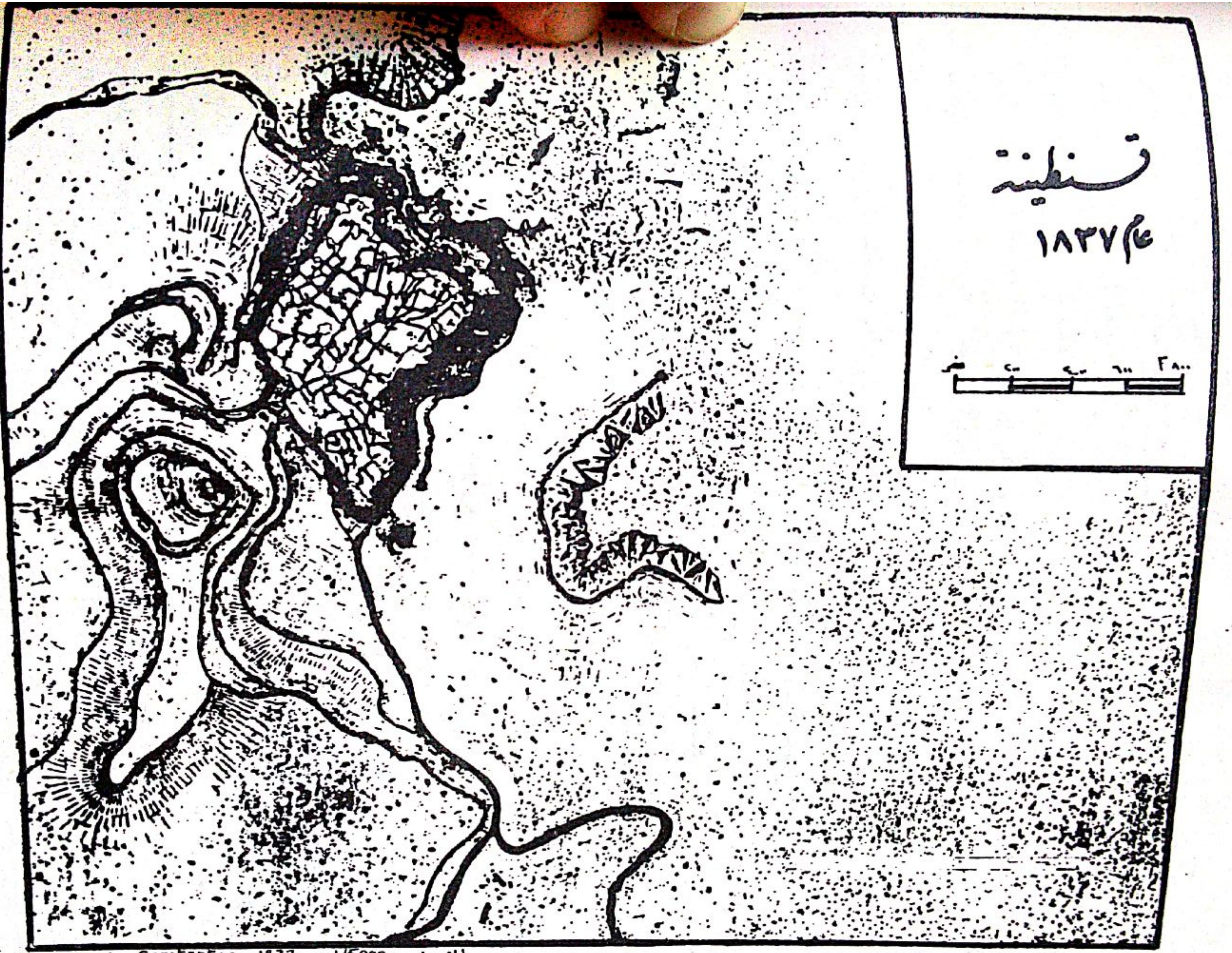
قسنطينة
١٨٣٧م
صفر
٢٠٠
٤٠٠
٦٠٠
٨٠٠م

المصدر C.A. 01 Constantine 1837. 1/5000

شكل "١٧"

السكان. وهكذا شرع في تشجير هضبة المنصورة الجرداء، والتى شكلت الى جانب عمليات تشجير جبل الوحش سنة ١٨٤٦ والميج ١٨٥٧ أول محاولة لاحاطة المدينة بحزام أخضر. وفي سنة ١٨٧٠ تم تدشين الخط الحديدى قسنطينة ـ سكيكدة الذى يربط المدينة بالساحل، بالاضافة الى الانتهاء من أشغال انشاء قناة نقل المياه من منابع فزفية للمدينة.

والجدير بالملاحظة أن لامتداد النفوذ الاستعمارى في بقية الاراضي الجزائرية، واكمال السيطرة على الصحراء، وتطور وسائل النقل والاتصال التي أقامها الجيش الفرنسي، أثر كبير وواضح على تنشيط التجارة والاقتصاد بالمدينة من جهة، وعلى زيادة واتساع حجمها العمراني والسكاني، بعد أن تحولت الى مركز استقطاب كبير في الاقليم، وقد بلغ عدد سكانها عام ١٨٦٦ حوالي ٣٧٠٢٦ نسمة، منهم ١٠٣٦ أوربيا و ٢٢٢٧٠ جزائريا و ٤٣٩٦ يهوديا (٤٠).

وهكذا يمكن القول بأن أهم ما يسترعى نظر الباحث في تطور قسنطينة في هذه المرحلة الاولى، هو جمعها بين القديم والجديد في نفس الوقت، بحيث يمكن التمييز داخلها بين مدينتين متباينتين في تركيبهما المورفولوجي والاجتماعي والسكاني، وهما المدينة أو الحي الاروبي والمدينة أو الحي العربي. وظاهرة الازدواجية هذه، من الظواهر الخاصة بالمدن التى عانت من الاستعمار ومن صور الاستغلال، وهي ظاهرة تكاد تكون عامة في كل المدن الجزائرية القديمة ومدن المغرب العربي. كما يلاحظ أن هذا التقسيم الذى جاء نتيجة لامر عسكرى تعسفي أدى الى فصل المدينة قسمين، بينهما شارع جورج كليمنصو الذى يشكل منطقة الحدود بينهما. كما يلاحظ أيضا ارتفاع المساحة المخصصة للمباني العسكرية التي تبلغ حوالي ثلث المساحة المعمورة. بالاضافة الى أن العمران خرج لاول مرة في تاريخ المدينة وبصفة حاسمة خارج أسوارها التقليدية.

٢ ـ المرحلة الثانية :

وهي المرحلة التي تمتد بين الحربين العالميتين حتى سنة ١٩٣٧ والتي يمكن أن نلاحظ فيها تطور مدينة قسنطينة بعد ١٠٤ عام من الاحتلال الفرنسي، وبمقارنة الاشكال رقم ١٨/١٩ يتضح لنا ما يلي :

---

(40) Gouvernement Général de l'Algérie, op. cit., p. 39.

١ – امتدت حركة العمران فى اتجاهين رئيسيين هما الاتجاه الشرقى والاتجاه الغربى ، حيث اصبح مخطط المدينة عبارة عن نواة هي المدينة القديمة ، تمتد فى فلكها وبشكل هلالى الاحياء الجديدة ، حيث زادت مساحة السكن في حي القديس جان الذى كان يشكل الحى الوحيد خارج المدينة القديمة حتى سنة ١٨٧٣ ، بينما تظهر خريطة ١٩١٩ حيا جديدا في غرب المدينة القديمة هو حي المنظر الجميل على مساحة ٤٠ هكتارا . وفى شرق المدينة اقيم حى القنطرة على مساحة ٣٠ هكتارا بجوار غابة الصنوبر ومحطة السكة الحديدية . كما بدأت حركة البناء تلتهم اجزاء هامة من هضبة المنصورة التي تغطي مساحة ١٥٠ هكتارا ، وذلك لمجابهة حاجيات السكن المتزايدة للسكان الذين قدر عددهم عام ١٩١٩ بحوالي ٧٠ الف نسمة (٣٦٣٣٣ نسمة أوربيا و ٣٨٧٨٣ جزائريا) (٤١) . ويمكن القول أن هذه المرحلة تشكل مرحلة أساسية لنمو المدينة التي أصبحت من الناحية العسكرية والادارية عاصمة اقليمية هامة تدعم مركزها الاقتصادى بعد أن أصبحت تضم أهم مخزن للحبوب بالشرق الجزائرى وأهم مراكز صناعة النسيج التي كان نفوذها يصل حتى تونس وفرنسا ، كما أن السكك الحديدية والطرق البرية أكدت هذه النهضة وزادتها قوة ونفوذا ، الى جانب بناء المطاحن والمصانع التي بدأت ترسم أول معالم الخريطة الصناعية للمدينة .

٢ – بالنسبة لشبكة الطرق ، تم بناء جسور جديدة لربط النواة القديمة بالاحياء السكنية الجديدة ، كجسر سيدى راشد وسيدى مسيد سنة ١٩١٢ ، كما أزيلت الاسوار المحيطة بالمدينة القديمة وتم تعويضها بكورنيش واسع يطوق المدينة القديمة من كل جوانبها ، بالاضافة الى جسر الشلالات الذى يصل المدينة بسيدى مسيد والحامة والمسبح الاولمبي ، وجسر بيريغو الذى يربط مركز المدينة بمحطة السكة الحديدية وحي فالباني الجديد (حوالي ٥ هكتار) كما ظهرت شبكة من الطرق التي تربط الاحياء الجديدة بعضها ببعض بالاضافة الى الطرق الرابطة بين المدينة واقليمها .

---

(41) Chive J. op. cit., p. 10.

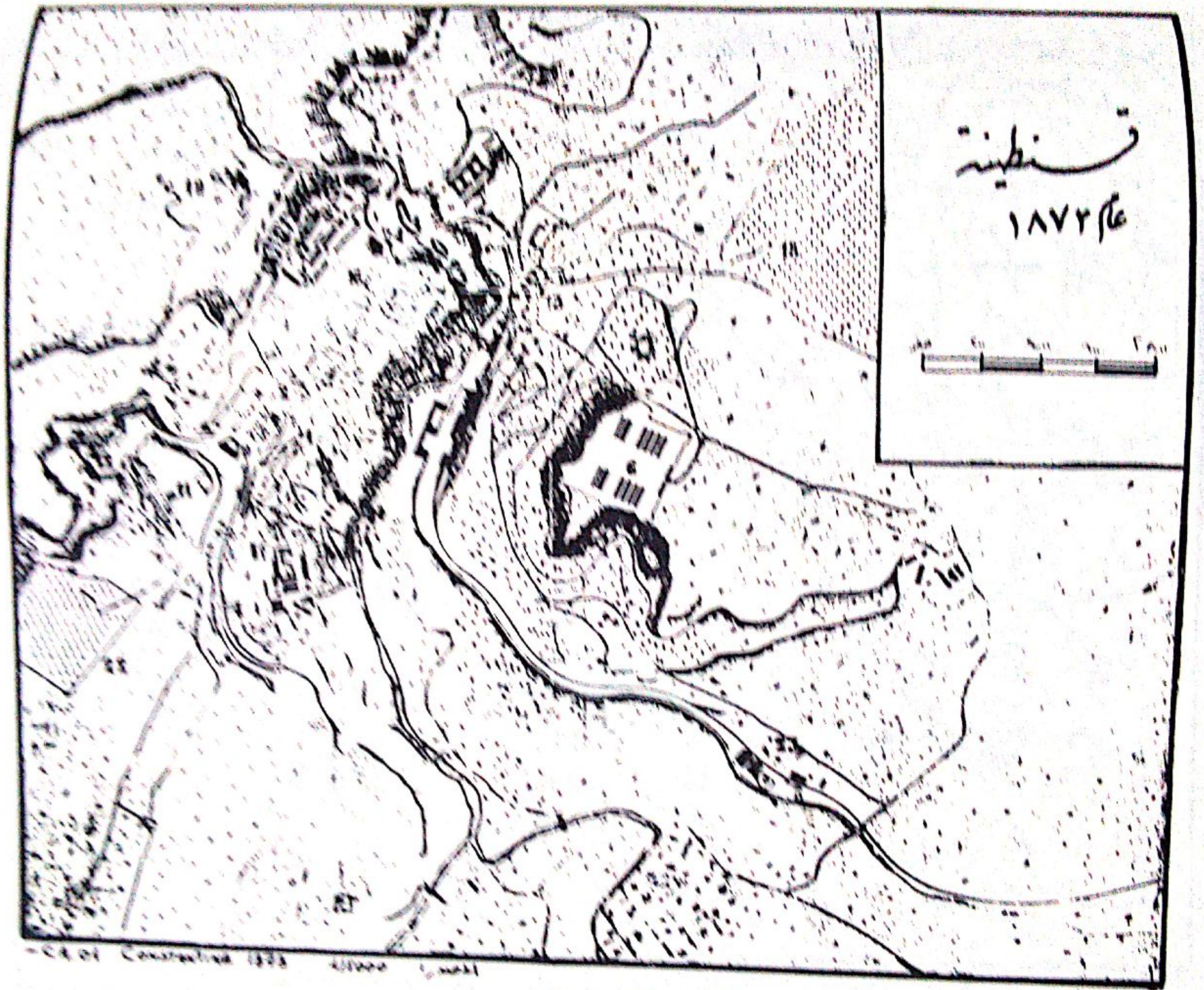
قسنطينة
عام ١٨٧٢

المصدر [illegible] C.A. of Constantine 1873

شكل "١٨"

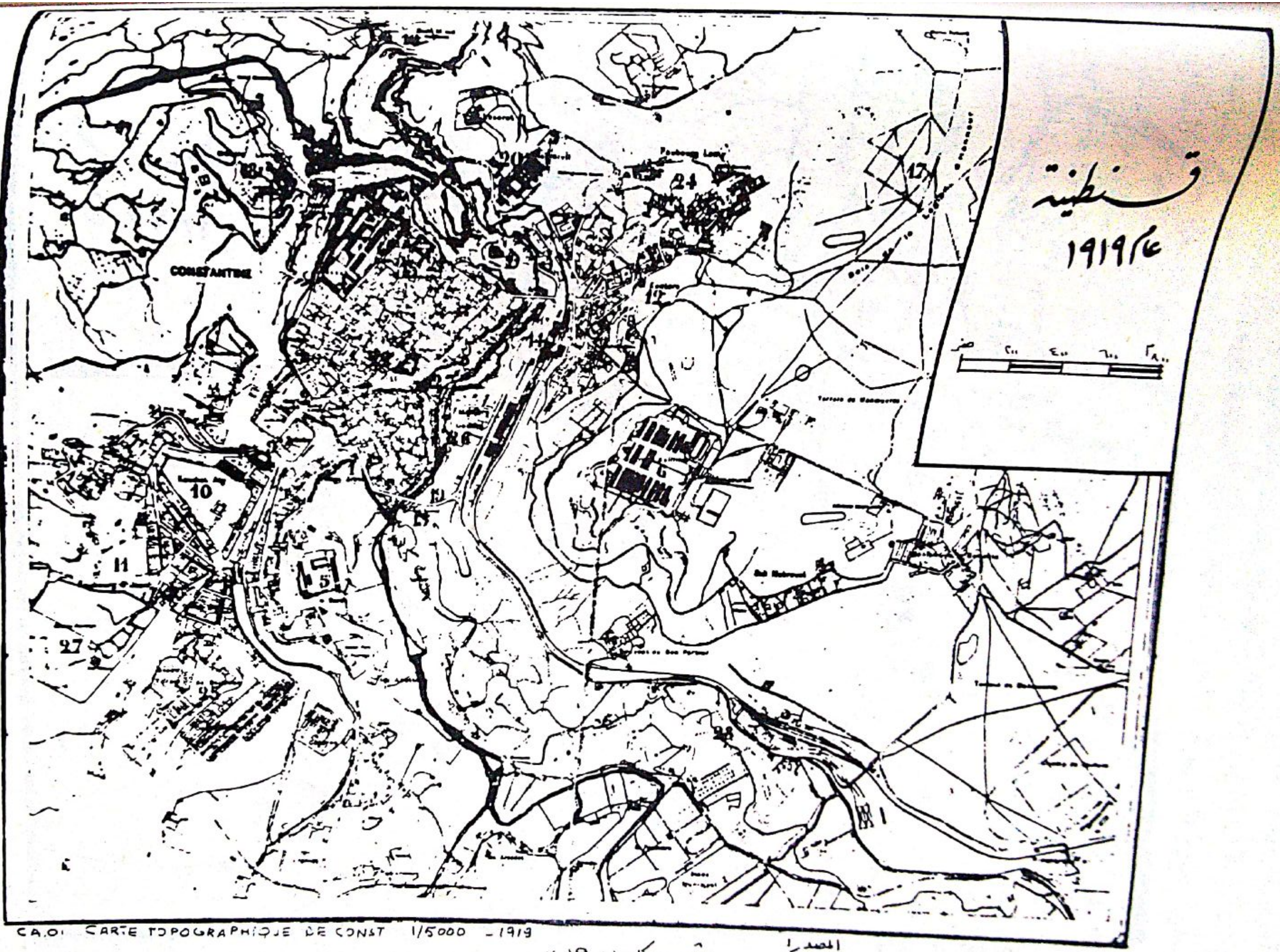
قسنطينة
١٩١٩م
صفر ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ م٨٠٠
CONSTANTINE
24
17
10
11
5
27

المصدر: C.A.O.I CARTE TOPOGRAPHIQUE DE CONST 1/5000 - 1919

شكل «١٩»

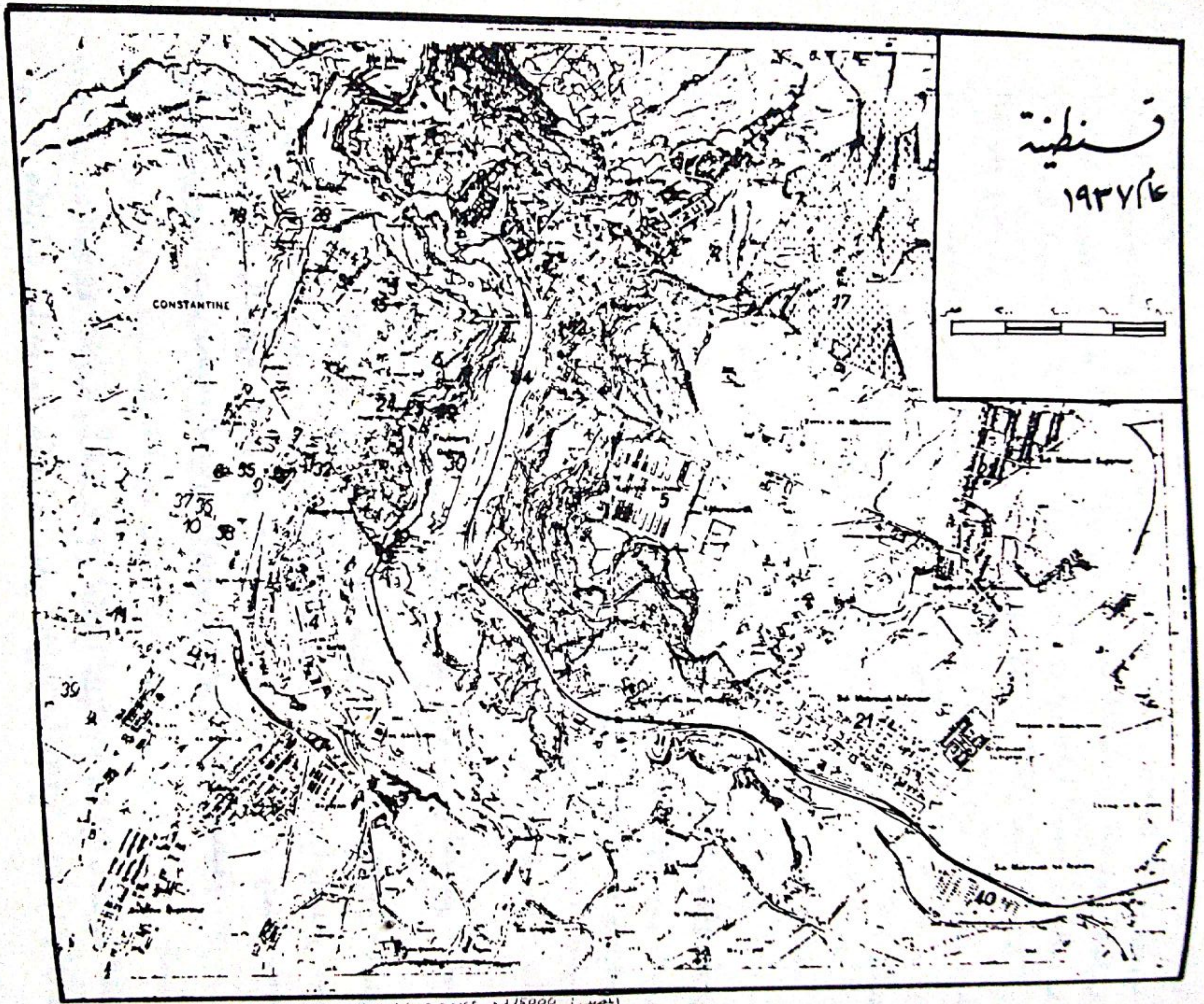
قسنطينة
عام ١٩٣٧
CONSTANTINE
5
17
21
24
28
30
35
37
38
39
40

المصدر : C.R. 01 CARTE TOPOGRAPHIQUE DE CONST. 1/5000 -

شكل "٢٠"

٣ ــ بالنسبة للاستخدامات الاخرى يلاحظ تخصيص حي سيدى مبروك للسكن العسكرى. كما يلاحظ أن تل الكودياء (٦هكتار) تحول الى منطقة عصرية تضم أهم المبانى الادارية للمدينة العاصمة الاقليمية. وذلك بعد بناء الجامعة الشعبية ودار النقابة ودار الفلاحة والقصر القنصلى ودار الطفولة ومتحف المدينة، وقصر العدالة ومركز البريد. كما تم بناء عدد كبير من المؤسسات التعليمية والثقافية اهمها الكوليج البلدى والمعهد الموسيقى وثانوية للذكور وأخرى للاناث ومدرسة للثقافة العربية، وعدد كبير من المدارس التابعة للمنظمات الدينية الاسلامية والمسيحية واليهودية. كما تم بناء المعبد اليهودى فى حارة اليهود وسط المدينة القديمة وتحويل مسجد قصر الباى الى كنيسة، كما تم انجاز مقبرة مسيحية عند مخرج تل الكودياء بجوار المقبرة الاسلامية، وأنشأ شارع عريض (١٨ متر) يربط بين تل الكودياء وساحة لابريش على جانبيه حديقتان، وأقيم سطح واسع يستند الى صوامع من الاسمنت المسلح بساحة لابريش يطل على سهل الحامة وتحته بني السوق المركزى للمدينة.

٤ ــ ازداد عدد سكان المدينة في هذه الفترة زيادة كبيرة حتى وصل عددهم عام ١٩٣٧ حوالي ١١٤٠٠٠ نسمة. يسكنون ما يزيد عن ٤٠٠٠ مسكن، وبها ما يزيد عن ٨٠ كلم من الطرق المعبدة، وتغطي مساحة ٢٦٩ هكتارا مقابل ٣٠ هكتارا فقط عام ١٨٣٧(٤٢).

وهكذا يمكننا أن نميز في مخطط قسنطينة سنة ١٩٣٧ بين العناصر التاليـة:

أ ــ المدينة الاوروبية ومساحتها ١٢٥ هكتارا منها ١٠ هكتارات بالمدينة القديمة و ٢٢ هكتارا بحي جان و ٦ هكتارات بالكودياء و ٤٠ هكتارا بالمنظر الجميل و ٣١ هكتارا بالقنطرة ولامـي و ١٦ هكتارا بسيدى مبروك، وتمتاز بطابعها المورفولوجي المتميز بطابعه المعمارى الاوروبي وطرقه الواسعة المنظمة.

ب ــ المدينة العربية ومساحتها ٤٢ هكتارا منها ١٢ هكتارا بالمدينة القديمة و ١٠ هكتارات بباردو و٦ هكتارات بسان جان و ٥ هكتارات بجسر أومال و ٥

---

(42) Chive J. op. cit., p. 22.

هكتارات بسيدى مبروك وهكتارا واحدا بحي لالوم. وتمتاز بطابعها المورفولوجي المتداخل بين الطابع العربي والاوروبي. وطرقها الملتوية المتعرجة وكثافتها العالية.

جـ- المدينة العسكرية ومساحتها ٦٠ هكتارا.

وخلاصة القول أن نمو المدينة في هذه المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية تميزت بحيوية خاصة، وهي نفس الحيوية التي ميزت عملية اعادة بناء المدن الاوروبية بعد الحرب، والتي عرفت فيها المدن الفرنسية والجزائرية بصفة عامة معدلات نمو تفوق الى حد بعيد معدلات نموها في القرون السابقة، كما تميزت هذه المرحلة أيضا بجملة من العوامل ساهمت بدورها في هذا النمو الكبير، أهمها التطور التجارى والصناعي للمدينة التي أصبحت تظهر نشاطات متنوعة وعديدة، أدى بطبيعة اشعاعها كعاصمة لاقليم هام الى تطور تجارة الجملة وخاصة في الحبوب والمنسوجات والسيارات والالات الفلاحية والمواد الغذائية، بينما بدأت الصناعة تشهد ازدهارا حيث بلغ عدد المشتغلين بالمطاحن حوالي ٣٠٠ عامل الى جانب عدد من مصانع العجين والجلد والحديد والنحاس وبعض المحاجر لصناعة مواد البناء في ضواحي المدينة، وأخيرا ورشة ميكانيكية تابعة لمحطة السكة الحديدية بسيدى مبروك. كما مارس النشاط الادارى والسياسي للمدينة دورا فعالا في النمو الحضرى بسبب تركز مقار الحكم والادارة الاقليمية بالمدينة، والذى استلزم بالضرورة قيام أنشطة أخرى تقوم على خدمتها، وأعطاها ذلك القدر من الهيبة والقدرة على الجذب وزاد من أهميتها الحيوية والاستراتيجية.

وكل هذه العوامل دعت الى تنظيم جديد لهياكل الحياة الحضرية كمرافق الحياه والانارة والمجارى، فتم بناء شبكة من القنوات يزيد طولها عن ٤٢ كلم لربط منابع بومرزوق بالمدينة واقامة عدد من الخزانات. ووضع شبكة للمجارى خاصة في الاحياء الحديثة وانارتها.

٣ ـ المرحلة الثالثة :

وهي المرحلة المحصورة بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٧٧ شكل ٢٢ والتي شهدت فيها قسنطينة نموا وازدهارا كبيرين. فقد امتد العمران باتجاه الشرق والجنوب الغربي، ليغطي كل الاراضي الفضاء، وعلى امتداد محاور النقل التي تربط المدينة بكل من الخروب وسطيف. وتتميز بداية هذه المرحلة باستقرار الوضع السياسي واستتباب الامن المدني في قسنطينة، ودخول المدينة خطة منظمة، اكتملت فيها أجزاء الحدود للمرحلة السابقة، وغزو بعض الاجزاء الشرقية والجنوبية الغربية من المدينة بينما بقيت الاجزاء الشمالية خالية من العمران ودون تغير في ملامحها بسبب العوائق الطبيعية المتمثلة في منخفض الحامة. أما نهاية هذه المرحلة فقد تميزت بطفرة واضحة فى الميدان الحضرى الذى ازداد تركزا وامتدادا، كما تم ملء معظم الفراغات العمرانية التى كانت متروكة ضمن جميع الحدود السابقة للمدينة، وادخال انماط جديدة للبناء واستخدام مواد مستحدثة كالاسمنت المسلح والخرسانة وتقنيات جديدة في البناء كالمساكن السابقة التجهيز، التي أصبحت تشكل أهم الملامح الحضرية لقسنطينة المعاصرة.

وهكذا رأى الباحث تقسيم هذه المرحلة الى طورين، واعتمد في التحليل على عدد من الخرائط والصور الجوية. وذلك لابراز أهمية الاحداث والتطورات الفجائية التي مرت بها المدينة. (شكل ٢١).

قسنطينة
١٩٧٧م

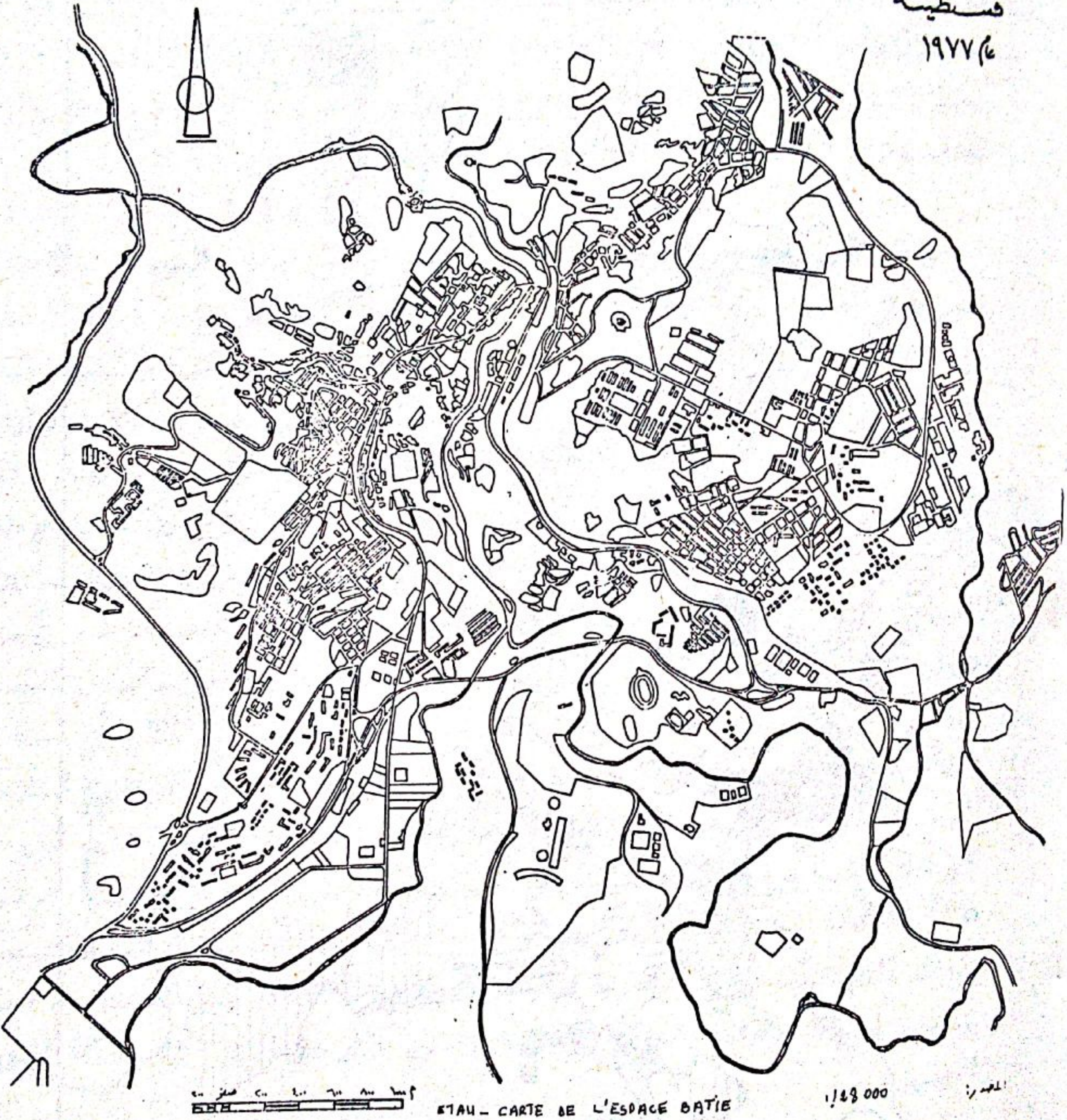

المصدر: ETAU_ CARTE DE L'ESPACE BATIE 1/18 000

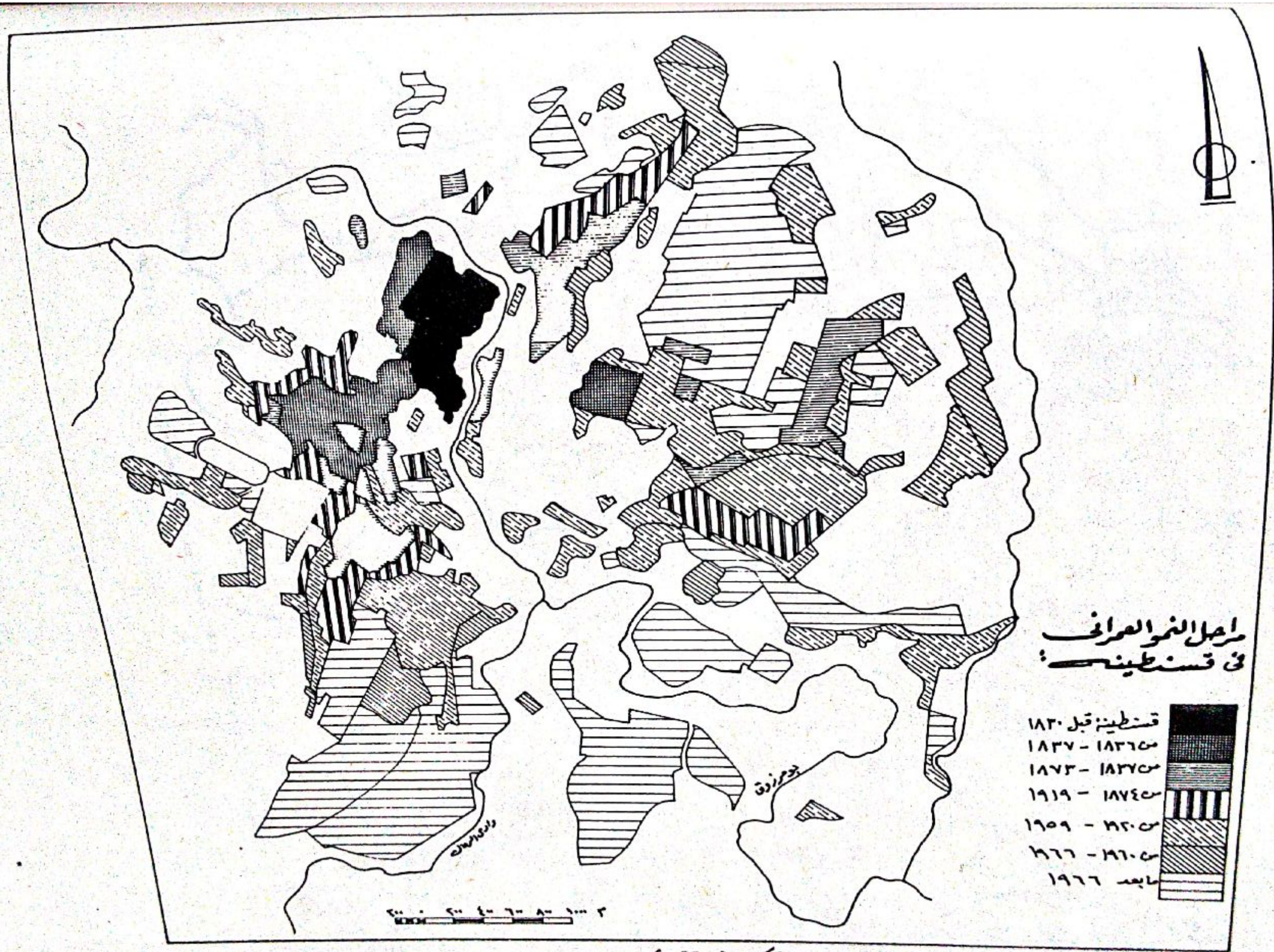
مراحل النمو العمراني
في قسنطينة
قسنطينة قبل ١٨٣٠
من ١٨٣٦ - ١٨٣٧
من ١٨٣٧ - ١٨٧٣
من ١٨٧٤ - ١٩١٩
من ١٩٢٠ - ١٩٥٩
من ١٩٦٠ - ١٩٦٦
مابعد ١٩٦٦
بومرزوق
وادي الرمال
٢٠٠ ٠ ٢٠٠ ٤٠٠ ٦٠٠ ٨٠٠ ١٠٠٠ م

شكل (٢٢)

١ ـ الطور الاول ـ وهو الذى يغطي الفترة من ١٩٣٧ الى ١٩٦٢ (سنة استقلال الجزائر) وفيه شهدت قسنطينة زيادة هامة في عدد السكان الذين قدرهم احصاء ١٩٥٤(٤٣) بحوالي ١٤٣ الف نسمة، وذلك بسبب الهجرة من الارياف الى المدينة نتيجة الحرب التحريرية وتحويل مناطق الشمال القسنطيني كله الى مناطق محرمة، اتبعت فيها سياسة الارض المحروقة. وقد ادى هذا النزوح الاجبارى الذى استقطبته قسنطينة بصفة أساسية لكونها اهم مدن الاقليم، الى ارتفاع هائل في عدد السكان الذين قدرتهم السلطات الفرنسية عام ١٩٦٠ بحوالي ٢٥٠٠٠٠ نسمة (٤٤) أى بزيادة قدرها ١٠٧٠٠٠ نسمة في أقل من ٦ سنوات بالمقارنة مع تعداد ١٩٥٤، وهو ما يعادل حوالي ٤٣/ من جملة سكان المدينة.

ولقد كان لهذه الزيادة السكانية تأثير واضح على التوسيع والامتداد السريعين اللذين شهدتهما قسنطينة في هذا الطور، حيث بدأت أحياء الصفيح في الظهور، وكان أولها في حي البئر على امتداد طريق قسنطينة سكيكدة والذى يضم حوالي ٧٠٠٠ نسمة بالاضافة الى الكلم الرابع على طريق باتنة قسنطينة، وعلى الاراضي الفضاء الواقعة بالشالي والمتمثلة وباردو والاقواس الرومانية، مشكلة بذلك أول حزام للبؤس يحيط بالمدينة. وفي مقابل ظاهرة أحياء الصفيح التي كانت تشكل جانبا من التطور الحضرى للمدينة، برزت ظاهرة بناء أحياء لعائلات الجيش الذين ارتفع عددهم بصفة كبيرة لمواجهة متطلبات الحرب. فتم تأسيس ديوان الكراء المعتدل H.L.M. الذى أنيطت له مهمة بناء حي بالمنظر الجميل يشتمل على ١٠ آلاف مسكن لايواء ٥٠ ألف نسمة (حوالي $\frac{١}{٥}$ سكان المدينة في ذلك الوقت) خصصت لها مساحة ١٣٥ هكتارا أقتطعت من الاراضي الفلاحية الممتدة على طريق سطيف قسنطينة سنة ١٩٤٧، كما تم تأسيس عدد كبير من الشركات التعاونية للبناء لمواجهة احتياجات السكن الضخمة وأهمها شركة (Astors. CFA التي قامت ببناء حي سكني يحمل اسمها عند مدخل هضبة المنصورة وكذلك الشركة التعاونية العقارية للقوات المسلحة Armaf التي شيدت ٣٠٠ سكن بسيدى مبروك خصصت لقوات الشرطة والامن الفرنسي، و ٢٢٠ مسكنا للحرس الجمهورى.

---

(43) Gouvernement Général de l'Algérie. Annuaire Statistique, Alger 1938, p. 12.

(44) Gouvernement Général de l'Algérie, Annuaire Statistique, Alger 1961, p. 51.

كما تم بناء عدد من الاحياء السكنية من النوع المسمى بالاقتصادى خصصت للسكان المحليين فى حي الحطابية على مساحة ٧ هكتارات تؤوى ٧٠ عائلة وحي امزيان البئر ١٠٠ عائلة، كما نشطت تعاونيات الجيش التي ركزت انشاءاتها فى سيدى مبروك، حيث شيدت في ١٩٥٦ ما يزيد عن ١٥٠٠ مسكن لعائلات الضباط والجنود. وبذلك بدات المباني المتعددة الادوار في الظهور حتى وصل ارتفاعها فى حي السيلوك الى ١٤ طابقا خلال الستينات.

ويلاحظ ان تطور الحياة العمرانية فى هذا الطور قد اكتمل في بعض المساحات الفضاء ضمن حدود المدينة السابقة، وتم تعميرها بمباني سكنية جديدة، وان التوسع الراسى بدأ يشكل أهم ملامح هذا التعمير، كما اكتمل العمران على طول المحاور الرئيسية للمواصلات، في اطار حركة استثنائية في ميدان البناء أدت الى خلق حيوية ديناميكية في الميدان الاقتصادى زادت من أهمية المدينة، وخاصة بعد اكتشاف آبار البترول في شرق الصحراء الجزائرية التابعة اداريا واقتصاديا لقسنطينة، والذى شكل دفعا حاسما لتطور المدينة ونموها، كما كان من نتائج هذا التحضر السريع أن توسعت الخدمات بمختلف أنواعها، كما تطورت التجارة والصناعة التي حدثت فيها عملية تكثيف واضحة لتلبية حاجيات حركة البناء وخدمة السكان. وأهم مؤشر لقوة وحيوية قطاع البناء في هذه الفترة التي تعتبر اخطر مرحلة في توسع المدينة وجود ما يربو عن ٣٤ مصنعا لمواد البناء بأنواعها المختلفة يشتغل بها حوالي ٩٧٦٠ عاملا و ٥٨٥ مقاولة لاشغال البناء، يعمل بها ما يزيد عن ١٠٠٥٠ عاملا بالاضافة الى ٣٢ شركة للاشغال الملحقة بالبناء (كالتسخين الصحي والكهرباء والنجارة والصباغة ...) (٤٥) والتي امتد نفوذها خارج حدود المدينة لبناء العديد من القرى في الظهير المباشر للمدينة.

كما تم في هذا الطور بناء محطة لتوليد الطاقة الكهربائية من الطاقة المائية على الشلالات الطبيعية لوادى الرمال عند سيدى مسيد، تنتج ١٨ مليون كيلواط ساعي، ومصنعا للغاز المخصص للاستهلاك المنزلي بباب القنطرة طاقته ٧ر٤٢٠ر٠٠٠ متر مكعب سنويا. كما شيدت مناطق الصناعة في القرى الجديدة القريبة من المدينة، في الخروب (١٢كلم) والحامة (٩كلم) بها عدد من

---

(45) Chambre de Commerce et d'Industrie de Constantine. Rapport Statistique Constantine 1959, p. 1-28.

الوحدات الانتاجية للمواد الغذائية والملابس، وتم انشاء مطار عين الباى الذى افتتح للملاحة الجوية عام ١٩٥٩ لربط قسنطينة واقليمها ببقية انحاء الجزائر وفرنسا.

وهكذا فان التوسع العمراني في هذا الطور سار في نفس الاتجاه الذى سارت عليه المرحلة السابقة وضمن خطة منظمة اكثر من سابقتها، ويتجلى ذلك من شكل رقم (٢٠) حيث تبدو المدينة كأنها خضعت في نموها لعمليات جديدة جعلتها تتمشى مع النمو العمراني الذى تسير عليه معظم المدن الاوروبية، حيث شهد الهيكل الحضرى توسعا خارجيا، وتغييرا كبيرا في المعالم الحضرية ضمن حدود المدينة السابقة من حيث الهدم واعادة البناء فى مركزها، وقد كان هذا التوسع العمراني امتدادا وتركيزا للتطور الذى بدأ في المرحلة السابقة حيث التحمت الاحياء التى نشأت فى المرحلة السابقة بالاحياء الجديدة، مشكلة جسما مدنيا متكاملا وناميا من أطرافه الخارجية، الى جانب ما نالته المدينة في داخلها من وضع شبكات المرافق. وأصبحت قسنطينة تعطى صورة مربع طول ضلعه ٥ كلم بداخله أحياء سكنية متمايزة من حيث أهميتها وقوتها، ومتباينة من حيث تركيبها ومورفولوجيتها.

وبذلك تكون قسنطينة غداة الاستقلال، تعطى صورة للتناقضات التي كانت سائدة فيها بفعل الاحتلال. والتي تم على أساسها تقسيم النطاق العمراني على أساس يكاد يكون عنصريا، حيث نجد من جهة الاحياء السكنية المركبة ذات الطابع العصرى في أحياء المنظر الجميل والسطوح ومدام روك وسيدى مبروك، وعددا من أحياء الفيلات بجوارها، وهى كلها مخصصة للسكان الاوروبيين وبعض اليهود، بها كل مستلزمات الحياة العصرية، ومن جهة ثانية احياء سكنية ذات طابع اقتصادى الى جوارها أحياء من العشش والصفيح وخاصة في الاطراف الشرقية والجنوبية للمدينة، يسكنها الجزائريون. وهي أحياء تكاد تنعدم فيها التجهيزات والمرافق الحضرية، وتفتقر لكل تنظيم عمراني.

وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن المجال الحضرى في قسنطينة منذ الاحتلال وحتى بداية الاستقلال قد تطور لصالح أقلية من المعمرين، من أجل تنفيذ استراتيجية استعمارية تستهدف تحويل المدينة الى رمز للدولة المستعمرة يتم من خلالها تحويل ثروات البلاد الى الميتروبول (فرنسا) ويتركز بها اكبر عدد ممكن من المعمرين ضمانا لتأكيد واستمرارية الوجود والسيطرة الاستعمارية.

ب ـ الطور الثانى ـ وهو الذى يغطي الفترة ١٩٦٢ و ١٩٧٧، ويتميز فى عقده الاول (١٩٦٢ – ١٩٦٩) بركود واضح فى ميدان البناء الذى اقتصر على انجاز بعض الانشاءات ذات الطابع العمومي، وظلت قسنطينة حتى بداية عام ١٩٦٣ مدينة متدهورة لكثرة ما تعرضت له مؤسساتها من حرق ونهب واختلاس بعد انسحاب المعمرين الذين خربوا كل ممتلكاتهم قبل مغادرة المدينة. ولقد واجهت قسنطينة فى هذه السنة وحتى سنة ١٩٦٥ صعوبات كبيرة نتيجة حركة التحضر المعمم والسريع الذى عرفته الجزائر بصفة عامة بعد الاستقلال بصفة لم تشهد له مثيلا فى تاريخها الطويل، والذى أدى الى اخلال التوازن الذى كان قائما فى العلاقة بين سكان المدن والريف وذلك بفعل حركة النزوح الضخمة التى تبعت اعلان الاستقلال والتي غيرت بصفة جذرية صورة المدن الجزائرية. حيث نتج عن هذه العملية ما يسميه الباحث الفرنسي جون لوكوز (٤٦) بالتحضر الفوضوى أو غير المنسق Urbanisation Sauvage والذى جاء وليد اصطدام طبقتين اجتماعيتين، وعادات عالمين متمايزين من حيث تكوينهما الاقتصادى والاجتماعي هما الريف والمدينة.

وهكذا فان رحيل الاوروبيين سمح لمجتمع ريفي عاش طويلا تحت القهر والحرمان بأن يطالب بحقه في المدينة، التي كانت تحت حكم الاستعمار، رمز الحياة المريحة. وكان ذلك فى نظر هذا المجتمع الريفي يعني احتلال مسكن عصرى والحصول على عمل في مصنع أو متجر أو ادارة، لقطع كل علاقة بالماضي الثقيل بمساوىء عدم المساواة والاضطهاد الاستعمارى. خاصة وأن الثورة التحريرية طرحت شعارات أساسية كالعدل والمساواة والحق فى العيش الكريم والانتفاع بثروات الوطن. ولهذا فان سكان الارياف الذين شجعهم سقوط الحكم الاستعمارى والقضاء على المزايا التى كانت وقفا على المعمرين. اجتاحوا المدن لاحتلال المساكن الشاغرة، وبهذه الطريقة، فان هؤلاء النازحين الذين جاءوا بعاداتهم وتقاليدهم الريفية، طبعوا بها نمط الحياة في الاحياء التي أقاموا بها، وهو الامر الذى يفسر السمات الريفية لعدد من مناطق المدينة.

وقد تأثرت قسنطينة بهذه الظاهرة أكثر من غيرها من المدن الجزائرية، لوجودها في أكثر المناطق تضررا من الحرب، وهي الظاهرة التي أتت على ميزة

---

(46) Le Coz. J. Société Landguedocienne De Géographique Bulletin no 1 Montpellier 1972, p. 1-6.

التقسيم العنصرى في التركيب العمراني للمدينة التي كانت سائدة ايام الاحتلال والتي كانت تشكل أساس التناقضات والفوارق بين المعمرين والسكان المحليين. وان كانت تسببت في نفس الوقت في ظهور تقسيم جديد على أساس اجتماعي واقتصادى تتفق في حدودها العمرانية من الصورة الاولى لعهد الاحتلال حيث تجمع السكان الاصليون للمدينة وخاصة عائلات التجار والموظفون والاطارات الجديدة للدولة في الاحياء العصرية والحديثة التي كان يسكنها المعمرون، بينما تجمع النازحون الجدد بالمناطق السكنية ذات الطابع الاقتصادى ومناطق الاكواخ:

ومع تفاقم تيار هذا النزوح. ظهرت النشاطات الطفيلية وازداد عدد الاكواخ بالمدينة بحيث أصبحت عام ١٩٧٧ تتركز في ٤٢ منطقة داخل المدينة يسكنها ما يزيد عن ٢٠ ألف عائلة، بمعنى أن كل عائلة من بين خمسة عائلات بالمدينة تسكن في حي قصديرى (٤٧)، الشيء الذى أدى الى ظهور أزمة حادة في ميدان السكن والتشغيل، والى استنزاف تجهيزات المدينة التي لم تتطور مع تطور عدد السكان، الامر الذى زاد الحياة بالمدينة تعقيدا وصعوبة.

ونتيجة ذلك ومع بداية ١٩٦٩ بدأ التوسع العمراني يتبلور من جديد بانجاز أحياء سكنية جديدة في كل من فيلالي والسطوح وبومدوس وبن بولعيد والمنظر الجميل الغربي والامير عبدالقادر والسيدات والبوسكي، وفي نفس الاتجاهات التي نما عليها العمران في المراحل السابقة، ضمت في سنة ١٩٧٦ حوالي ٤٢٢٥ مسكنا جديدا (٤٨).

ويتضح من تطور العمران في هذا الطور أنه أخذ شكل الهلال، رأسه في الجنوب والثاني في الشمال الشرقي، وأنه يعتبر بالدرجة الاولى اكتمالا وتركيزا لعدد كبير من المباني لحل أزمة السكن، بالاضافة الى تجهيز المدينة بالهياكل اللازمة لعاصمة اقليمية هامة، أهمها بناء جامعة قسنطينة الجديدة عام ١٩٧١ وهي من أحدث الجامعات بافريقيا من حيث هندسة بنائها، وأحياء للطلبة تتسع لحوالي ١٢ ألف طالب، والمركب الاولمبي الرياضي عام ١٩٧٢.

---

(47) APC de Constantine. Enquête sur les Bidonvilles Constantine 1971, p. 1-15.

(48) APC de Constantine, Situation de l'Habitat Constantine 1978, p. 1-8.

الخلاصة:

من خلال العرض السابق لتطور مدينة قسنطينة ونموها العمراني منذ نشأتها حتى حدودها الحالية، يلاحظ أنها سارت في مراحل ثلاثة هي المرحلة النووية، وفيها كانت قسنطينة بلدة صغيرة في حماية الصخرة التي تقوم عليها، ثم المرحلة التكوينية وفيها خرجت المدينة في تردد من حماية حدودها الطبيعية باتجاه الشرق والجنوب الغربى وذلك منذ بداية الاحتلال الفرنسي في أواخر القرن الثامن عشر الى ما قبل الحرب العالمية الثانية، وأخيرا المرحلة الانفجارية وفيها توسعت المدينة في موجة مد قوية على محاور امتدادها الاولى بالاضافة الى الجنوب، كما أظهرت هذه الدراسة التحليلية لنمو المدينة، ظاهرة الازدواج والتناقض الحضرى المتمثلة في قيام بناءين متميزين داخل الاطار البنائي العام للمدينة. وهى ظاهرة ترجع الى أصول تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية رسبت في اطارها العمراني، وهذان الاطاران هما:

- اطار شعبى بسيط عمرانيا واقتصاديا واجتماعيا، قوامه سكان الارياف النازحون. بحاراته ومساكنه القديمة ومحلاته الصغيرة وافتقاره للكثير من المرافق العامة.

- اطار عصرى مركب عمرانيا واقتصاديا واجتماعيا، ذو هندسة منتظمة ومخططة ويمتاز بحياته الحضرية المعاصرة.

وتؤثر هذه الظاهرة على ملامح المدينة وطابعها، بحيث تجعل منها اطارا تتضارب فيه صور متناقضة، يتعذر في ظلها تحقيق درجة نسبية من التكامل الحضرى.

كما أوضحت هذه الدراسة سمة المركزية الحضرية لمدينة قسنطينة التي ترتبط أيضا بخلفية سياسية واقتصادية وطوبغرافية أساسا، حيث ساهمت كل هذه الابعاد في قيام تلك الظاهرة بوضوح، وتتمثل المركزية في سيطرتها اداريا واقتصاديا وثقافيا وسياسيا على اقليم الشرق الجزائرى. لانها مركز الحكم والادارة الاقليمية وكذلك مركز أهم مراكز التعليم والاسواق والمعارض والمتاحف وهذه المعطيات هي التي منعت قسنطينة من الوصول الى درجة عالية من التفاعل لتحقيق قدر من الاستقرار يتطلبه دورها الوظيفى الحياتي كمدينة تقوم على تحقيق متطلبات حضرية للسكان القاطنين بها.

الفصل الثالث

سكان قسنطينة

أولا ـ نمو سكان قسنطينة وتطورهم

١ ـ نمو سكان قسنطينة

أ ـ نمو سكان قسنطينة فى القرن التاسع عشر

ب ـ نمو سكان قسنطينة في القرن العشريت

٢ ـ حركة السكان :

ـ المواليد

ـ الوفيات

ـ الهجرة

ثانيا ـ توزيع السكان وكثافتهم

١ ـ التوزيع العددى والتركز السكاني

٢ ـ الكثافة

ثالثا ـ تركيب السكان

١ ـ التركيب النوعي والعمرى

٢ ـ الرتكيب الاقتصادى

٣ ـ التركيب الاجتماعى

رابعا ـ أمراض المدينة

خامسا ـ الاقليات المدينة

سادسا ـ مستقبل سكان قسنطينة

الخلاصة :

سكان مدينة قسنطينة

بعد استعراض البيئة الطبيعية لقسنطينة، ونشأة المدينة وتطورها، تبرز اهمية تلمس تلك الدراسة في الحياة البشرية، لان السكان يشكلون ظاهرة جغرافية تتاثر بالبيئة الطبيعية، لاسيما من حيث توزيعهم الجغرافي وكثافتهم وطبيعة استيطانهم. ولهذا فان هذا الجزء من الرسالة سينصب بالدرجة الاولى على الجانب الجغرافي من موضوع السكان، مع الاهتمام ببعض المعطيات الديموغرافية بالقدر الذى يفيد البحث في جغرافية المدن.

ولقد اعتمد الباحث في هذا الفصل على عدد من التعدادات الرسمية لمصالح الحكومة الفرنسية في الجزائر، ابان عهد الاحتلال، للحصول على المعلومات الاحصائية والكمية المطلوبة. ومن الجدير بالذكر أن الحصر السكاني للجزائر في هذا العهد لم يكن مستوفيا شروط ومستلزمات تعددات السكان الصحيحة، وذلك لكونه كان يصاغ لاهداف واستخدامات خاصة حيث كان الغرض منه الوقوف على عدد الافراد لاغراض الخدمة العسكرية أو جمع الضرائب أو لاسباب تتعلق بالامن. وبالرغم من صرامتها وأهدافها المحددة، فلم تكن دقيقة ويشوبها الكثير من الخلط، لكونها نفذت بطرق غير علمية وبأساليب بوليسية بحتة مما دفع السكان المحليين الى تزوير الحقائق خوفا من الضرائب وتهربا من الجندية. ويضاف الى هذا العامل، كون هذه التعدادات لم تجر على دورات محددة الامر الذى يحدث ارباكا عند مقارنة أرقام السكان خلال السنوات المذكورة، ويوضح الجدول رقم ٨ تواريخ اجراء هذه التعدادات.

أما التعداد الاول الذى تم في ظل الجزائر المستقلة فقد أنجز عام ١٩٦٦ وتبع بتعداد ثان عام ١٩٧٧، وهما اللذان يحددان الصورة السكانية للجزائر بعد الاستقلال، بنوع من الدقة لكونهما انجزا في ظروف تتميز بالاستقرار، وتجدر الاشارة هنا الى أن البيانات التفصيلية لتعداد ١٩٦٦ لم تنشر الا سنة ١٩٧٠، كما أن البيانات الخاصة بتعداد ١٩٧٧ لم تنشر بعد.

جدول رقم (٨)

توزيع تعدادات السكان الجزائرية (١)

سنة التعداد	تاريخ بداية التعداد	الفاصل الزمني
١٩٢٦	١٩٢٦/٣/٨	—
١٩٣٦	١٩٣٦/٣/٨	١٠ سنوات
١٩٤٨	١٩٤٨/١٠/٣١	١٢ سنة و ٧ شهور
١٩٥٤	١٩٥٤/١٠/٣١	٦ سنوات
١٩٦٠	١٩٦٠/٩/١	٦ سنوات
١٩٦٦	١٩٦٦/٤/١	٥ سنوات و ٦ شهور
١٩٧٧	١٩٧٧/٢/١٢	١١ سنة الا شهرين

اولا ــ نمو سكان قسنطينة وتطورهم :

ان دراسة نمو وتطور سكان قسنطينة منذ بداية نشأتها وحتى عهود قريبة (حتى سنة ١٩٢٦ تاريخ اجراء أول تعداد رسمي في تاريخ المدينة) أمر صعب، وذلك اما لغياب المعلومات الاحصائية المتعلقة بهذا الموضوع، واما لعدم دقتها. ومن اجل تشخيص الوضع السكاني للمدينة قبل هذا التاريخ (١٩٢٦). اعتمد الباحث على بعض التقديرات السكانية التي أوردها المؤرخون وبعض الرحالة الاجانب الذين اهتموا بتاريخ المدينة في فترات مختلفة وهي كلها تتصف بكونها تقديرات للحجم السكاني فقط دون ما دراسة للخصائص الديموغرافية كالسن والنوع وغيرها.

وتتميز قسنطينة منذ نشأتها، بأنها كانت ملتقى عناصر مختلفة من حضارات متعددة. حيث كان سكانها يمثلون شعوبا عديدة. وقد ذكر الباحث في موضوع دراسة التطور التاريخي للمدينة بعض الارقام التي أوردها عدد من المؤرخين، والتي تشير كلها الى أهمية المدينة من حيث الحجم السكاني.

---

(١) الجدول من اعداد الباحث.

أ ـ نمو سكان قسنطينة في القرن التاسع عشر:

يوضح الجدول رقم ٩ التطور العددى لسكان مدينة قسنطينة في القرن التاسع عشر، وذلك على أساس التقديرات التي أوردتها الوثائق الرسمية لمجلس بلدية قسنطينة، وهي تقوم كلها على أساس تخميني، لان سجلات الاحصاءات الحيوية لم تكن معروفة قبل أواخر القرن التاسع عشر. ومن هنا لابد من أخذها بنوع من الحيطة والحذر.

ويتضح من الجدول أن أول تقدير يحدد سكان المدينة عند ٨٠٠٠ نسمة عام ١٨٠٠ ثم يقفز سنة ١٨٤٣، أى بعد ٤٣ سنة فقط الى ١٩٧٥١ نسمة، أى بمقدار يزيد عن الضعف مع ملاحظة أنه لا يدخل ضمن هذه الزيادة الكبيرة سوى ٩٦٣ أجنبيا (فرنسيا) فقط على الرغم من أن هذه الفترة قد شهدت انتشار بعض الاوبئة مثل الكوليرا والتيفوس، كما ذكر المؤرخ صالح العنترى في كتابه "مجاعات قسنطينة" (٢)، الا أن هذه الزيادة الهامة يمكن تفسيرها بحركة انتزاع الاراضي بالقوة وحركة التشريد الواسعة التي قامت بها القوات الفرنسية في السنوات الاولى من الاحتلال. وفيما عدا هذه الطفرة في زيادة سكان قسنطينة، نجد أن هذه الاخيرة تتبع منحنيات معقولة نوعا ما، مع ملاحظة أنها تتأثر عموما بالزيادة المتوالية للاجانب وخاصة سنة ١٨٦١ (١٢٥٤٩ نسمة مقابل ٥٧٨٩ نسمة سنة ١٨٥٦) وذلك بسبب استتباب الاحتلال الفرنسي للمدينة من جهة وبسبب تحويلهما الى مركز الانطلاق قوات الاحتلال نحو المناطق الاخرى.

---

(٢) صالح العنترى: مرجع سابق ص ١٢.

جدول رقم (٩)

التقديرات الرسمية لسكان مدينة قسنطينة في القرن التاسع عشر(٣)
(من ١٨٠٠ الى ١٨٩٦)

تاريخ التقدير	عدد السكان الجزائريين	عدد السكان الاجانب	المجموع
١٨٠٠	٨٠٠٠	لا شيء	٨٠٠٠
١٨٤٣	١٨٧٨٨	٩٦٣	١٩٧٥١
١٨٥١	٢٧٥٠٨	٥٨٠٠	٣٣٣٠٨
١٨٥٦	٢٧٨٠٤	٥٧٨٩	٣٣٥٩٣
١٨٦١	٢٤٥٤٣	١٢٥٤٩	٣٧٠٩٢
١٨٦٦	٢٠٧٣٥	١٥٥٦١	٣٦٢٩٦
١٨٧١	١٧٧٥٩	١٧٤٩٢	٣٥٢٥١
١٨٧٦	١٧٤٧٨	١٧٢٤٨	٣٤٧٢٦
١٨٨١	١٧٩٠٠	١٩٨٩٢	٣٧٧٩٢
١٨٨٦	٢١١٦٤	١٩٨٦٤	٤١٠٢٨
١٨٩١	٢٤٤٢٣	٢١٧١٠	٤٦١٣٣
١٨٩٦	٢٣٥١٠	٢٤٢٦١	٤٧٧٧١

وخلاصة القول أن سكان المدينة في القرن التاسع عشر تزايدوا باطراد رغم ارتفاع معدل الوفيات، ورغم بطش الاستعمار وسطوته، ويمكننا أن نستخلص من هذه التقديرات مايلي:

١ ـ تزايد عدد سكان قسنطينة بصورة ملحوظة بين ١٨٠٠ و ١٨٩٦، حوالي ٤٠ الف نسمة في أقل من ١٠٠ سنة. حيث تضاعفوا بمقدار خمسة أمثال تقريبا.

٢ ـ تأثر نمو سكان قسنطينة بعدد من العوامل كانتشار الاوبئة والمجاعات والجفاف، بالاضافة الى الحروب والثورات التي قامت ضد قوات الاحتلال. وخاصة بعد سنة ١٨٧٠، بعد أن قررت فرنسا منح الجنسية الفرنسية لليهود

---

(3) Alquier R. Recueil Officiel des Actes des Communes de la Préfecture de Constantine, Paris 1930, p. 15-28.

الجزائريين، وتشجيع توطين الاوروبيين في المدن. فقد تزايد عدد الاوروبيين بحوالي ٢٤ الف نسمة خلال اقل من ١٠٠ عام، اى بزيادة أكبر من زيادة السكان الجزائريين التي وصلت خلال نفس الفترة ١٥٥٠٠ نسمة فقط.

٣ ـ استمر نمو سكان المدينة من غير الجزائريين بصورة متصاعدة بعد سنوات الاحتلال الفرنسي وفي هذا ما يدل على الطبيعة الاستيطانية لهذا الاستعمار.

٤ ـ يلاحظ أن عدد الاجانب بدأ يتساوى مع عدد الجزائريين ابتداء من عام ١٨٧١، حتى تفوق عددهم على عدد السكان المحليين عام ١٨٨١ (١٩٨٩٢ اجنبيا مقابل ١٧٩٠٠ جزائرى)، وذلك بسبب قدوم أعداد ضخمة من المعمرين لتلبية حاجات الادارة الاستعمارية خاصة بعد احتلال بقية التراب الجزائرى.

٥ ـ فيما عدا ذلك بقيت نسبة الاجانب الى السكان الجزائريين في تأرجح. زيادة في عدد الاجانب تفوق زيادة عدد السكان الجزائريين.

ب ـ نمو سكان قسنطينة في القرن العشرين :

شهدت مدينة قسنطينة تطورا متباينا خلال القرن العشرين، من حيث حجم السكان ومعدل نموهم. اذ بلغ عدد السكان الجزائريين سنة ١٩٦٦ حوالي ٢٥٠٧٦١ نسمة(*) مقابل ٢٣٥٤٥ نسمة سنة ١٩٠١(٤)، وذلك بصورة منتظمة. بينما تزايد عدد السكان الاجانب بصورة غير منتظمة، حيث بلغ عددهم أقصاه عام ١٩٣٦ حوالي ٥٠٤٦٧ نسمة مقابل ٢٤٦٩٨ نسمة عام ١٩٠١ ليسقط الى أقل من هذا الحجم في تعداد ١٩٤٨ حيث بلغ ٣٧٢٤٩ نسمة(٥). كما يلاحظ أيضا أن العدد الاجمالي لسكان قسنطينة يتزايد باطراد من تعداد لاخر وبمعدلات مرتفعة، حيث تضاعف عدد سكان المدينة الاجمالي بحوالي خمسة أضعاف خلال ٦٥ سنة (من ٤٨٢٤٣ نسمة عام ١٩٠١) الى (٢٥٠٧٦١ نسمة عام ١٩٦٦(٥)). وترجع هذه الزيادة الهامة الى ارتفاع الزيادة الطبيعية من جهة، والى الهجرة من جهة ثانية.

ومن تحليل الجدول رقم (١٠) وشكل رقم ٢٤ الذى يوضح تطور حجم السكان في المدينة ومعدل النمو فيها مع مقارنته بالدولة يتضح أن :

(*) دلت التقديرات الاولية لنتائج تعداد عام ١٩٧٧ أن سكان قسنطينة حوالى ٣٥٠٠٠٠ نسمة.

(4) Alquier R. op. cit., p. 18-24.

(5) Ibid, p. 18-24.

جدول رقم (١٠)

جمدلة عدد السكان الجزائريين والاجانب في قسنطينة والدولة ومعدل النمو فيها من ١٩٢٦ الى ١٩٧٧ حسب التعدادات الرسمية والدولة (6)

التعداد	الجزائريون	الاجانب	مجموع السكان	معدل النمو للجزائريين	معدل النمو السنوى لسكان المدينة	سكان الدولة	معدل النمو لسكان الدولة
١٩٢٦	٤٧٠٨٦	٤١٤٩٦	٨٨٥٨٢			٥٨٠٤٢٧٥	
١٩٣٦	٥٦٣٦٣	٥٠٤٦٧	١٠٦٨٣٠	١ر٨	١ر٩	٧٢٣٤٦٨٤	٢ر١
١٩٤٨	٧٧٠٨٩	٣٧٢٤٩	١١٤٣٣٨	٢ر٥	٠ر٥	٨٦٨١٧٨٥	١ر٥
١٩٥٤	١٠٢٦٥٩	٤٠٦٧٥	١٤٣٣٣٤	٤ر٩	٣ر٨	٩٥٢٩٧٢٦	١ر٦
١٩٦٦	—	—	٢٥٠٧٦١	١٠ر٣	٧ر٤	١٢١٠٢٠٠٠	٢ر٠
١٩٧٧	—	—	٣٥٥٠٥٩	٣ر٤	٣ر٤	١٨٢٥٠٠٠٠	٣ر٨

ـ عدد سكان التعدادات السابقة لـ ١٩٦٦ مأخوذة من : (6) Gouvernement Général de l'Algérie, statistique de la population 1926, 1936, 1948, 1954.

CNRP, Recensement 1966.

ـ عدد سكان ١٩٦٦ و ١٩٧٧ مأخوذ من :
والنتائج الاولية لتعداد ١٩٧٧

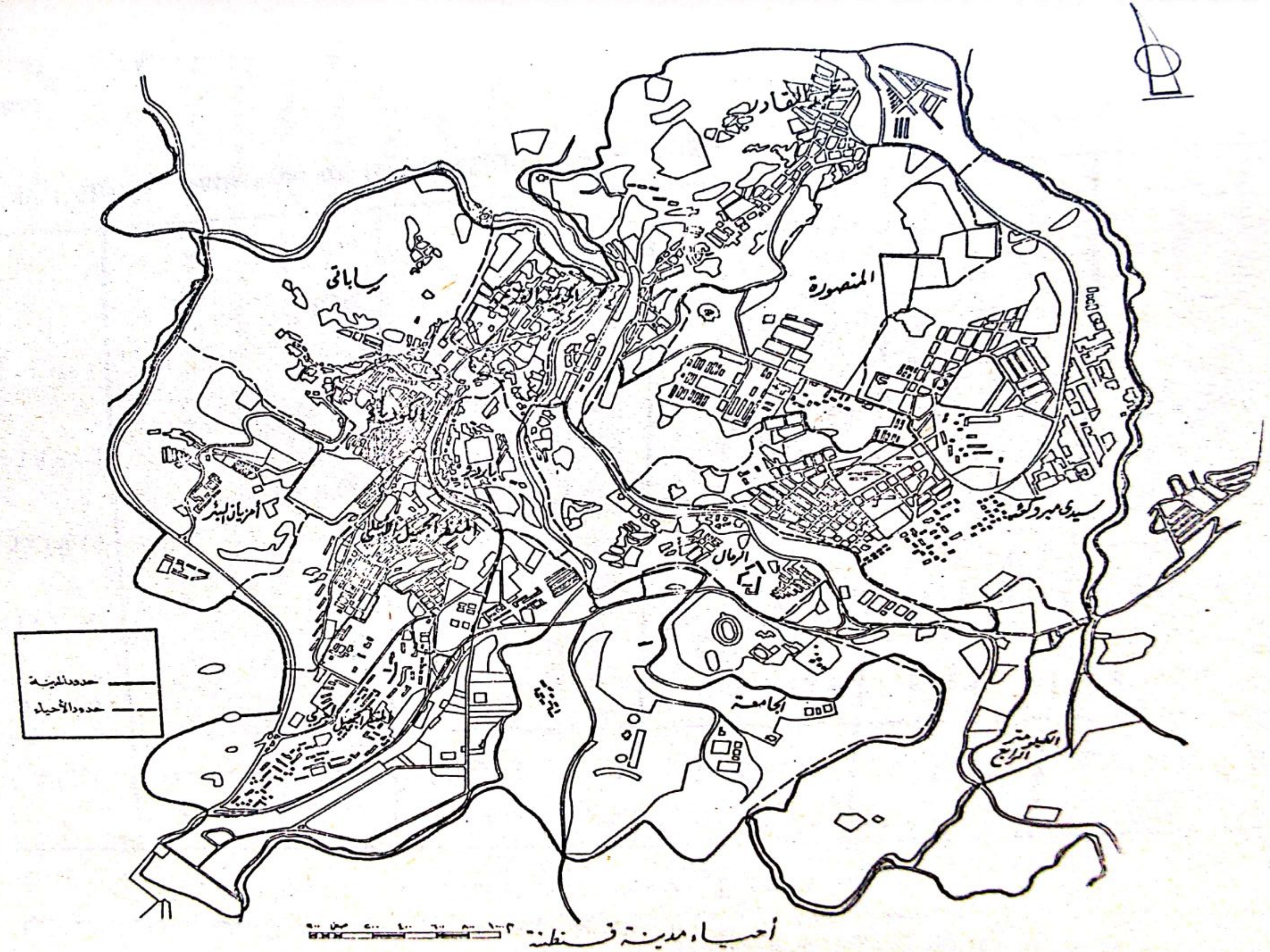
المنصورة
القادر
ساباتي
باردو
المنظر الجميل الأعلى
المنظر الجميل الكبري
أمزيان لبيز
الرمال
سيدي مبروك
الجامعة
الكيلومتر الرابع
حدود المدينة
حدود الأحياء

أحياء مدينة قسنطينة

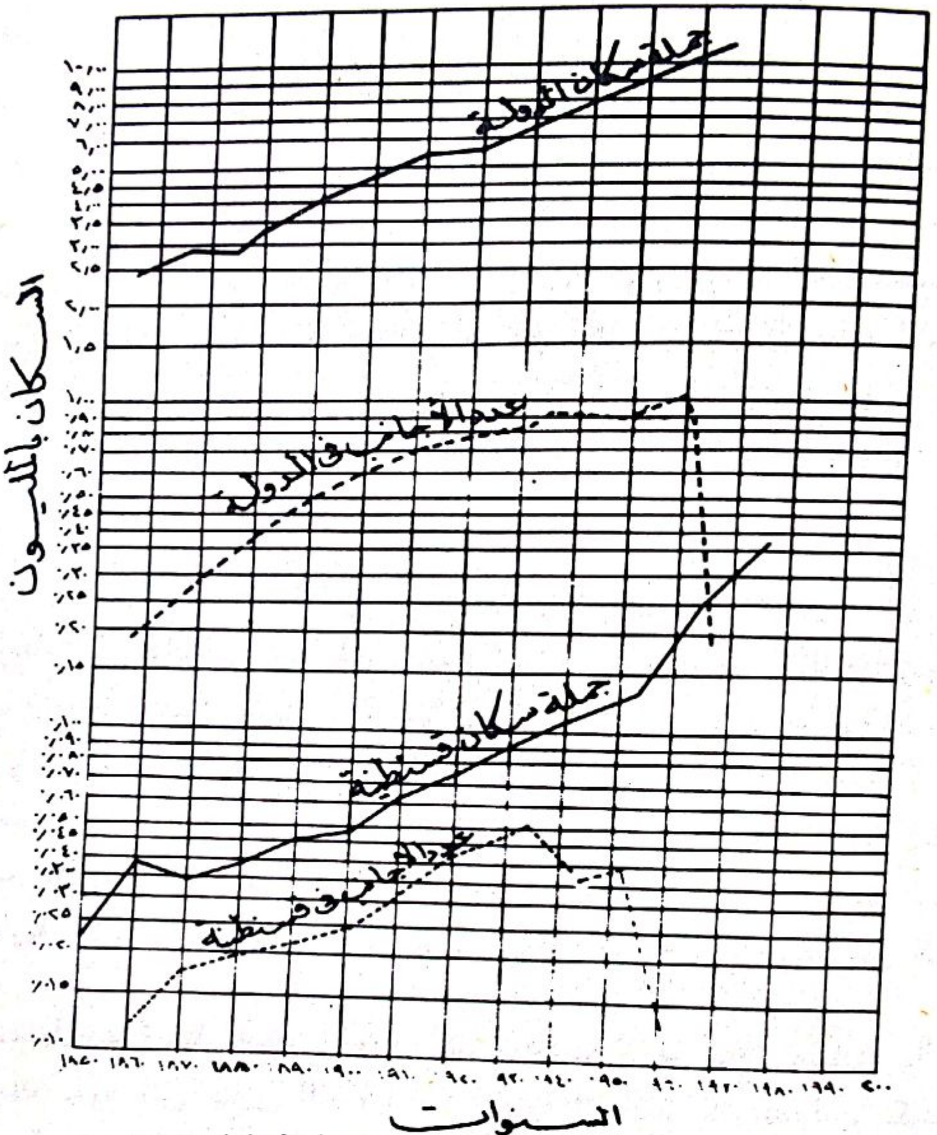

نمو سكان كل من قسنطينة والدولة في القرنين ١٩ و ٢٠

شكل "٢- [illegible]"

١ ـ هناك تطورا مستمرا في سكان قسنطينة والدولة، حيث يمكن التمييز بين فترتين بارزتين فى ديناميكية التطور، الاولى من ١٩٢٦ الى ١٩٤٨، وتتميز بتطور ضعيف حيث ارتفع عدد السكان في قسنطينة من ٨٨٥٨٢ نسمة الى ١١٤٣٣٨ نمسة اى بنسبة زيادة سنوية تساوى ٩ر١٪ مقابل ١ر٢٪ على مستوى الدولة. والفترة الثانية من ١٩٤٨ الى ١٩٧٧ والتى على العكس تتميز بزيادة عالية (حوالي ٨ر٣٪ فى الفترة ١٩٥٤/٤٨ ـ ٤ر٧٪ ٥٤ ـ ١٩٦٠ ٤ر٣٪ فى الفترة ١٩٧٧/٦٦).

٢ ـ وبمقارنة السكان الجزائريين بالاجانب يمكننا أن نلاحظ أن زيادة كل منها تتبع منحنى مغايرا، فبالنسبة للسكان الجزائريين نجد أن التطور كان ايجابيا دائما وديناميكيا، بينما نجد السكان الاجانب على العكس من ذلك يشهدون تناقصا مستمرا باستثناء فترة ١٩٣٦/٢٦ وهي الفترة التي شهدت قدوم المعمرين باعداد كبيرة للاقامة بالجزائر من أجل تثبيت السيطرة الاستعمارية واستغلال الاراضي والثروات الجزائرية، خاصة وأن هذه الفترة تميزت بالنسبة لفرنسا بانتشار البطالة بسبب الازمة الاقتصادية التي عرفتها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

٣ ـ لا يمكننا أن نلاحظ أن نسبة الزيادة للسكان الجزائريين تعطي معدلات أكثر ارتفاعا من تلك الزيادة التي يمثلها اجمالي عدد السكان (الجزائريون زائد الاجانب) والتى تتبع منحني تصاعديا (٨ر١ ـ ٥ر٢ ـ ٩ر٤ ـ ٣ر١٠)، وذلك لان الزيادة الطبيعية أقوى لدى السكان الجزائريين منها عند الاجانب. كما أن هذه المعدلات المرتفعة تدل من جهة ثانية على أن قسنطينة كانت دائما مركزا استقطاب بشرى قوى وأنها تعرضت لموجات حادة، بسبب الظروف السياسية والاستعمارية التي كان لها أثر كبير في ازدياد أعداد المهاجرين الى المدن.

٤ ـ يلاحظ أيضا وجود اختلاف في معدلات النمو بين قسنطينة والدولة، ولعل ذلك يعود الى تباين المعطيات السكانية الخاصة بكل تعداد، لكونها لم تجر على أسس علمية، الا أن الاتجاه العام لنمو السكان على مستوى الدولة هو الارتفاع التدريجي باستثناء الفترة ١٩٣٦ و ١٩٤٨ حيث نزل الى ٥ر١/ و ٦ر١/ ليعود الى الارتفاع بالغا أقصاه في الفترة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٧ حوالي ٨ر٣٪.

٥ ـ تميزت الفترة الاخيرة ١٩٦٦ ـ ١٩٧٧ بمعدل نمو مرتفع جدا بالنسبة لكل من المدينة والجزائر، حيث بلغ ٤ر٣٪ في قسنطينة و ٨ر٣٪ في الجزائر،

وهى معدلات تفوق كثيرا المعدل العالمي لنمو السكان الذى وصل في هذهالفترة الى (٢.٢٪) وهذا كان نتيجة أوضاع الطمأنينة والاستقرار التي شهدتها البلاد بعد السنوات الاولى للاستقلال، واتخاذ عدد من الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية متمثلة فى خطط للتنمية، تبعها نهوض اقتصادى وحضارى وخاصة في المدن التي استقطبت أعدادا كبيرة من السكان.

٢ـ حركة السكان :

تعتبر مدينة قسنطينة من المدن الجزائرية التي حققت نمو سكانيا سريعا في السنوات الاخيرة، ومن أجل توضيح الاتجاه العام لسكان المدينة ومدى تغيرهم من فترة لاخرى، رجع الباحث الى استغلال ملفات الولادة والوفاة (الاحصاءات الحيوية) ببلدية قسنطينة، لتحديد معدلات المواليد والوفيات، والسبب الاساسي فى ذلك جاء من الضرورة الملحة لتوضيح المظاهر الديموغرافية الخاصة بالمدينة، من أجل محاولة تقريب الزيادة الطبيعية الى مستواها الحقيقي والتعرف الى المعطيات الحقيقية المؤثرة فى الزيادة السكانية، وذلك بعزل المعطيات التي هى من وجهة النظر الادارية تابعة للمدينة، ولكنها من وجهة النظر السكانية غير تابعة لها، كما هو الحال بالنسبة للوفيات والولادات التي تتم بالمدينة لاشخاص لا يسكنون بصفة دائمة بها (*).

وقد مكنت عملية الفرز من الوصول الى جملة من المعلومات المتعلقة بالحالة المدنية (وفيات، ولادات) ابتداء من سنة ١٩٤٨، ووضع المعدلات التي اتضح للباحث أنها مرتفعة نوعا ما، وذلك بفعل تأثير الهجرة.

وهكذا وضع الباحث الجدول رقم (١٢) بمقارنة العلاقة بين الولادات والوفيات وعدد سكان المدينة ابتداء من عام ١٩٤٨ (سنة الاساس) بتطبيق معدلات الزيادة الطبيعية فقط، وهذا معناه أن مساهمة الهجرة غير محسوبة، لان النازحين فور وصولهم للمدينة يشاركون فقط فى حساب معدلات الزيادة الطبيعية بينما هم أنفسهم ليسوا مسجلين في ملفات الحالة المدنية لكونهم ليسوا من مواليد المدينة.

(*) تتركز أهم مستشفيات الاقليم في قسنطينة وهو ما يؤثر بشكل ظاهرى على زيادة السكان.

ومن احل توضيح ذلك ، قابل الباحث بالنسبة لسنوات التعدادات السكانية ، معدلات الجدول المستخلص من الاحصاءات الحيوية بالمعدلات التى جاءت فى هذه التعدادات ، حيث لاحظ أن الفرق بينهما واضح جدا (جدول ١١) وخاصة بالنسبة لعام ١٩٦١ حيث يهبط معدل الوفيات من ١ر٤٥ في الالف الى ٣ر٢٣ في الالف ، الولادات من ٣ر٨٨ فى الالف الى ٤ر٥١ في الالف ، وكذلك الامر بالنسبة لسنة ١٩٦٦ حيث تنخفض نفس المعدلات من ٥ر٢٦ فى الالف الى ٣ر١٤ ومن ٩ر٨٩ فى الالف الى ٣ر٥١ فى الالف .

جدول رقم (١١)

معدلات الولادة والوفيات مقارنة بالنتائج المستخلصة من ملفات الحالة المدنية ومن التعدادات (في الالف)

السنة	المعدلات السمتخلصة من الاحصاءات الحيوية			المعدلات المستخلصة من التعدادات		
	ولادة	وفيــات	زيادة طبيعية	ولادة	وفيات	زيادة طبيعية
١٩٤٩	٣ر٤٩	٧ر٣٠	٦ر١٨	٥ر٤٧	٦ر٢٩	٩ر١٧
١٩٥٥	٦ر٥٥	١ر٢٩	٥ر٢٦	٢ر٥١	٢ر٢٤	٠ر٢٧
١٩٦١	٣ر٨٨	١ر٤٥	٢ر٤٣	٤ر٥١	٣ر٢٣	١ر٢٨
١٩٦٦	٩ر٨٩	٥ر٢٦	٤ر٦٣	٣ر٥١	٣ر١٤	٠ر٣٧

وحسب نتائج الفرز وجد الباحث أن ٩ر٦٢/ من الولادات الحية بالمدينة هي نتيجة الوضع لنساء غير مقيمات في قسنطينة ، وكذلك الامر تقريبا بالنسبة للوفيات كما اتضح أن حوالي ٤٨/ من مجمل الوفيات التي حصلت بالمدينة كانت لسكان غير دائمي الاقامة بها .

المـــواليـــد :

يوضح الجدول رقم (١٢) والشكل رقم (٢٥) لمعدلات المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية في قسنطينة من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٧٨ أن أقصى نسبة للمواليد

سجلتها المدينة كانت عام ١٩٢٣، حيث بلغت ١ر١٠٣ في الالف وان ادنى نسبة سجلت عام ١٩٤٩ وهي ٧ر٤٤ في الالف... ومما لاشك فيه ان هذه النسبة العالية التى سجلت عام ١٩٦٣، جاءت نتيجة ظروف استثنائية، تمثلت في عودة حالة الامن والاستقرار للجزائر بعد اعلان الاستقلال من جهة، والى توافد اعداد كبيرة من النازحين الى قسنطينة من اقليمها ومن خارج الوطن. وبالتالي الى تضخيم الحجم السكاني للمدينة بصورة مذهلة، مما أدى الى ارتفاع معدل المواليد بهذه الصورة. وتجدر الاشارة هنا الى أن معدل المواليد في هذه السنة على مستوى الدولة كان مرتفعا أيضا (٥٣ في الالف) (٧). كما يتضح من الجدول أيضا أن نسبة المواليد في قسنطينة بدأت تتناقص تدريجيا بعد ذلك، لتصل الى معدلات معقولة في السنوات الاخيرة ٦ر٣٦ في الالف عام ١٩٧٨.

كما يلاحظ أيضا أن الفترة السابقة لسنة ١٩٦٣، تميزت بانخفاض في نسبة المواليد، التي بقيت حتى سنة ١٩٥١ أقل من ٥٠ في الالف. والسبب فى ذلك قيام السلطات الفرنسية في السنوات التي تلت الحربين العالميتين الاولى والثانية بحركة تجنيد ضخمة شملت أعدادا كبيرة من الشباب الجزائرى، حيث سجل انخفاض عام على مستوى نسبة المواليد فى الجزائر، بلغ ٣٦ فى الالف. (٨)

وهكذا وفي كلتا الحالتين فان نسبة المواليد في مدينة قسنطينة كانت دوما أعلى من المعدل الخاص بالدولة. كما يلاحظ أيضا أن معدل المواليد في المدينة يشهد اتجاها عاما نحو الزيادة حيث يلاحظ أنها كانت أقل من ٥٠ في الالف قبل ١٩٥١، لترتفع باطراد بعد ذلك حتى سنة ١٩٦٣، ثم انخفضت بعد ذلك لتعود الى معدلاتها المعقولة حتى غاية ١٩٧٨، حوالي ٩ر٣٦ في الالف نتيجة الظروف الملائمة التي تمر بها الجزائر اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

كما يلاحظ أن معدل المواليد في قسنطينة لا زال عاليا اذا ما قورن ببعض المتوسطات العالمية وخاصة في أوربا، وهو ما أدى الى جانب انخفاض معدل الوفيات الى زيادة الحجم السكاني للمدينة، حيث تقوم الزيادة الطبيعية بدور هام في التغيرات السكانية بالمدينة.

---

(7) Démographie Algérienne. Dossiers Documentaires (19-20). Alger 1972, p. 13.

(8) Ibid p. 13.

جدول رقم ١٢ معدلات المواليد والوفيات في قسنطينة من ١٩٤٨ الى ١٩٧٨ في الالف (٩)

السنة	معدل المواليد	معدل الوفيات	معدل الزيادة الطبيعية
١٩٤٨	٤٩ر٣	٣٠ر٧	١٨ر٦
١٩٤٩	٤٤ر٧	٣٠ر٨	١٣ر٩
١٩٥٠	٤٨ر٤	٢٩ر٢	١٩ر٢
١٩٥١	٤٨ر٩	٣٣ر٢	١٥ر٧
١٩٥٢	٥٢ر٦	٢٩ر٣	٢٣ر٣
١٩٥٣	٥٢ر٨	٣١ر٦	٢١ر٢
١٩٥٤	٥٥ر٦	٢٩ر١	٢٦ر٥
١٩٥٥	٥٩ر٧	٢٨ر٢	٣١ر٥
١٩٥٦	٦٥ر٧	٣٧ر٨	٢٧ر٩
١٩٥٧	٧٤ر٦	٤٣ر٧	٣٠ر٩
١٩٥٨	٨٢ر٣	٥١ر٠	٣١ر٣
١٩٥٩	٨٦ر٠	٤٥ر٧	٤٠ر٣
١٩٦٠	٨٨ر٣	٤٥ر١	٤٣ر٢
١٩٦١	٨٦ر٩	٣٩ر٤	٤٧ر٥
١٩٦٢	٩٠ر١	٤٠ر٠	٥٠ر١
١٩٦٣	١٠٣ر١	٣١ر٥	٧١ر٦
١٩٦٤	٩٨ر٢	٢٧ر٣	٧٠ر٩
١٩٦٥	٨٩ر٩	٢٦ر٥	٦٣ر٤
١٩٦٦	٨٨ر٢	٢٤ر٥	٦٣ر٧
١٩٦٧	٧٩ر٨	٢٢ر٢	٥٧ر٦
١٩٧٥	٥١ر٩	١٨ر٥	٣٣ر٤
١٩٧٨	٣٦ر٩	١٠ر٨	٢٦ر١

(٩) الجدول من انشاء الباحث اعتمادا على ملفات الولادة والوفاة ببلدية المدينة.

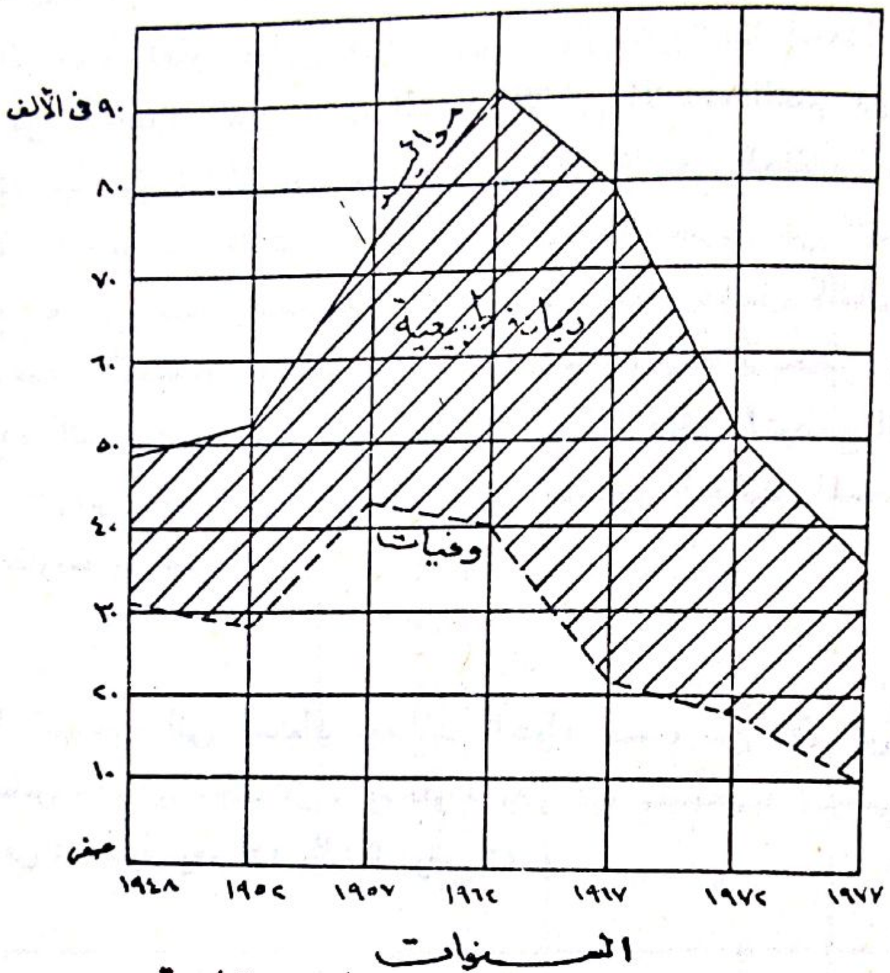

تطور معدلات المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية
في قسنطينة "١٩٤٨ - ١٩٧٧"

شكل « ٢٥ »

واعتمادا على البيانات السابقة ، لجا الباحث الى استخلاص مؤشر ديموغرافي اضافي هام ، هو المعدل العام للخصوبة ، لما لهذا المؤشر من أثر عميق في تركيب السكان ، وما يؤدى اليه من زيادة التراكم في القاعدة الهرمية وارتفاعها .

فقد كان عدد المواليد الاحياء في قسنطينة عام ١٩٦٦ حوالى ١٣٢٧٠ مولودا وعدد النساء في سن الحمل (١٥ – ٤٩ سنة) (*) حوالي ٥٣١٠٣ وبذلك يكون معدل الخصوبة العام حوالى ٢٤٩ر٩ (*) ، وان كان هذا المعدل لا يعطى صورة دقيقة عن الاختلاف بين فئات السن. الا أن الاتجاه العام في الخصوبة يشير الى ارتفاعها بين الاناث في سن ٢٥ – ٢٩ وتقل في الفئات السابقة ١٥ – ١٩ والفئات اللاحقة ٣٠ فأكثر كما يختلف معدل الخصوبة بين الفئات الاجتماعية لارتباطه بعوامل بيئية مختلفة ، وتتحكم فيه عدة عوامل كالظروف الاقتصادية والاجتماعية ، والمستوى الثقافي والمهنة والدخل ودرجة التحضر. ولتعذر الحصول على عدد المواليد بالنسبة لسن الامهات من كل فئة – لتوضيح الخصوبة العمرية من أجل الوصول الى تعمق أكبر في اظهار المستوى الحقيقي للخصوبة في كل فئة عمرية ومقارنته مع غيرها.

لجا الباحث الى اعتماد معدلات الدولة حسب سن الام في أقاليم مصنفة على أساس جغرافي اجتماعي ، ومحاولة مقارنتها بقسنطينة لتوضيح نمطها العام كما جاء في الجدول رقم ١٣ والشكل رقم ٢٦ .

(*) يجرى العرف الديموغرافي على اتخاذ المدى العمرى (١٥ – ٤٩) كمجال طبيعي لفترة الحمل ، وفي الجزائر يحدد القانون سن الزواج للانثى بعد السادسة عشرة .

(*)
$$\frac{\text{عدد المواليد أحياء عام ١٩٦٦}}{\text{عدد الاناث في فئة (١٥ – ٤٩) عام ١٩٦٦}} \times ١٠٠٠ =$$

$$\frac{١٣٢٧٠}{٥٣١٠٣} \times ١٠٠٠ = ٢٤٩ر٩$$

واذا كان معدل الخصوبة العام فى قسنطينة هو ٢٤٩ر٩ فانه بالمقارنة مع معدلات الخصوبة العامة للجزائر ينتمى الى النمط العام لشمال الجزائر وهو بعيد عن النمط الحصرى (٢٤٩ر٩ مقابل ٢١٩ر٨)، وهذا يرجع الى النسبة العالية للسكان النازحين من الارياف فى المدينة، والذين يتميزون بكثرة الانجاب وارتفاع معدل الخصوبة.

جدول رقم ١٣

معدل الخصوبة حسب فئات السن فى الجزائر سنة ١٩٦٦ (١٠)

فئات السن	شمال الجزائر	ريف	حضر
١٥ — ١٩	١٠٢	١٢٦	٨٤
٢٠ — ٢٤	٣٢٤	٣٢٨	٣١٨
٢٥ — ٢٩	٣٥٦	٣٥٩	٣٥٠
٣٠ — ٣٤	٣٢٩	٣٢٩	٣٣٠
٣٥ — ٣٩	٢٦٣	٢٧٣	٢٤٢
٤٠ — ٤٤	١٤٨	١٥٨	١٢٥
٤٥ — ٤٩	٢٢٤	٤٥	٢٠
المعدل العام	٢٢٤	٢٣١	٢١٩ر٨

---

(10) Démographie Algérienne. op. cit., p. 29.

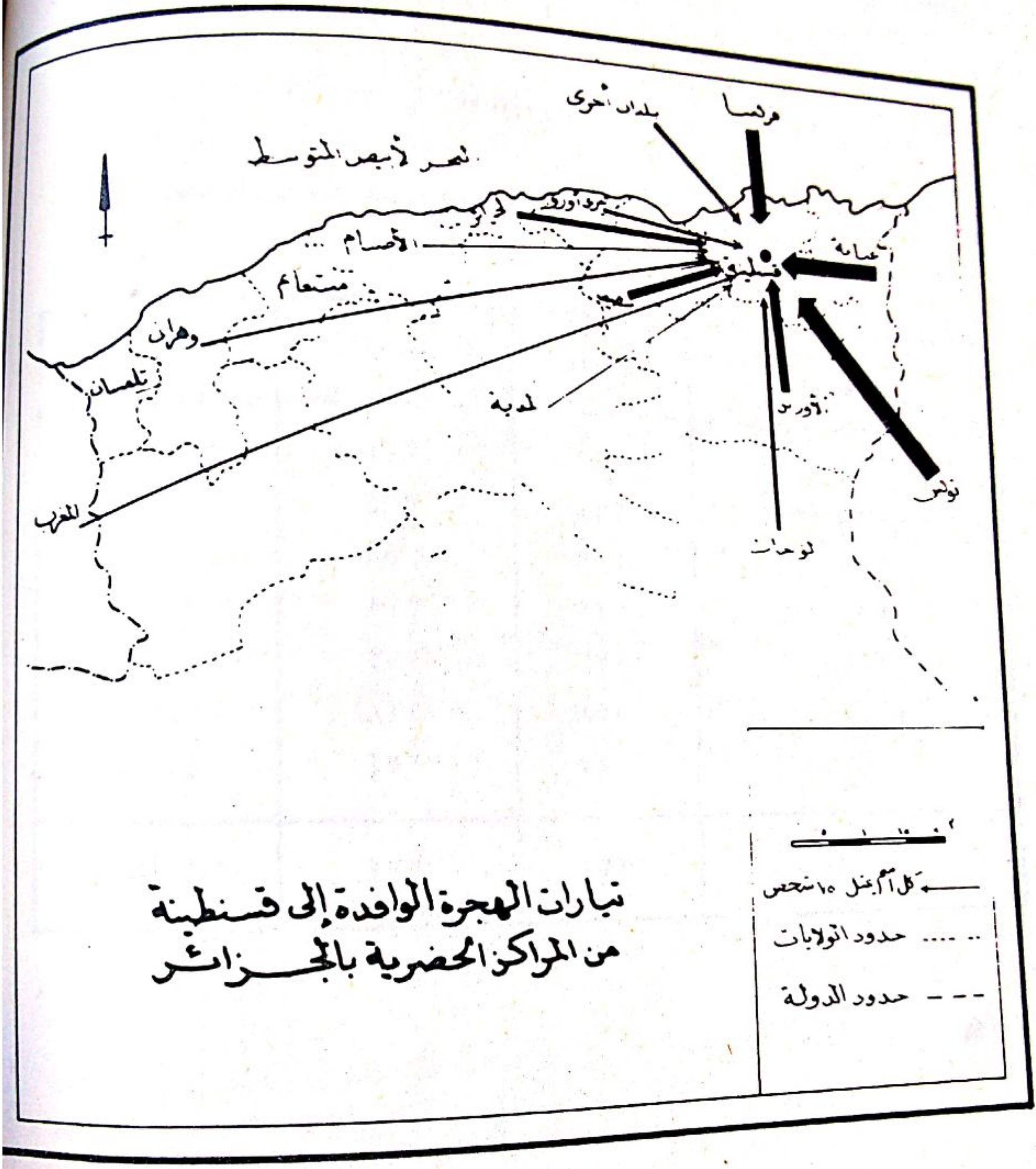
البحر الأبيض المتوسط
فرنسا
بلدان أخرى
تيزي وزو
الجزائر
الأصنام
مستغانم
وهران
تلمسان
المغرب
المدية
سطيف
قسنطينة
عنابة
الأوراس
الواحات
تونس
تيارات الهجرة الوافدة إلى قسنطينة من المراكز الحضرية بالجزائر
كل ١ مم يمثل ١٠ شخص
حدود الولايات
حدود الدولة

شكل - ٢٦ -

الوفيات :

وهى من أهم العوامل المؤثرة فى نمو السكان وهى بصفة عامة أهم المؤشرات للاحوال الصحية ولمستوياتها السائدة فى أى منطقة ، كما أن الوفيات تسهم فى دراسة النمو السكاني ، حيث يعد الفرق بين المواليد والوفيات العامل الرئيسى فى هذا النمو.

ويوضح الجدول رقم (١٢) والشكل رقم ٢٥ أن معدلات الوفيات لمدينة قسنطينة قد اعتراها هبوط ملحوظ وبصفة عامة بعد سنوات الاستقلال (بعد ١٩٦٢) بينما نجدها تبلغ معدلات عالية خلال سنوات الحرب (من ١٩٥٦ الى ١٩٦٠) ، وفي الفترة السابقة لها معدلات أكثر انخفاضا. وهكذا يمكن القول أن الاتجاه العام للوفيات في قسنطينة ينقسم الى ثلاثة مراحل أساسية هي :

١ ــ مرحلة ما قبل الحرب التحريرية من ١٩٤٨ الى ١٩٥٦، ويتميز فيها منحني الوفيات بتأرجحه هبوطا وصعودا بنسب متقاربة، حيث بلغ أدنى مستوى في هذه الفترة ٢ر٢٨ فى الالف عام ١٩٥٥ بينما بلغ أقصاه في هذه الفترة ٨ر٣٧ فى الالف عام ١٩٥٦ .

٢ ــ مرحلة الحرب التحريرية من ١٩٥٧ الى ١٩٦٢ ، وهي الفترة التى شهدت ارتفاعا واضحا في معدل الوفيات بالمدينة ، وهو ما يوضح أن هذه الحرب كانت من أعنف الحروب التي شهدتها الجزائر في تاريخها الحديث. ويظهر أثرها بوضوح في فناء عدد كبير من السكان حيث بلغت دروتها عام ١٩٥٨ حوالي ٥١ في الالف.

٣ ــ مرحلة الاستقلال ، وتمتد من ١٩٦٣ الى ١٩٧٨ وهي التي شهدت انخفاضا في معدل الوفيات وهو بلاشك يعكس تطور المستوى الصحي الذى شهدته المدينة في هذه المرحلة حيث هبطت الوفيات من ٥ر٣١ في الالف عام ١٩٦٣ الى ٨ر١٠ عام ١٩٧٨ مسجلة بذلك أدنى معدلاتها على الاطلاق.

الزيادة الطبيعية :

لا يمكن بأيهما كان أكثر تأثيرا في ارتفاع نسبة الزيادة الطبيعية التي تميزت بالارتفاع الملحوظ في الثلاثين سنة الاخيرة ، أهو نسبة ارتفاع المواليد أم انخفاض

نسبة الوفيات. حيث أن هذين العاملين يتعاونان على وجود هذه الظاهرة واستمرارها. الا انه من تحليل الجدول رقم (١٢) والشكل رقم (٢٥) يمكننا ترجيح احد العاملين على الاخر في بعض الفترات. حيث نجد أن ارتفاع نسبة المواليد في رفع نسبة الزيادة الطبيعية يكون أكثر وضوحا في سنوات ٦٣ – ٦٤ – ٦٥ – ٦٦ – ٦٧ – ٧٥ – ٧٨، بينما نجد اثر ارتفاع الوفيات في خفض نسبة الزيادة الطبيعية واضحا في عامي ٤٨ و ٤٩ و ١٩٥٠، كما نلاحظ أن الفترة ٧٨/٦٣ تعد نموذجا حيا لاشتراك نسبة المواليد والوفيات معا في رفع نسبة الزيادة الطبيعية وهو مؤشر يدل على أن قسنطينة مقبلة على معدلات للنمو أكثر ارتفاعا مما شهدته من قبل، بسبب الارتفاع التدريجي لنسبة الزيادة الطبيعية.

كما يلاحظ بالنسبة للزيادة الطبيعية أنها سجلت أدنى نسبة لها عام ١٩٤٩ (١٣ر٩ في الالف) وأعلى نسبة لها ١٩٦٣ (٧١ر٦ في الالف) كما يلاحظ أن الزيادة الطبيعية هي الاخرى تشهد اتجاها عاما نحو الارتفاع، ففي الففترة من ١٩٤٨ الى ١٩٥٤ كانت ٢٥ في الالف بينما أصبحت في الفترة ١٩٦٠/٥٤ حوالي ٤٠ في الالف، لتصل الى حوالي ٦٠ في الالف في الفترة ١٩٦٦/٦٠، وهذا ناتج طبعا عن ارتفاع نسبة المواليد وانخفاض نسبة الوفيات.

الهجرة:

المقصود بالهجرة عموما، الانتقال من مكان الى آخر في سبيل حياة أفضل ولهذا كانت الهجرة عنصرا من العناصر الرئيسية للدراسة الديموغرافية المرتبطة بتغير حجم السكان. وتغير خصائصهم الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية. وهنا لابد لنا من التساؤل عما اذا كانت الهجرة في الجزائر ناتجة عن عوامل الجذب الكامنة في المدن أم عن عوامل الطرد الواضحة في الريف؟ والاجابة عن ذلك أن المدن الاوروبية قد نمت حضريا نتيجة لعوامل الجذب ومن ثم فلم يكن النمو الحضرى في تلك المدن مصحوبا بالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية الحادة غير أن الوضع في الجزائر لم يكن كذلك بسبب الاحتلال الاستعمارى من جهة، ولانها دولة نامية من جهة أخرى، ولهذا تحققت الهجرة على أساس عوامل الطرد من الارياف، نتيجة الحرب ابان الاحتلال، ونتيجة عجز الاقتصاد الريفي بعد ذلك عن ضمان العيش الكريم لسكانه، ومن هنا كانت الهجرة عنصرا هاما وفعالا في نمو سكان المدن الجزائرية.

وتعتمد دراسة الهجرة على مصدر احصائي واحد هو التعداد السكاني حيث تستخدم جداول محال الميلاد بمكان الاقامة وقت التعداد، وهي تهمل كل التحركات التي وقعت قبل ذلك التاريخ. وهكذا فان تعداد ١٩٦٦ الذى اعتمد عليه الباحث في دراسة الهجرة، قد شمل الفترة حتى تعداد ١٩٦٦ من تاريخ ١٩٦٢/٧/١ (أربع سنوات). وهي فترة معقولة لاعطاء فكرة عن حجم الهجرة وجهة حركتها فقط.

وعلى ضوء ما جاء في هذا التعداد من بيانات، قام الباحث بمعالجة مشكل الهجرة من وجهتين لاستخلاص النتائج التي تخدم البحث وهي:

ـ الطريقة الاولى: ـ وتقوم هذه الطريقة على تقدير الهجرة بين تعدادين بحساب الزيادة العامة في حجم السكان، ومقارنتها بالزيادة الطبيعية المستخلصة من واقع الاحصاءات الحيوية، حيث أن طرح الزيادة الطبيعية من الزيادة العامة يعطينا تقديرا لصافي الهجرة خلال فترة ما بين التعدادين.

وقد التجأ الباحث في هذا الموضوع ـ أمام غياب معدلات الزيادة الطبيعية الخاصة بالمدينة ـ الى تطبيق المعدلات المتوسطة للزيادة الطبيعية على المستوى الوطني ـ وهي المعدلات التي وضعت على أساس بيانات الحالة المدنية في مختلف التعدادات لقياس الزيادة الطبيعية في الجزائر ـ وتطبيق هذه المعدلات على قسنطينة (*)، يقوم على افتراض أن معدلات الوفيات والمواليد في المدينة تماثل نظيرها على المستوى الوطني وهو افتراض تقريبي، ولكنه بالنسبة للمعلومات المتوفرة يبقى الطريق الوحيد لابراز مفعول الهجرة في حجم المدينة، وبهذه الطريقة نحصل بالنسبة لكل فترة تعداد على الزيادة الكلية (الفرق بين التعدادين) وعند مقارنتها بمعدلات الهجرة (الجدول رقم ١٤) نلاحظ ما يلي:

(*) استخدام الباحث في هذا الموضوع على المعادلة التالية التي توضح الفرق بين النمو العام للسكان ونموهم الطبيعي: $1.E-(P_2-P_1)-(N-D)$
حيث $1.E$ هو صافي الهجرة P_1 عدد السكان في التعداد السابق P_2 عدد السكان في التعدادا اللاحق.
D الوفيات فى الفترة التعدادية N المواليد في الفترة التعدادية.

جدول رقم ١٤

نصيب الزيادة الطبيعية والهجرة في نمو سكان قسنطينة من ١٩٢٦ الى ١٩٦٦

فترة التعداد	الزيادة الكلية	الزيادة الطبيعية	تقديرات الهجرة	المتوسط النسوى للهجرة	٪الهجرة
١٩٣٦/٢٦	٩٢٧٧	٧٥٠٤	١٧٧٣	١٧٧	٣ر٢
١٩٤٨/٣٦	٢١٠٠٣	١٤٥٧٧	٧٤٢٥	٥٧١	٩ر٦
١٩٥٢/٤٨	٢٥٥٧٠	١٢٨١٥	١٢٧٥٥	٢١٢٦	١٢ر٤
١٩٦٠/٥٤	٨١٥٤٦	١٤٦٠١	٦٦٩٤٠	١١١٥٧	٣٦ر٠
١٩٦٦/٦٠	٦٦٥٥٦	٢٩٩٦٥	٣٦٥٩١	٦١١٨	١٢ر٢

١ ـ يزداد أثر الهجرة بصفة تصاعدية ابتداء من ١٩٢٦ حيث يبلغ أقصاه في الفترة السابقة للاستقلال ، فيلاحظ أن الهجرة تمثل ٣٦٪ من جملة زيادة سكان المدينة في تعداد ١٩٦٠ ، وسبب ذلك يعود الى حالة الحرب التي كانت سائدة في اقليم المدينة والتي ترتب عنها تشريد الالاف من السكان الذين هربوا الى المدن بحثا عن الاستقرار والامن .

٢ ـ تميزت الفترة من ٢٦ الى ١٩٣٦ ـ بنسبة ضعيفة حوالي ٢ر٣٪ فقط وسبب ذلك أن حركة الهجرة في هذه الفترة كانت باتجاه المدن الساحلية ، حيث يذكر نوشي أن هذه الفترة تميزت بسنوات قحط زراعي كبير ، تناقص فيها انتاج القمح بحوالي الثلثين ، مما أدى بالفلاحين الى بيع أراضيهم للاوروبيين ، كما تسبب الجفاف من جهة أخرى في موت عدد كبير من قطعان الماشية (من حوالي ٨ مليون رأس عام ١٩١٩ الى حوالي ٥ر٣ مليون رأس فقط عام ١٩٢٧) ، وهذا ما دفع بالفلاحين الى الهجرة نحو المدن الساحلية التي تعرضت بصفة أقل للجفاف أو الى فرنسا والدليل على ذلك أن معدل النحو السنوى لشرق الوطن في هذه الفترة بلغ حوالي ٩ر١٪ وبالنسبة للمدن الكبرى حوالي ٥ر٣٪ مقابل ٨ر١٪ فقط بالنسبة لقسنطينة (١١) .

---

(11) Noushi A. Niveau devie de la population Constantinoise. Paris 1967, p. 68.

٣ ـ تميزت الفترة من ٣٦ ـ ١٩٤٨ بمعدل أكثر ارتفاعا عن الفترة السابقة حوالي ٦ر٩٪ وذلك بسبب عمليات الاضطهاد والحروب المتبوعة بالقمع ، بالاضافة الى انعكاسات الحرب العالمية الثانية التي شلت الحياة الاقتصادية. ولهذا كانت نسبة الهجرة قليلة نوعا.

٤ ـ تميزت الفترة ٤٨ ـ ١٩٥٢ بارتفاع محسوس في نسبة الهجرة ٤ر١٢٪ بعد عودة الحياة الاقتصادية الى حالتها الطبيعية بالمدينة. وعودة عدد كبير من المجندين في الجيش الفرنسي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية والانتقال بعائلاتهم الى المدن بحثا عن العمل.

٥ ـ في الفقرة ١٩٦٠/١٩٥٤ و١٩٦٦/٦٠ ـ شهدت جل المدن الجزائرية تضخما كبيرا نتيجة اشتداد ضراوة الحرب بعد اندلاع الثورة المسلحة اذ اسهمت ولاول مرة بنسب تفوق جدا نسب الزيادة الطبيعية. (في الفترة الاولى كانت الزيادة العامة حوالي ٨١٥٤٦ نسمة من بينهم ٦٦٩٤٥ نسمة هجرة مقابل ١٤٦٠١ نسمة للزيادة الطبيعية). وبالنسبة للفترة الثانية كان عدد المهاجرين ٣٦٥٩١ نسمة مقابل ٢٩٩٦٥ فقط للزيادة الطبيعية.

٦ ـ يلاحظ أن الهجرة كانت أكثر اسهاما في نمو سكان المدينة من الزيادة الطبيعية من ١٩٥٤ وحتى سنة ١٩٦٦ ، وهي الفترة التي توافق حرب التحرير الوطني وبداية عهد الاستقلال ، بينما كان أثر الزيادة الطبيعية في النمو السكاني للمدينة أكثر وضوحا في السنوات السابقة لذلك.

ـ الطريقة الثانية ـ وهي تحديد مكان الاقامة، وهي من أهم الطرق في تقدير الهجرة نظرا لتوفر بياناتها بالسؤال الخاص بمحل الاقامة في التعداد وهي تمكننا من معرفة مدى قدرة المدينة على استقطاب السكان ومقدار تفاعلها مع الاقليم وأى الجهات أكثر ارتباطا بالمدينة، ومن ثم تفسير هذه العلاقة اجتماعيا واقتصاديا وبالتالي استخلاص النتائج المترتبة على ذلك.

ويتضح من الجدول رقم (١٥) والشكلين (٢٧ و ٢٨) ما يلي :

١ ـ بالنسبة للهجرة الوافدة الى قسنطينة، يلاحظ أن مدينة عنابة تأتي في مقدمة المناطق الحضرية بالجزائر والتي أسهمت في الهجرة الى قسنطينة حيث بلغ عددهم ٢٣٣٨ شخصا وهو ما يعادل ٣ر٣٢٪ في جملة المهاجرين الوافدين، ويليها في ذلك الاوراس التي أسهمت بحوالي ٨ر٢٠٪ ثم بعد ذلك سطيف التي بلغت

نسبة المهاجرين منها ٨ر١٩٪، ومعنى هذا أن هذه المناطق الحضرية الثلاثة قد أسهمت مجتمعة بنحو ٩ر٧٢٪ من جملة المهاجرين الوافدين الى قسنطينة، وهذه المناطق الثلاثة تجاور مدينة قسنطينة، مما يجعل عامل المسافة ذا أهمية كبيرة في عملية الهجرة، حيث تقوم المسافات القصيرة بدور كبير في وفود المهاجرين الى المدينة، بالاضافة الى عوامل الطرد الاخرى الكامنة في تلك المناطق. وتأتي بعد ذلك فى الترتيب الجزائر العاصمة وتيزى وزو والواحات والتي تسهم مجتمعة بحوالي ٤ر٢٢٪ من المهاجرين. كما يلاحظ ضعف مساهمة المناطق البعيدة كالاصنام والمدية وتلمسان (الواقعة غرب الوطن) في نسبة المهاجرين حوالي ٧ر٤٪ فقط.

٢ ـ اذا كانت قسنطينة قد استقبلت ٧٢٣٩ مهاجرا، فانها قد خرج منها في الوقت ذاته عدد كبير من المهاجرين الى المناطق الحضرية الاخرى بلغ عددهم حوالي ٣٠٣١٧ نسمة وهم الاشخاص الذين كانوا يقيمون بقسنطينة في تاريخ ١٩٦٢/٧/١، ثم عدوا في مناطق حضرية أخرى وقت التعداد. وأكثر المناطق الحضرية اجتذابا للمهاجرين من قسنطينة هي منطقة الجزائر العاصمة التي اجتذبت بمفردها حوالي ٦٥٪ من جملة الخارجين من المدينة (١٩٧١٦ شخصا). ويرتبط ذلك بعوامل تاريخية وجغرافية واقتصادية أهمها أن منطقة العاصمة كانت دائما مقرا للحكومة، وأن توفير المواصلات والخدمات بها وعلى وجه خاص المعاهد العلمية من معاهد وجامعات، زاد قيمتها الجغرافية بالاضافة الى تركز الكثير من الصناعات الجديدة والتجارة وما يوفره ذلك من فرص العمل والتكوين.

ويليها في الترتيب منطقة عنابة التي تستقبل حوالي ٣ر١٨٪ من جملة الخارجين من المدينة، وذلك نتيجة تطور الصناعة في هذه المنطقة في بداية تطبيق المخطط الثاني للتنمية والذى جعل من عنابة أهم وأضخم منطقة صناعية بالشرق الجزائرى (*)، ويأتي بعدها كل من منطقة الاوراس وسطيف اللتين تسهمان بحوالي ٩ر١٤٪ من جملة المهاجرين من المدينة وهنا يدخل عامل المسافة الذى كان له تأثير واضح على اتجاه تيارات الهجرة الخارجة من قسنطينة بالاضافة الى العامل الاقتصادى. كما تسهم منطقة وهران بحوالي ٩ر٣٪ من هذه الهجرة رغم بعدها الكبير عن قسنطينة (حوالي ٩٠٠كلم) والسبب في ذلك ربما يعود الى العامل الاقتصادى حيث تعتبر وهران بالاضافة الى الجزائر العاصمة

(*) على سبيل المثال نذكر مركب صناعة الحديد والصلب بالحجار الذى يشغل ١٥ ألف عاملا بالاضافة الى مركب الاسمدة الفوسفاتية (حوالي ٨ آلاف عامل)

اكبر المدن الجزائرية من حيث عدد السكان (الجزائر ٩٤٣٥٥١ نسمة وهران ٣٢٦٧٠٦ نسمة عام ١٩٦٦) . بالاضافة الى كونها أعلى مناطق الجذب السكاني ، وهكذا يمكن القول أن حجم الهجرة هنا تأثر بكل من حجم السكان وجملة من العوامل الاخرى.

جدول رقم (١٥)

. الهجرة من قسنطينة واليها من المناطق الحضرية بالجزائر عام ١٩٦٦ حسب مكان الاقامة(١٢)

المناطق الحضرية	الى قسنطينة	من قسنطينة
عنابة	٢٣٣٨	٥٥٤٤
الاوراس	١٥٠٨	١٢٣٣
الاصنام	٧٥	١٤٥
المدية	٧٥	٣١٩
مستغانم	٣٨	٧٤
الواحات	٤٥٢	٢٧١
وهران	١١٣	١١٨٢
سعيدة	—	٢٩
الساورة	—	١٨
سطيف	١٤٣٣	١٥٤١
تيارت	—	٢٨
تيزى وزو	٣٧٧	١٥٧
تلمسان	٣٨	٦٠
الجزائر	٧٩٢	١٩٧١٦
المجموع	٧٢٣٩	٣٠٣١٧
صافي الهجرة	—٢٣٠٧٨	

---

(12) Démographie Algérienne. op. cit., p. 41.

جدول رقم (١٦)

عدد المهاجرين الداخلين الى قسنطينة من خارج الدولة
عام ١٩٦٦ (١٣)

البلد	عدد المهاجرين
تونس	٢٣٥٨
المغرب	١١٩
فرنسا	١٨٤٩
البلاد العربية	٢٤٩
بقية أنحاء العالم	١٩٧
المجموع	٤٧٣٣

---

(13) Ibid p. 41.

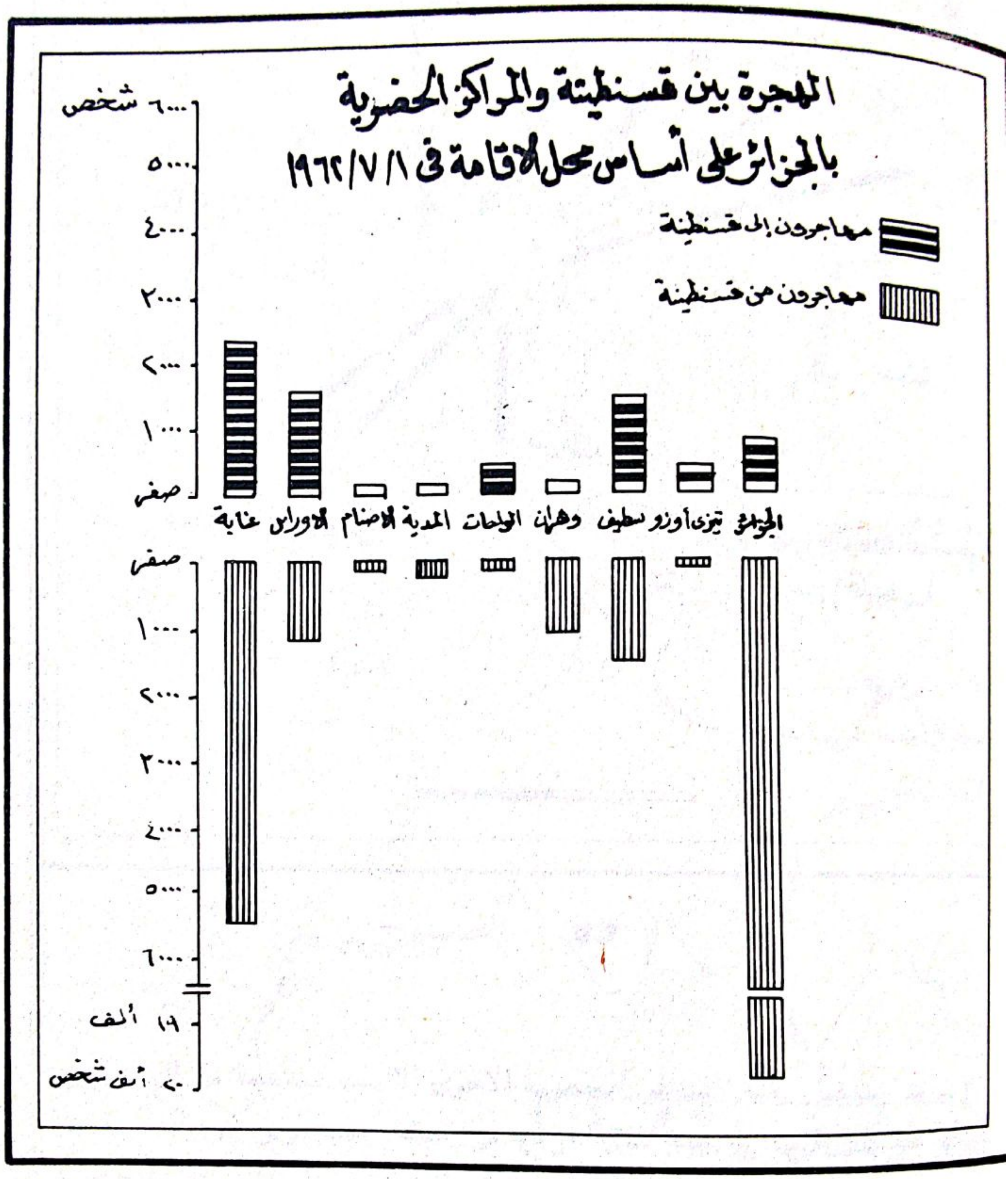
الهجرة بين قسنطينة والمراكز الحضرية
بالجزائر على أساس محل الاقامة فى ١٩٦٢/٧/١
مهاجرون إلى قسنطينة
مهاجرون من قسنطينة
٦٠٠٠ شخص
٥٠٠٠
٤٠٠٠
٣٠٠٠
٢٠٠٠
١٠٠٠
صفر
عنابة
الاوراس
الاصنام
المدية
الواحات
وهران
سطيف
تيزى أوزو
الجزائر
صفر
١٠٠٠
٢٠٠٠
٣٠٠٠
٤٠٠٠
٥٠٠٠
٦٠٠٠
١٩ ألف
٢٠ ألف شخص

شكل « ٢٧ »

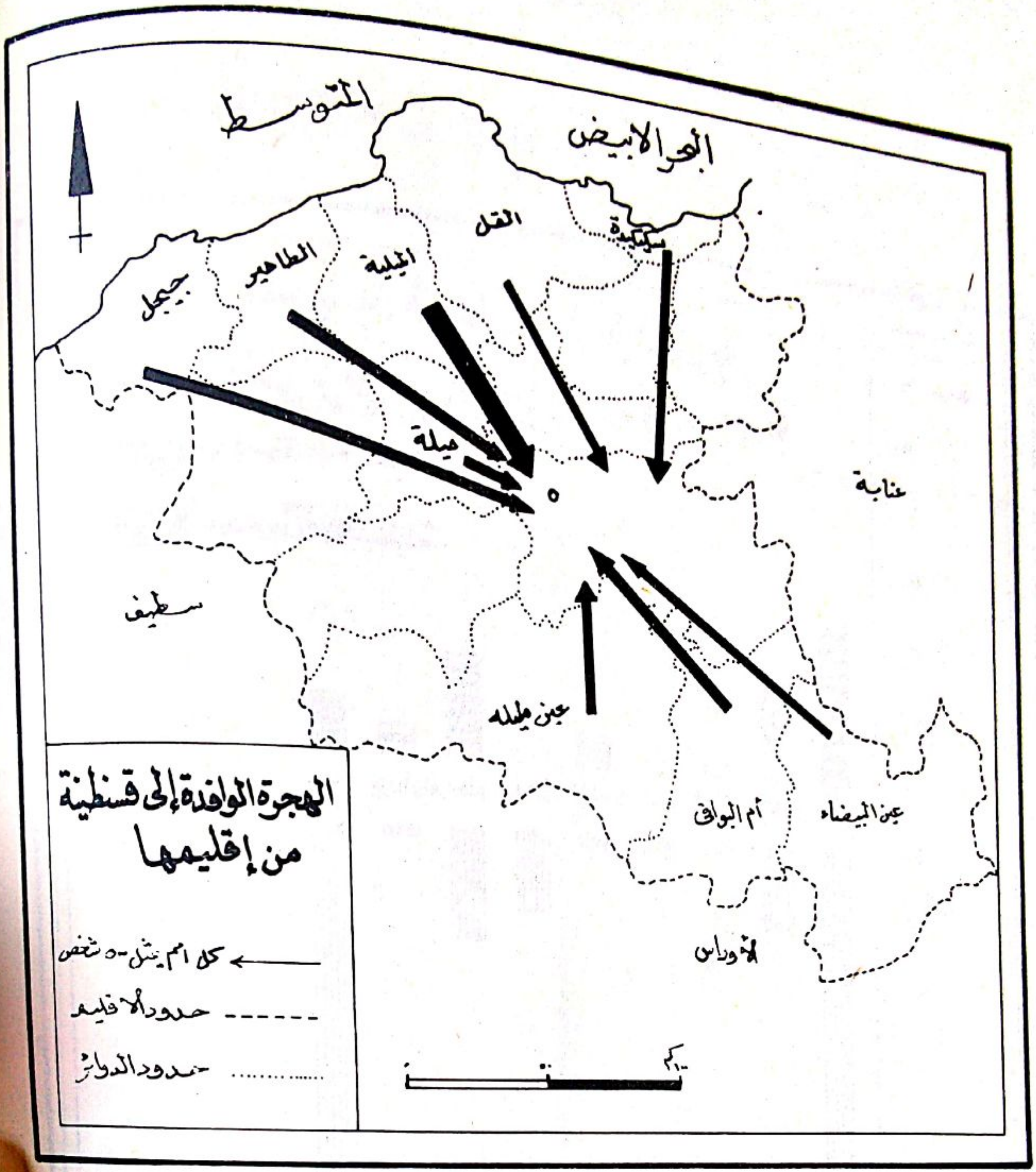
البحر الابيض المتوسط
جيجل
الطاهير
الميلية
القل
سكيكدة
ميلة
عنابة
سطيف
عين مليلة
أم البواقي
عين البيضاء
الأوراس
الهجرة الوافدة إلى قسنطينة من إقليمها
كل ١مم يمثل ٥٠ شخص
حدود الاقليم
حدود الدوائر
٠
٥
١٠كم

شكل « ٢٧ »

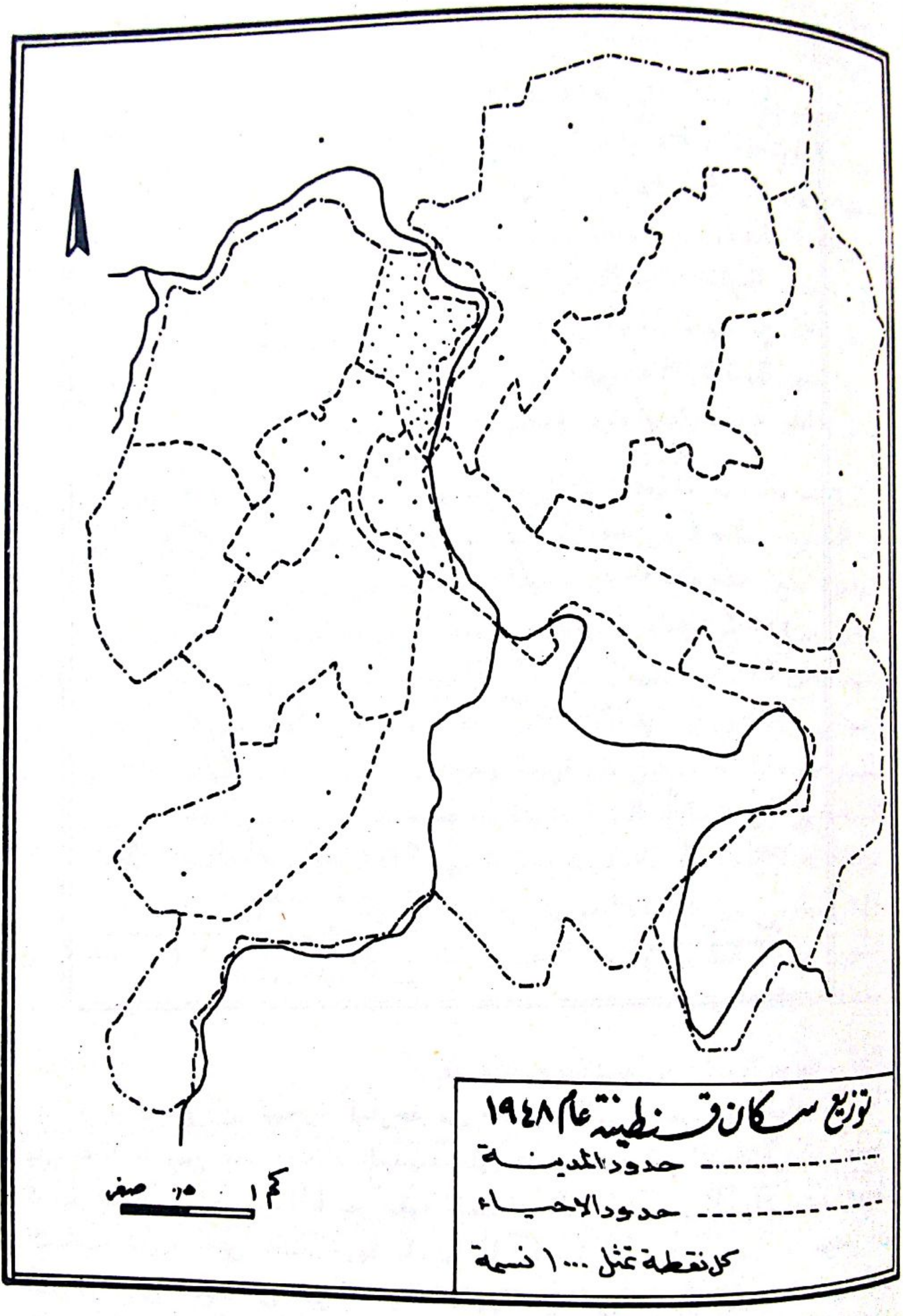

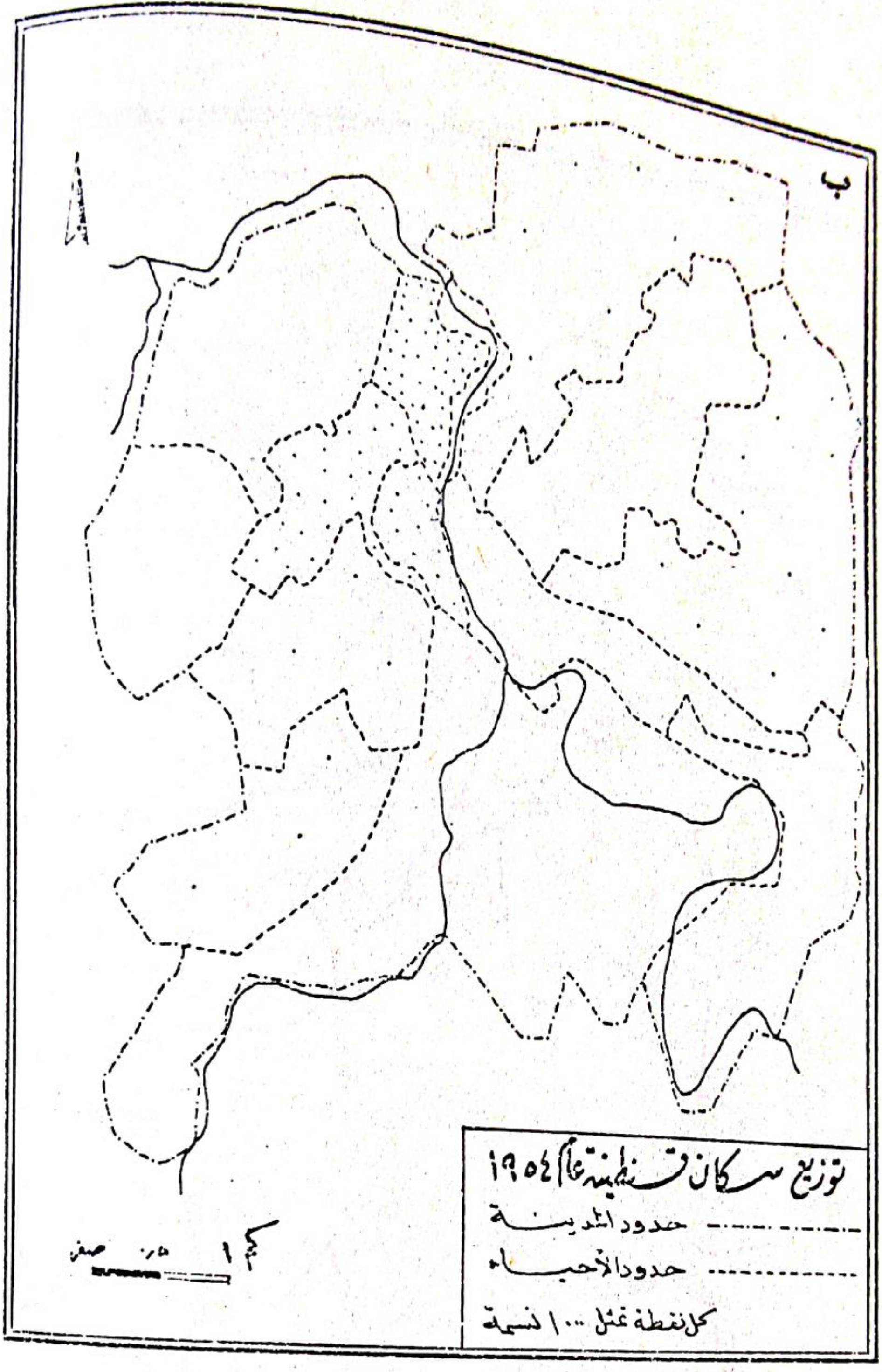
ب
توزيع سكان قسنطينة عام ١٩٥٤
حدود المدينة
حدود الأحياء
كل نقطة تمثل ١٠٠ نسمة
١ كم
٠،٥
صفر

٤ – يتضح أن الهجرة النازحة من المدينة أكثر أهمية من الوافدة اليها، وفي هذا ما يبرز عجز اقتصاد المدينة على توفير متطلبات الاستقرار بها. ولهذا كانت قسنطينة تخسر سكانا مع بقية المناطق الحضرية في الجزائر رغم عوامل الجذب القوية التي تكمن فيها باعتبارها عاصمة اقليمية، وهذا ما يوضح أن الهجرة التي تسهم في نمو المدينة أغلبها من الارياف، ودليل ذلك أن بعض الارقام الخاصة بالهجرة الوافدة الى المدينة سنة ١٩٦٦ من المناطق الريفية تبلغ معدلات عالية، حيث أن عدد المهاجرين الى المدينة من دائرتها بلغ

حوالي ١٨٨٥٠٠ نسمة ، بالاضافة الى ١٥٦٠ شخصا من منطقة الميلية و ٨٥٠ من ميله و ٦٦٠ من عين مليلة ، ٧٧٠ من جيجل ، ٥٥٠ من سكيدة و ٤٤٠ من القل (١٤) . ومعنى هذا أن حوالي ١٩٣٣٣٠ نسمة من سكان قسنطينة قدموا اليها من مناطقها الريفية الداخلة تحت نفوذها الادارى والاقتصادى .

٥ ــ بالاعتماد على هذه المعطيات يتضح أن صافي الهجرة يكون لصالح المدينة وبنسبة عالية وان كان يعود في الاساس الى قدوم أعداد كبيرة من المهاجرين الى المدينة من الارياف القريبة . وذلك بسبب التفاوت الواضح في الظروف السائدة بين المدينة واقليمها ، وهذه الظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة لكل المدن الهامة بالجزائر والمتميزة بظهور تيارات رئيسية سائدة تتجه نحو المدن الكبرى بينما نجد أن المدينة تسجل خسارة هامة في التبادل السكاني بينها وبين المناطق الحضرية ، لان هذه الاخيرة بظروفها الاقتصادية والاجتماعية تشكل مناطق جذب وليس طرد للسكان تجاه قسنطينة .

٦ ــ بالنسبة للهجرة الخارجية ــ والمقصود بها الهجرة الوافدة لقسنطينة من الخارج ، يلاحظ من جدول رقم (١٦) أن جملة المهاجرين من الخارج الى المدينة بلغ عددهم ٤٧٣٣ شخصا ، أغلبهم من تونس (حوالي ٢٣٥٨ شخصا حوالي ٤٩ر٨٪ من جملة المهاجرين . وقد استقر معظمهم من أجل الكسب المادى ، ولهذا فان أغلبهم يشتغل بالاعمال الحرة والتجارة ، ويقوم عامل قرب المسافة (حوالي ٢٣٠كلم عن العاصمة تونس) بدور هام في ارتفاع نسبة هؤلاء المهاجرين يليهم في ذلك القادمون من فرنسا (حوالي ١٨٤٩ شخصا) حوالي ٣٩٪ من جملة المهاجرين من الخارج الى المدينة ومعظمهم من المتعاونين العاملين في مختلف القطاعات الاقتصادية بالمدينة وخاصة في التعليم . كما وفد على قسنطينة حوالي ٢٤٩ مهاجر من البلاد العربية (باستثناء تونس) حوالي ٣ر٤٪ ومعظمهم من الذين جاءوا للمدينة بقصد التعاون الثقافي والفني . وأخيرا ١٩٧ شخصا من مختلف جهات العالم .

ثانيا ــ توزيع السكان في قسنطينة وكثافتهم :

يعكس توزيع السكان وكثافتهم في المدينة ، الصورة الحقيقية لتفاعل العناصر الجغرافية الطبيعية والبشرية فيها . اذ أن لعامل التوزيع علاقة قوية بنمو وتطور أحياء المدينة ، كما أن الكثافة تعد نتاجا للعلاقة بين المساحة وعدد السكان .

---

(14) CNRP. Recensement de 1966.

١ ـ توزيع السكـان :

يختلف توزيع السكان في مدينة قسنطينة من مكان لاخر، حيث يخضع هذا التوزيع لجملة من العوامل ترتبط بالنمو العمراني للمدينة وزيادة حجمها السكاني ، حيث اتضح في دراسة نمو المدينة في مختلف المراحل التي مرت بها، ان منطقة المدينة القديمة وما جاورها عرفت نموا سكانيا كبيرا على امتداد الفترة التي نمت فيها المدينة وحتى قبيل سنة ١٩٣٠ حيث بدأ العمران يزحف نحو الاطراف جاذبا معه اعدادا كبيرة من السكان .

ويتضح من الجدول رقم (١٧) والاشكال رقم ٢٩ و ٣٠ التي يوضح التطور النسبي لتوزيع السكان في أحياء مدينة قسنطينة من ١٩٤٨ الى ١٩٧٧ ما يلي:

١ ـ ان الاحياء القديمة عمرانيا مثل المدينة القديمة والكودياء كان يتركز بها ما يقرب من نصف سكان المدينة، في عام ١٩٤٨ و ١٩٥٤ (حوالي ٤٨٪ و ٤٧ر٤٪ على التوالي) ، ثم بدأ وزن هذه الاحياء يتناقص من حيث أهمية حجم سكانها بالنسبة لمجمل سكان المدينة، حيث أصبحت في عام ٦٦ لا تمثل سوى ثلث سكان المدينة تقريبا (٣٢ر٥٪) وفي ١٩٧٧ حوالي (٣١ر٧٪) .

٢ ـ يلاحظ أن الاحياء الجديدة بدأت تتصدر أحياء قسنطينة من حيث عدد السكان في ١٩٧٧ حيث أصبح حي سيدى مبروك يحتل المرتبة الاولى بحوالي ١٠٧٠٠٠ نسمة وهو ما يقرب من ثلث سكان المدينة حتى هذا التاريخ، وذلك بعد أن ظلت المدينة القديمة تحتل هذه المرتبة حتى سنة ١٩٦٦ وسبب ذلك أن المدينة القديمة لم تكن تتوفر على فراغات عمرانية يمكن أن تتوسع على حسابها، بينما صحب اتساع النطاق العمراني لبقية الاحياء زيادة في حجم سكانها.

٣ ـ على هذا الاساس، ومن الجدول رقم (١٧) يمكن أن نقسم أحياء المدينة من حيث تطور عدد السكان الى مجموعتين ، الاولى تضم الاحياء التي أدت زيادة السكان فيها الى تضاعف حجمها العددى تقريبا وهي أحياء الكودياء والمنظر الجميل والقنطرة وسيدى مبروك . والمجموعة الثانية تضم الاحياء التي كان النمو فيها بطيئا أو قليلا كالمدينة القديمة وباردو.

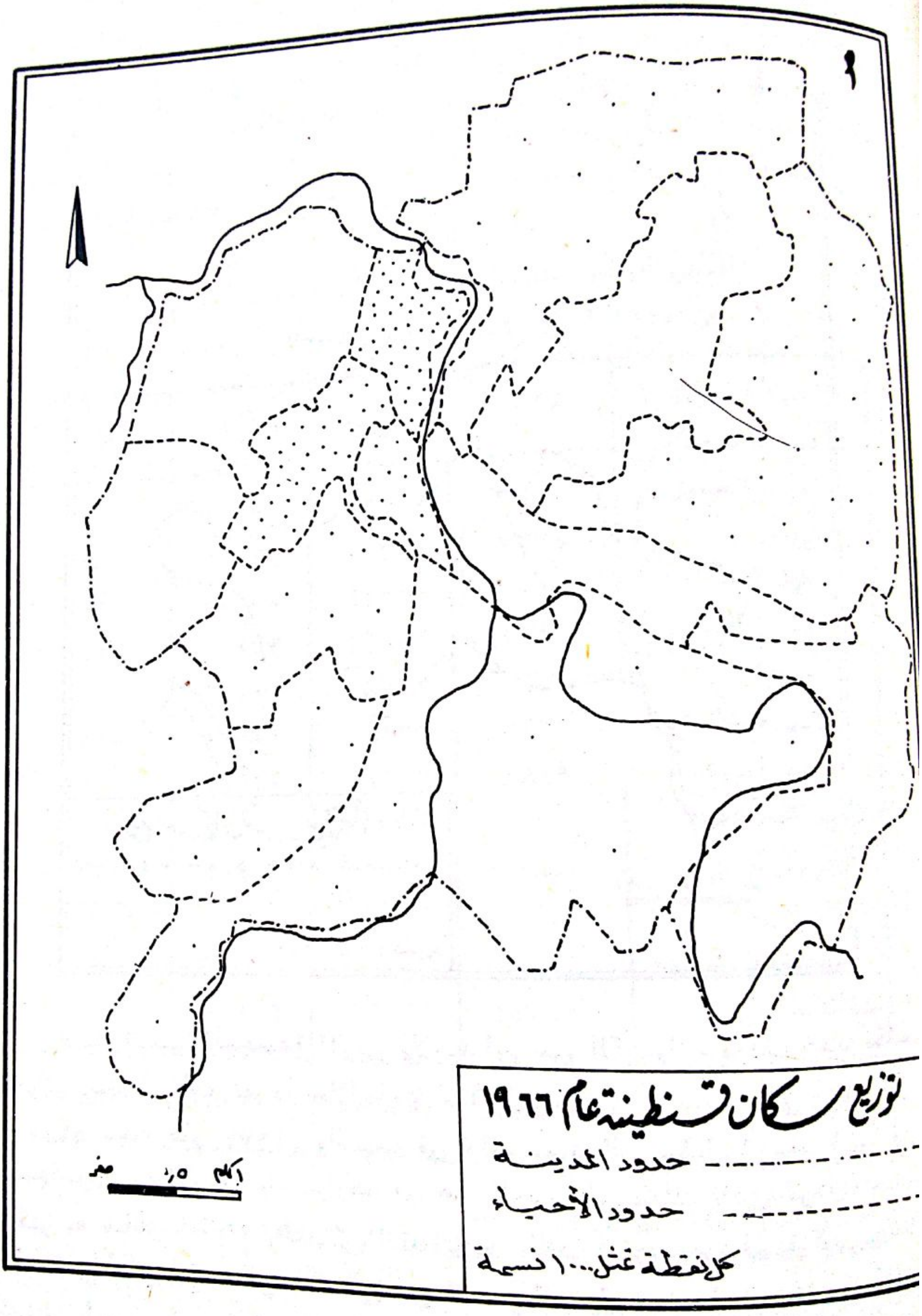

توزيع سكان قسنطينة عام ١٩٦٦

حدود المدينة
حدود الأحياء
كل نقطة تمثل ١٠٠٠ نسمة
صفر
٠,٥
١كلم

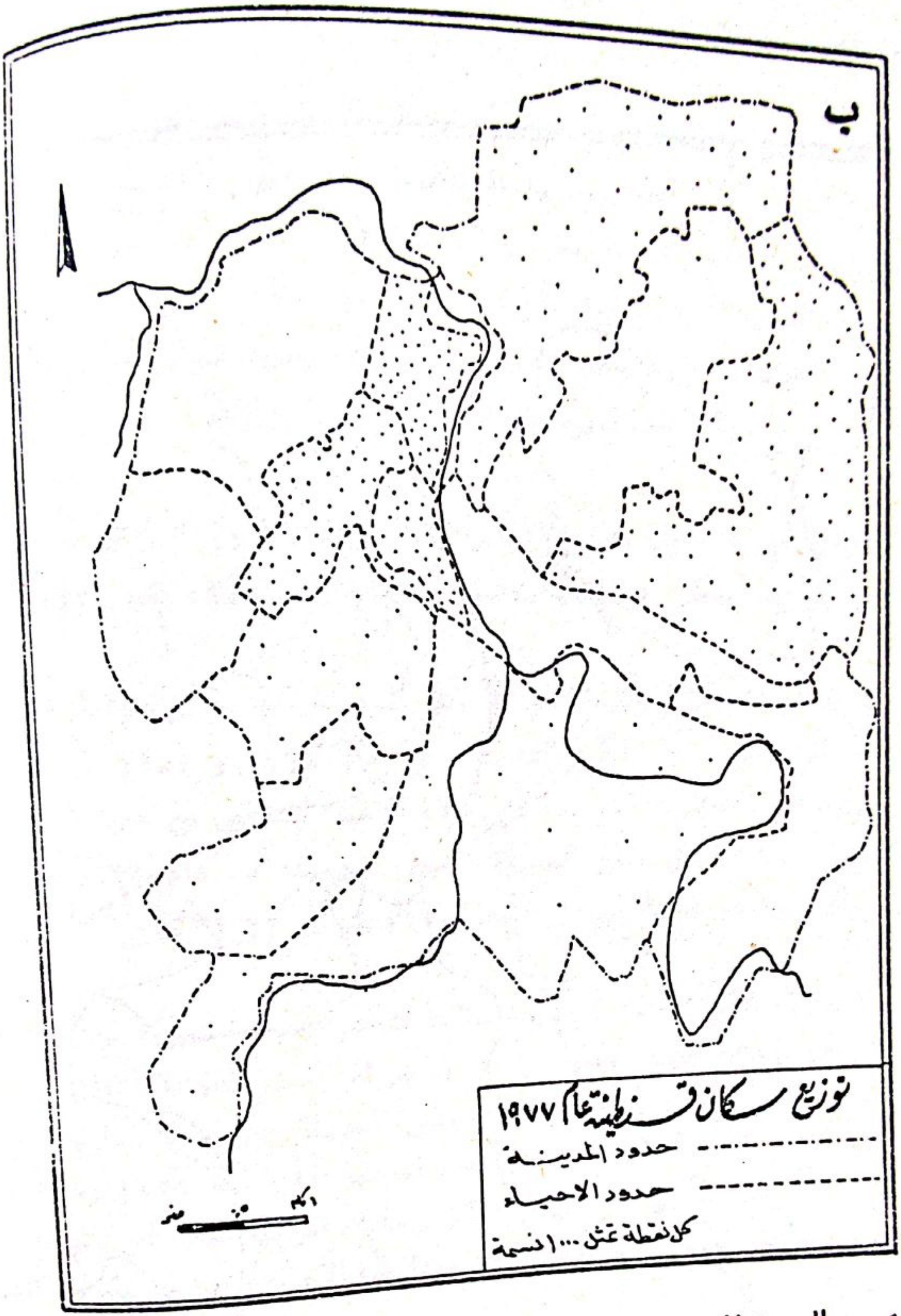
ب
توزيع سكان قسنطينة عام ١٩٧٧
حدود المدينة
حدود الاحياء
كل نقطة تمثل ١٠٠٠ نسمة
١كم
٥٠٠
متر

٤ – بالنسبة للمجموعة الاولى يلاحظ أن حي الكودياء تضاعف عدد سكانه حوالي ستة أضعاف تقريبا خلال ٣٠ سنة (من ١٠٢٤٨ نسمة عام ١٩٤٨ الى ٥٩٠٠٠ نسمة غام ١٩٧٧) والسبب في ذلك يعود الى حلول أعداد كبيرة من المهاجرين من الارياف واستقرارهم في هذا الحي على ضفاف وادى الرمال ، حيث تكثر به مناطق الاكواخ والمساكن القصديرية، الامر الذى جعل لهذا الحي نمطا حاصا في تركيبه الداخلي. كما أن حي المنظر الجميل قد تضاعف حجمه السكاني حوالي أربع مرات وكذلك الامر بالنسبة لحي سيدى مبروك الذى تضاعف حجمه السكاني بما يزيد عن ١١ مرة وذلك لكون الامتداد العمراني للمدينة ابتداء من

عام ١٩٦٠ سار في هذا الاتجاه (جنوب شرق المدينة) وضم مساحات فضاء واسعة في هضبة المنصورة وتل سيدى مبروك والـهيبودروم .

٥ ـ بالنسبة للمجموعة الثانية يلاحظ أن نصيبها في نسبة السكان بدأ يتناقص كلما تطور عمران المدينة ، حيث أن المدينة القديمة وصلت الى مرحلة التشبع السكاني منذ عام ١٩٤٨ ، حيث لم يتزايد عدد سكانها الا بنسبة ضئيلة جدا الامر الذى حولها الى منطقة طرد سكاني ، أما بالنسبة لبقية الاحياء فان نموها كان مطردا ويبدو انه سيستمر مستقبلا ما دامت المدينة آخذة في النمو والتوسع .

جدول رقم (١٧)

التطور النسبي لتوزيع السكان في أحياء مدينة قسنطينة
من ١٩٤٨ الى ١٩٧٧ تبعا للتعدادات الرسمية (١٥)

أحياء المدينة	١٩٤٨	١٩٥٤	١٩٦٦	١٩٧٧
المنظر الجميل	٦٨٦٨	٦٢٤٧	١٦٣٩١	٢٦٠٠٠
باردو	٧٢٢٥	١٠٣٠٤	١١١٢٦	٢٥٠٠٠
الكودياء	١٠٢٤٨	٢٣٤٩٠	٣٧٥٥٨	٥٩٠٠٠
المدينة القديمة	٤٤٣٩٠	٤٤٥٦٢	٤٣٩٧٧	٤٧٥٠٠
القنطرة	٦٢٨٠	٨٦٧٧	٢٠٧٠٢	
الامير عبدالقادر	٥٢٢٢	٦٩٣٢	١١٥٨٩	٤٤٧٠٧
سيدى مبروك	٨٦١١	١١١٠٣	٢٥٦٤٨	١٠٧٠٠٠
الاحياء الجديدة				
امريان البئر	—	—	١٤٩٠٦	٣٧٤٠٠
الزيادية	—	—	—	٣٢٠٠٠
الجامعة/ تويليز	—	—	٩١٣٥	١٩٧٠٠
بقية الضواحى	٢٥٤٩٤	٣٢٠١٩	٥٩٧٢٩	
المجموع	١١٤٣٣٨	١٤٣٣٣٤	٢٥٠٧٦١	٣٥٥٠٥٩

---

(١٥) بالنسبة لتعدادى ١٩٤٨ و ١٩٥٤ :
(15) Gouvernement Général de l'Algérie. Résultats Statistique du Recencement de 1948-1954. vol. 1. pp. 88-84.

- بالنسبة لتعداد ١٩٦٦
ETAU. P.U. Alger 1969, p.170.

- بالنسبة لتعداد ١٩٧٧
Resultats préliminaire du Recensement de 1977. APC, S/D des Statistiques. Constantine 1977.

٦ ـ يمكن أن نخلص مما تقدم الى أن احياء قسنطينة من حيث تطور نصيبها من السكان تستوجب الملاحظات التالية :ـ

ا ـ كل الاحياء وبدون استثناء اتجه نصيبها نحو التزايد وخاصة الاحياء الغربية والجنوبية الشرقية بفضل اتساع نطاق العمران بها وبناء مساكن جديدة.

ب ـ ان المدينة القديمة على الرغم من ثبات مساحتها قد شهدت زيادة بطيئة الامر الذى أدى بها الى بلوغ مرحلة التشبع ، وهذا يدل على أن قسما كبيرا من السكان يفضلون السكن في هذا الحي نظرا لاحتكاره للعديد من الخدمات والوظائف الهامة ٠

حـ ـ يلاحظ ان اتجاه السكان كان الى تعمير الاطراف الغربية والجنوبية الشرقية أكثر من الاطراف الشمالية والجنوبية طبقا للوضع الطوبغرافي ٠

د ـ يلاحظ التفاوت الكبير في عدد السكان بين الاحياء عام ١٩٦٦، فقد تراوحت نسبهم بين ٥ر٤٪ (حي باردو) و ٥ر١٧٪ (المدينة القديمة) من جهة سكان المدينة، أى أن الفرق بينهما يبلغ حوالي ١٣٪ بينما يبدو هذا التفاوت ضئيلا في تعداد ١٩٧٧ باستثناء حي سيدى مبروك ، حيث هبط الفرق بين أعلى توزيع وأدناه الى حوالي ٢ر٩٪ فقط ٠

التركز السكاني :

ان دراسة التوزيع العددى للسكان في أحياء مدينة قسنطينة ، يرتبط بدراسة التركز السكاني ، وهو ما يعني ميل السكان الى تركزهم في منطقة واحدة ، ضمن حدودها المعلومة ، أو الشتتت فيها٠ حيث ان القيمة في دراسة التوزيع ، تتمثل في مدى تركزه من ناحية ، وكثافته في منطقة ما من ناحية أخرى٠ وعند دراسة التركز السكاني ، نحصل على نتائج تلقي الضوء على مدى العلاقة بين التوزيع العددى للسكان ، ومساحة الرقعة التي يعيشون عليها ، اذ أنها ليست مجرد أرقام تذكر على مستوى المساحة الكلية ضمن حدودها الادارية٠ وتستخدم عدة أساليب احصائية لقياس التركيز السكاني من أهمها ما يعرف بنسبة التركز ومنحنى لورنز(١٦) Index De Consentration, Courbe De Lorentz ٠

---

(16) Garnier J. B. Géographie de la population, Paris 1972, p. 115.

ويوضح الجدول رقم (١٨) طريقة حساب التركز في قسنطينة حسب تعداد ١٩٦٦ اى العلاقة بين المساحة الكلية للاحياء وعدد سكانها حيث بلغت نسبة التركز ٢٦ر٧٪ (*) .

جدول رقم (١٨)

المساحة والسكان في قسنطينة عام ١٩٦٦ حسب الاحياء

الحي	المساحة كم٢	٪ في المساحة الكلية (س)	عدد السكان	٪ من جملة السكان (ص)	الفرق الموجب (س – ص)
المنظر الجميل	١ر٧١	١١ر٧	١٦٣٩١	٦ر٥	٥ر٢
باردو	٠ر٢٣	٢ر٠	١١١٢٦	٤ر٤	٢ر٤
الكودياء	١ر٦	١١ر٠	٣٧٥٥٨	١٤ر٩	٣ر٩
المدينة القديمة	٠ر٤٢	٢ر٨	٤٣٩٧٧	١٧ر٥	١٤ر٧
القنطرة	٠ر٨	٥ر٥	٢٠٧٠٢	٨ر٢	٢ر٧
الامير عبدالقادر	١ر٨٦	١٢ر٨	١١٥٨٩	٤ر٦	٨ر٢
سيدى مبروك	٣ر٤٥	٢٣ر٧	٢٥٦٤٨	١٠ر٢	١٣ر٥
بقية الضواحي	٤ر٤٣	٣٠ر٥	٨٣٧٧٠	٣٣ر٤	٢ر٩
الجملة	١٤ر٥٠	١٠٠ر٠	٢٥٠٧٦١	١٠٠ر٠	٥٣ر٢

(*) نسبة التركز = ٪ مج (س ½ ص)

حيث : س = النسبة المئوية لمساحة الحي الى جملة مساحة المدينة .

ص = النسبة المئوية لعدد سكان الحى الى جملة سكان المدينة .

مج = مجموع الفرق الموجب بين هذه النسب بعضها وبعض .

ومعنى ذلك ان توزيع السكان على مساحة المدينة غير متساو، حيث انه يكون مثاليا اذا كانت النسبة تساوى صفرا، وكلما زادت كان ذلك قرينة التوزيع غير المتساوى وازداد تركز السكان وليس تشتتهم .

٢ ـ كثافة السكان :

من الاهمية بمكان دراسة كثافة السكان التي تعتبر أحد المقاييس، لدرجة توزيع السكان على مساحة المدينة وهي موءشر لمدى استجابة الانسان للبيئة التي يعيش فيها ومقدار التفاعل بينهما .

ومن متابعة تطور كثافة السكان في احياء المدينة حسب تعدادات ١٩٤٨ و١٩٥٤ و ١٩٦٦ كما جاء في الجدول رقم (١٩) والشكل رقم (٣١) . يمكننا استخلاص النتائج التالية :

١ ـ تميزت ديناميكية الكثافة بتطور متزايد خلال التعدادات الثلاثة، حيث تدرج معدلها من ١٥٧ نسمة/ هكتار عام ٤٨ الى ١٩٧ نسمة/ هكتار عام ١٩٥٤ و ٢٩٥ نسمة/ هكتار عام ١٩٦٦ وهذا التدرج يتمشى مع حجم الزيادة السكانية الناتجة عن الزيادة الطبيعية والهجرة .

٢ ـ احتفظت المدينة القديمة خلال التعدادات الثلاثة بأقصى كثافة سكانية بين احياء المدينة، وذلك على الرغم من أنها اقل الاحياء من حيث نمو السكان ـ لكونها احتفظت طيلة هذه التعدادات بحجم سكاني متقارب ـ ويعود سبب ذلك الى كونها أقدم المناطق عمرانا في المدينة بالاضافة الى الدوافع المشجعة للسكن في هذا الحي حيث تتركز الاعمال ويسهل الانتقال دون استخدام وسائل النقل، ثم توفر الاسواق التجارية وسهولة المشتريات وقرب أماكن العبادة والادارة دون قطع مسافات كبيرة، الى جانب رخص الايجارات وتوفرها خاصة بالنسبة لذوى الدخل المحدود.

جدول رقم (١٩)

تطور كثافة السكان في أحياء قسنطينة
حسب تعدادات ٤٨ ــ ٥٤ ــ ١٩٦٦ (نسمة/ هكتار) (١٧)

الحــــي	١٩٤٨	١٩٥٤	١٩٦٦
المنظر الجميل	١٠١	٩٢	٢٤١
باردو	١٨٥	٢٦٤	٢٨٥
الكودياء	١٦٨	٣٨٥	٦١٦
المدينة القديمة	٨٨٨	٨٩١	٨٨٠
القنطرة	٥٨	٨٠	١٩٢
الامير عبدالقادر	١٤١	١٨٧	٣١٥
سيدى مبروك	٤٢	٥٥	١٢٦
معدل المدينة	١٥٧	١٩٧	١٩٥

٣ ــ الكثافة بالمدينة القديمة تزيد بحوالي أربعة أضعاف عنها في الاحياء الاخرى تقريبا. على الرغم من كون الكثافة في هذه الاحياء الاخيرة تزايدت بصورة محسوسة، تمشيا مع درجة نمو السكان من جهة واتساع نطاق العمران بها من جهة أخرى.

٤ ــ يوضح الجدول أن أقل الاحياء كثافة في السكان عام ١٩٦٦ هو حي القنطرة، بينما كان سيدى مبروك يمثل أقل الكثافات في تعدادى ٤٨ و ٥٤ وتفسير ذلك أنه خلال التعدادين السابقين كان حي سيدى مبروك يمثل طرف المدينة ولاتساع رقعته في ذلك الوقت انعكس ذلك على انخفاض الكثافة به، وبعد امتداد العمران به، والذى شغل مساحات كبيرة به كانت شاغرة ارتفع معدل الكثافة، أما بالنسبة لحي القنطرة فقد كان نمو الكثافة به بطيئا لكونه لم يشهد زيادة في رقعته.

---

(17) ETAU: P.U. op. cit., p. 95.

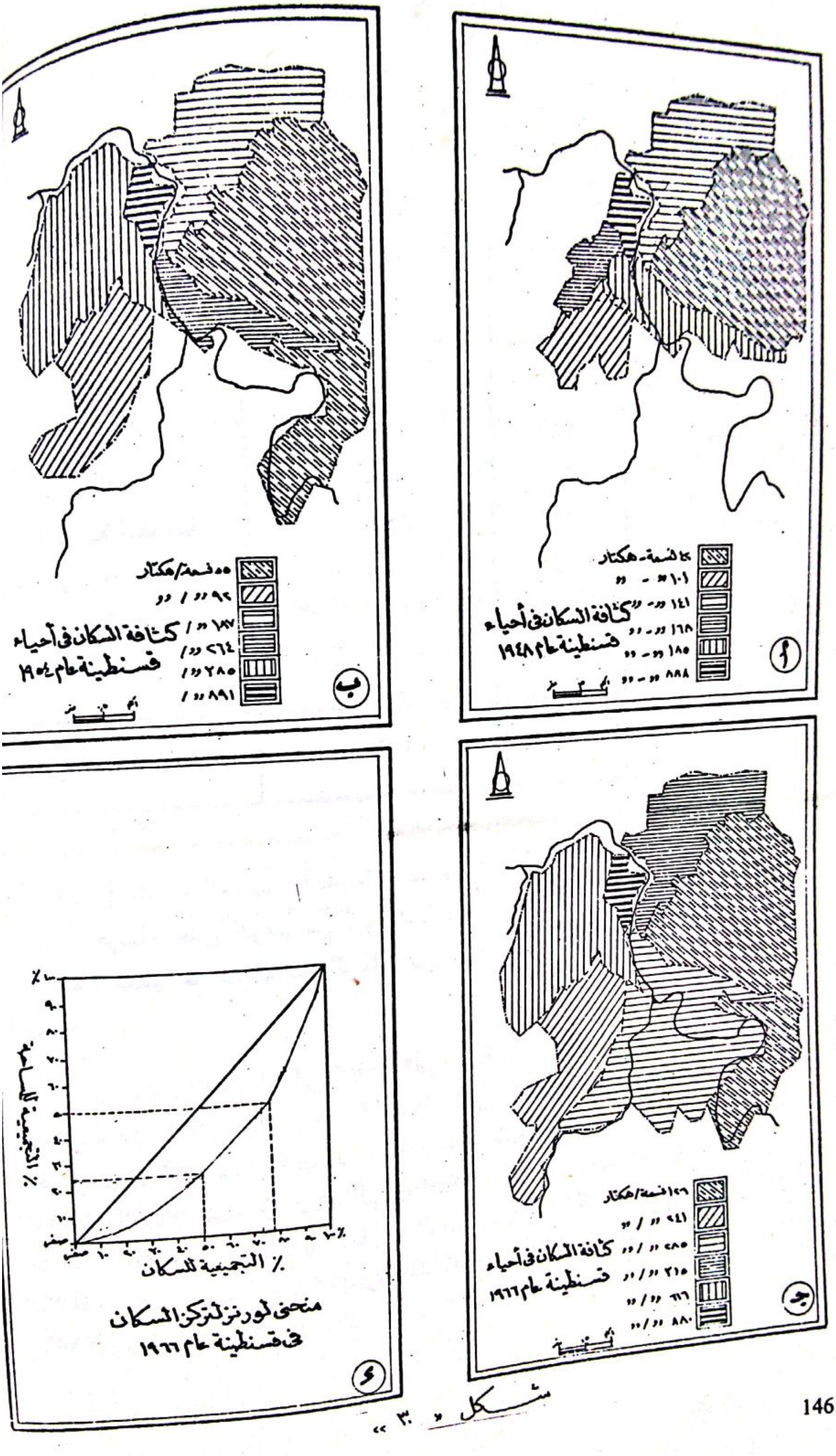أ
كثافة السكان في أحياء قسنطينة عام ١٩٤٨
١٠٠ نسمة - هكتار
١٠١ ,, - ,,
١٤١ ,, - ,,
١٦٨ ,, - ,,
١٨٥ ,, - ,,
٨٨٨ ,, - ,,
ب
كثافة السكان في أحياء قسنطينة عام ١٩٥٤
٥٥ نسمة/هكتار
٩٢ ,, / ,,
١٨٧ ,, /
٢٦٤ ,, /
٢٨٥ ,, /
٨٩١ ,, /
جـ
كثافة السكان في أحياء قسنطينة عام ١٩٦٦
١٢٦ نسمة/هكتار
٢٤١ ,, / ,,
٢٨٥ ,, / ,,
٢١٥ ,, / ,,
٦١٦ ,, / ,,
٨٨٠ ,, / ,,
د
منحنى لورنز لتركز السكان في قسنطينة عام ١٩٦٦
% التجميعية للمساحة
% التجميعية للسكان
صفر
١٠
٢٠
٣٠
٤٠
٥٠
٦٠
٧٠
٨٠
٩٠
١٠٠ %

شكل « ٣٠ »

ويمكن من دراسة تطور الكثافة بأحياء المدينة أن نقسمها الى ثلاثة أنواع، اعتمادا على تعداد ١٩٦٦ على النحو التالي : ـ

أ ـ نطاق الكثافة العالية : وهي الاحياء التي تزيد فيها كثافة السكان عن معدلها العام بالنسبة للمدينة، وتضم كلا من المدينة القديمة (٨٨٠ نسمة/ هكتار) والكودياء (٦١٦ نسمة/ هكتار) والامير عبدالقادر (٣١٥ نسمة/ هكتار)، وسبب ذلك أن هذه الاحياء تقع في مركز المدينة وجواراتها، وهي الاحياء التي لم تشهد توسعا في مساحتها، والتي نتركز بها أهم النشاطات بالمدينة.

ب ـ نطاق الكثافة المعتدلة: وهو الذى يضم كلا من حي المنظر الجميل وباردو، اللذين يتميزان بكثافة متوسطة تقترب من المعدل العام للمدينة، حيث تصل الكثافة فيهما على التوالي ٢٤١ نسمة/ هكتار و ٢٨٥ نسمة/ هكتار. وهما على الرغم من اتساع مساحتها (١٢٪ و ٧٪ من جملة مساحة المدينة) فانها تضم أقل نسب من حيث عدد السكان بالمدينة تقريبا (٦ر٥ و ٤ر٤٪) ويمكن تفسير اعتدال الكثافة بها باتساع مساحتهما وبأن النمط السكني المنتشر بها يشمل على عدد كبير من الفيلات، فالمنظر الجميل هو حي الطبقات الموسرة كما أن حي باردو يضم نسبة كبيرة من الاكواخ القصديرية.

حـ ـ نطاق الكثافة المنخفضة: ويضم الاحياء التي تقل فيها الكثافة عن المعدل العام للمدينة وهي أحياء القنطرة وسيدى مبروك (١٩٢ نسمة/ هكتار و ١٢٦ نسمة/ هكتار) وهي الاحياء الواقعة في أطراف المدينة والتي لا زالت تضم مساحات فضاء ـ أو غابات بالنسبة لحي القنطرة ـ هي في دور الانشاء والتعمير.

وبذلك يمكن القول ان الاتجاه العام للكثافة وخلال التعدادات الثلاثة يتفق الى حد كبير مع التطور العمراني للمدينة فأقدم المناطق عمرانا أكثرها كثافة، وأحدثها عمرانا أقلها كثافة، وذلك يعود أساسا الى اتساع مساحة الاحياء الجديدة وعلى نمط المباني الموجود بها كالعمارات والفيلات، بينما نجد الاحياء الواقعة في قلب المدينة وما جاورها تشتمل على مساحات محدودة، لم تشهد توسعا الا في الحالات النادرة، ولكون نمط المباني بها كلها من الطراز التقليدى القديم والتي تتميز بعدد العائلات الكبيرة التي تسكنها (بمعدل عائلة لكل غرفة تقريبا).

كما يمكن القول بأن فئات الكثافة العالية أخذت تزحف بالتدريج من المدينة القديمة باتجاه احياء غرب وشرق المدينة، ممتدة مع محاور النمو العمراني، حيث ان فئة اكثر من ٢٠٠ن/ هكتار كانت تنعدم تقريبا باستثناء المدينة القديمة ـ عام ٤٨، بدأت بعد ذلك تمتد في ١٩٥٤ الى أحياء باردو والكودياء وفي ١٩٦٦ الى معظم احياء المدينة. وعلى ضوء ما تقدم، يتضح أن نمط توزيع السكان في قسنطينة وتباين كثافتهم ما هو الا نتاج التفاعل بين العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي أدت الى تركز الكثافة في أحياء بمعدلات أسرع من الاخرى.

منحني لورنز وكثافة السكان :

من مؤشرات قياس تركز السكان على أساس الكثافة، ما يعرف بمنحني لورنز، فدراسة كثافة السكان في المدينة ترتبط بدراسة منحني لورنز، كارتباط توزيع السكان بدراسة نسبة التركز السكاني. ومنحني لورنز لا يختلف كثيرا عن نسبة التركز. ويكمن الخلاف بينهما في امكان دراسة التطور في الكثافة ـ أى العلاقة بين المساحة والسكان ـ باستخدام المجمعات النسبية الصاعدة لنسبة كل منهما ومنها تتضح علاقة نسبة معينة من السكان بنسبة أخرى من المساحة حيث يوضح المتجمع الصاعد لكثافة الاحياء في محور (س) والمتجمع الصاعد للنسبة المئوية للسكان بحسب الكثافة في محور (ص).

ويقوم الافتراض الاول على أنه في حالة تساوى توزيع الكثافة بين المناطق فان المنحني يكون مطابقا للمدينة. أما الافتراض الثاني، فهو عندما يكون السكان متمركزين في منطقة واحدة حيث يتطابق المنحني مع محور (س)، ومن انحراف المنحني عن المدينة ـ أى موقعه بين الحالتين السابقتين ـ يمكن معرفة درجة انتشار السكان، حيث أن انحدار مثلث منحني التركز في نقطة ما يعطي قياس الكثافة في تلك النقطة.

جدول رقم (٢٠)

العلاقة بين السكان ومساحة الاحياء في قسنطينة عام ١٩٦٦
باستخدام طريقة منحني لورنز

الاحيـــاء حسب ترتيبها	الكثافـة نسمة/كم ٢ السكـان	٪ لجملة السكان	التكـرار المتجمع الصاعـد	٪ لجملة المساحة	التكرار المتجمع الصاعد
المدينة القديمة	٨٧٩٥٤	١٧ر٥	١٧ر٥	٢ر٨	٢ر٨
بـــاردو	٤٨٣٧٣	٤ر٤	٢١ر٩	١ر٦	٤ر٤
القنطرة	٢٥٨٧٨	٨ر٢	٣٠ر١	٥ر٥	٩ر٩
الكودياء	٢٣٤٧٤	١٤ر٩	٤٥ر٠	١١ر٠	٢٠ر٩
الضواحي	١٨٩١٠	٣٣ر٤	٧٨ر٤	٣٠ر٥	٥١ر٤
المنظر الجميل	٩٥٨٥	٦ر٥	٨٤ر٩	١١ر٨	٦٣ر٢
سيدى مبروك	٧٤٣٤	١٠ر٥	٩٥ر٤	٢٣ر٩	٨٧ر١
الامير	٦٢٣١	٤ر٦	١٠٠ر٠	١٢ر٩	١٠٠ر٠
جملة المدينة	١٧٢٩٤	١٠٠ر٠	—	١٠٠ر٠	—

ومن تحليل هذا الجدول مقارنة بالشكل رقم (٣١) تبرز لنا عدة حقائق هامة مرتبطة بتوزيع الكثافة السكانية في قسنطينة هي : —

١ — سوء توزيع السكان على رقعة المدينة ، ويظهر ذلك من ابتعاد المنحني عن المحور ، حيث تختلف الكثافة السكانية من مناطق لاخرى.

٢ — ان حوالي ٥٠٪ من سكان المدينة يتركزون في ٢٣٪ من مساحتها فقط.

٣ — يلاحظ أن حي المدينة القديمة والضواحى والكودياء التي تزيد الكثافة فيها عن متوسط كثافة المدينة هي التي تمثل درجة مرتفعة من التركز في قسنطينة.